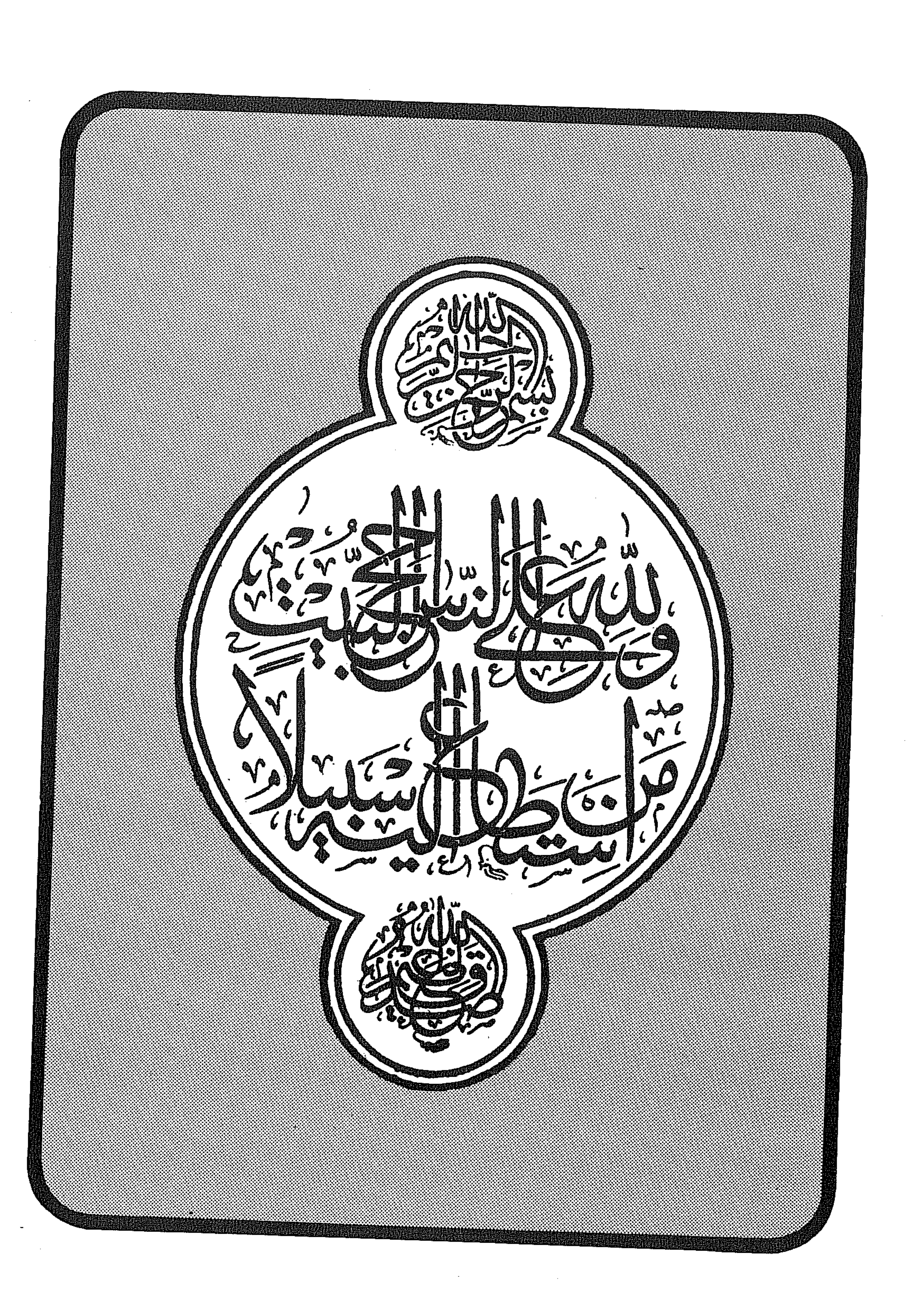
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢١٦ ● ذو الحجة ١٤٠٢ هـ ● اكتوبر ١٩٨٢ م



هدية العدد مجلة براعم الايمان


بسم الله الرحمن الرحيم
ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢١٦ ● ذو الحجة ١٤٠٢ هـ ● اكتوبر ١٩٨٢ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



اول بيت وضعه الله لعبادته هو البيت الحرام بمكة . باركه الله بكثرة الخيرات . اذ تجبي اليه ثمرات كل شيء . وباركه بكثرة الثواب والاجر . وجعله منبع الهداية للعالمين . فيه آيات بينات .. منها مقام ابراهيم للصلاة والعبادة . ومن دخل حرمه امن على نفسه ولو كان قد ارتكب قبل دخوله ما ارتكب من الجنايات . وقد اوجب الله على المستطيع من المسلمين الحج اليه . قال تعالى : (ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)

وقد استجاب الله دعوة ابراهيم عليه السلام ، فجعل افئدة من الناس تهوي الى من يسكنون عنده . واودع في قلب كل مؤمن بالغ الشوق لزيارة البيت الحرام .. ومهما تردد المؤمن على هذا البيت حاجا او معتمرا ، فان شوقه اليه لا ينتهي ولا يضعف .

والحجاج الذين يفدون من كل فج عميق . يتلاقون عند البيت المقدس مجردين من كل صلة سوى الصلة الاسلامية ، ومتجردين من الثياب التي تميز بينهم ، وتباين اشكالهم ، ومرتدين ثوبا غير مخيط ، لا يميز فردا على فرد ، ولا شعبا على شعب ، ولا قبيلة على قبيلة ليشعر الجميع انهم اخوة تجمعهم عقيدة واحدة ، هي توحيد الله ، ونسب واحد هو الاسلام ، وقيم واحدة . هي ما شرعه الله في كتابه وسنة رسوله ويؤدون جميعا شعائر عبادتهم ـ على قدم المساواة . في اماكن محددة ، وازمنة معينة .

وهذه المساواة التي يشعر بها حجاج بيت الله الحرام ، توحي اليهم ان يتخذوا من الحج مؤتمرا عالميا ، يدرسون فيه امورهم ، ويتذاكرون شئونهم على ضوء من كتاب الله وسنة رسوله . حتى تتحقق لهم الرؤية الصحيحة للمسار الذي يجب ان يسيروا عليه في مجتمعاتهم ، وفي علاقتهم بغيرهم . بعيدا عن سبل الضلال التي تدنس حياتهم وتفرق صفوفهم .. وذلك من المنافع الدينية والدنيوية التي جعلها الله تعالى من غاية الحج . كما قال سبحانه : (واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام) .

وقد جاءت تعاليم الاسلام مبطلة لما كانت تتخذه قريش لنفسها في الحج من التميز عن غيرها ، حين كانت تأبى الوقوف مع الناس بعرفات . وتقف وحدها بالمزدلفة . فقال تعالى : (فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين . ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم)

وفي قوله تعالى : (واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين) ما يفيد ان العرب ـ قبل الاسلام ـ كانوا في ضلال مبين في كل نواحي

حياتهم . فمن الناحية الاعتقادية كانت تصوراتهم سقيمة باهتة ، ادت الى اضطرابهم في العبادات والشعائر والسلوك . فعبدوا الاصنام والجن والملائكة .. ومن الناحية الاجتماعية كان ضلالهم يتمثل في تميز طبقة عن طبقة ، واستعلاء قبيلة على اخرى ، وفي الحروب والمنازعات الدائمة بينهم ، والتي جعلتهم موضع السخرية لدى العالم ، واسقطتهم من عداد الامم التي يحسب لها حساب .. وفي الفوضى الخلقية في العلاقات الجنسية ، والعلاقات التي تقوم بين افراد المجتمع .. وفي المظالم التي يزاولها الاقوياء ضد الضعاف في المجتمع بلا ميزان ثابت يرجع اليه . والتاريخ شاهد عدل على ذلك .

فلما جاء الاسلام اخرجهم من هذا الضلال ، وغير حالهم الى احسن حال ، فأصبح تصورهم الاعتقادي تصورا صحيحا ، يتمثل في الايمان الخالص بالله الذي لا اله غيره وبذلك اتجهت العبادات والشعائر في طريقها الصحيح الذي يحقق الخير .. واصبحت الحياة الاجتماعية تقوم على الاخاء والمساواة ، والتعاون على البر والتقوى ، والعدل ، وطهارة الاخلاق . وبذلك حل الوئام والصفاء والسلام محل التنازع والشقاق فكان العرب بالاسلام ـ امة عزيزة الجانب . رفيعة القدر ، ينظر العالم اليها نظرة المهابة والتقديروالاحترام . ولا عجب فذلك تشريع الله للناس كافة يهدي به من اتبع سبيله الى مواقع الخير والرشاد . (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) .. ومكث العرب مدة من الزمن يستمسكون بهداية الاسلام وينشرون حضارته في المشارق والمغارب . وهم اعزة كرام على انفسهم وعلى الناس .

ومما لا شك فيه انهم كانوا في فترة مجدهم تتوارد على ذاكرتهم ومشاعرهم صور حياتهم في الجاهلية .. تلك الحياة الهابطة الضالة التي كانت تلوث حياتهم وتزري بتاريخهم . ثم يتأملون مكانهم العظيم الذي رفعهم اليه الاسلام ، فيدركون عمق هذه الحقيقة واثرها في حياتهم .

وليتهم استمروا على هذا الادراك ، اذا لظلوا منبع الهدى والنور ، ومكان الاجلال والتقدير . ولكن الكثير منهم نسوا الله فانساهم انفسهم ، وعادوا الى ضلالهم القديم يتقاتلون ويتناحرون ويتسابون ، وتركوا الدين الذي رسم مجدهم وخط ذكرهم الى نظم اصطنعها البشر بقصورهم واهوائهم وشهواتهم . فضلوا سواء السبيل . واضطربت

حياتهم . وتدنست مجتمعاتهم . ودبت بينهم اسباب الفرقة والتنازع . وتداعت عليهم الامم تسلب بلادهم . وتستذل كبرياءهم . فاصبح امرهم يجرح قلب الصديق ـ ان كان صديق ـ ويثلج صدر العدو !! وتلك سنة الله . غيروا ما بأنفسهم . فغير الله حالهم (ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

ولكن . هل ضاعت العزة الى غير رجعة . وافل المجد الى غير شروق . وحل اليأس محل الايمان ، والقنوط محل الرجاء ؟؟؟؟

لا . ثم لا . ان حقيقة الاسلام ما تزال قائمة . تؤدي رسالتها لمن يغتنمها . ويسير في ظلها .. والعرب حين يعودون الى الاسلام عودا صحيحا ينتقلون من طور وضيع صغير مضطرب . الى طور اخر رفيع عظيم . ولا يدركون هذه النقلة الا حين يصبحون مسلمين حقا . يطبقون كل تعاليم الاسلام .. انهم بذلك سيصبحون الامة الواحدة القوية النظيفة . والقول الواحد السديد ، والعمل الواحد المفيد .. وسيصبحون بنعمة الله اخوانا متحابين متعاونين . لا يستطيع عدو أن يقتحم حماهم ، ولا ان ينال من كرامتهم .

ان النظم التي قامت على خلاف شريعة الله ، ما هي الا عبث وعنت وضآلة واضطراب .. وما هي الا عامل قطيعة وانفصام بين الشعوب وحكامها . فالشعوب تقدس اسلامها وترتضيه حكما في امورها . والقائمون على هذه الانظمة يعملون بالقهر على سيادتها . وهذا الانفصام من شأنه ان يضعف الامة . ويطمع فيها الاعداء ، ويسبب لها المتاعب والمآسي في الداخل ، والهزائم من الخارج !!

فلنعد الى منهج الاسلام . ولنعتبر بالاحداث الجسام التي انتابتنا ونحن معرضون عن هداية الله .. ولنعلم ان الله تعالى رءوف رحيم . لا يرد من اقبل بعد طول اعراض ؛ ولا من اناب اليه بعد اسراف (قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم . وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون) .

اننا ـ قبيل مؤتمر الحج ـ نسوق هذه المعاني تذكرة للمسلمين في كل مكان عسى ان يكون لهم فيها زاد . فيقيموا شرع الله ، ويعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

رئيس التحرير
محمد الاباصيري

نظـــرات في آية

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : في سورة الانعام / ١٢٤ :(**وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون**) (صدق الله العظيم)

(رسل الله .. وأعداء الله)

المتدبر لهذه الآية الكريمة يفيض عليه من أنوارها العلوية المباركة ما يكشف لبصيرته من علم الله تعالى وحكمته ، ما يملأ قلبه يقينا وايمانا بالله سبحانه ، واذا هو من هذا اليقين وذلك الايمان في حصن منيع لا تنفذ اليه منه وساوس الشيطان ، ولانفثات اهل الغي والضلال .

فالآية الكريمة تكشف اولا عن موقف المعاندين والمكابرين ، الغارقين في كبرهم وعنادهم على أن يركبوا مطايا الغرور . وأن يردوا تلك الأيدي الكريمة الممدودة اليهم برحمات الرحمن الرحيم رب العالمين ، لاستنقاذهم من مهاوي الهلاك ، وما ذلك الا لان هذه الرحمات قد جاءتهم على ايدي بشر مثلهم فكيف اذا كانت رسالة من الله سبحانه الى الناس أن يختص بها هذا الرسول أو ذاك ، وهم يرون أنفسهم أنهم اكثر أموالا واولادا ، وأقوى قوة وسلطانا من هؤلاء الرسل ، وانه لو كانت هناك رسالة من الله الى الناس لكانوا هم أولى وأحق بها !! : (**قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله**) وما درى هؤلاء الاغبياء المناكيد ان الله تعالى وحده هو الذي يصطفي لرسالته من يشاء من عباده ، لما منحه من صفات عالية ، وأخلاق كريمة تجعله أهلا لهذا الاصطفاء ، وكفئا لحمل هذه الأمانة العظيمة : (**الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور**) الحج/ ٧٥و٧٦ .

ولهذا كان من الله تعالى هذا الرد المفحم على هؤلاء المغرورين المتكبرين ، فقال سبحانه : (**الله أعلم حيث يجعل رسالته**) وليس ذلك لأحد من خلقه : (**والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب**) الرعد/ ٤١ .



(موقف الضالين من دعوة الحق)

وقد كشف القرآن الكريم عن كثير من مواقف اللجاج في الضلال والعناد ، للكافرين والمشركين الذين اعماهم الضلال والعناد ، عن أن يستجيبوا لدعوة رسل الله ، وأن يقدموا لذلك من الحجج الباطلة ، والمعاذير الفاسدة ، ما يحجزهم عن الحق ، ويعمي عليهم السبيل الى الهدى ..

ومن اقوالهم ومدعياتهم في هذا ما ذكره القرآن الكريم على لسان الأقوام الذين كذبوا رسل الله ، وصدوا عن سبيله ، فقال تعالى على لسان قوم نوح :(**ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين**) هود/٢٧ ويكون رد نوح على ضلال قومه ما ذكره الله سبحانه على لسانه : (**قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون . ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون**) هود/٢٨و٢٩ .

وعلى لسان عاد قوم هود ، يقول الحق سبحانه :(**قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين . إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء**) هود/٥٣و٥٤ ويرد هود على هذا السفه من قومه ، بما ذكره الله تعالى على لسانه :(**قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون . من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون**) هود/٥٤و ٥٥ .

ولذلك كان موقف ثمود ، قوم صالح ، كذبوا رسولهم ، وأنكروا ما كانوا يرون فيه من استقامة وخير ، بعد أن اصطفاه الله تعالى لرسالته ، فقال الله تعالى على لسانهم :(**قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب**) هود / ٦٢ ويكون جواب صالح على هذا السفه من قومه :(**قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير . ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء**

فيأخذكم عذاب قريب . فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) هود /٦٣ ـ ٦٥
وهكذا كان لكل رسول من قومه خلاف عليه ، وتكذيب له ، واعراض عنه ، وليس لهم من حجة يحتجون بها عليه ، الا انه بشر مثلهم ، ومن حقهم ـ كما يزعمون . انهم اولى منه بتلك الرسالة ، ان كان حقا هو رسول من عند الله اليهم !!

(محمد وما لقي في سبيل دعوته)

ومحمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، كم لقي من عنت قومه ، ومن تكذيبهم له ، وإبائهم عن الاستجابة لدعوته اياهم الى الايمان بالله وحده ، وترك ما هم عاكفون على عبادته من أوثان .
وقد كثرت وتنوعت مدعيات المشركين وتخرصاتهم في وجه الاعجاز المتحدي لهم بأن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن الذي صنعت مادته من كلامهم .. فقال تعالى : **(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فأتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)** البقرة / ٢٣ و٢٤
ومع هذا فقد مضى المشركون في ضلالهم وعنادهم ، ولم يمنعهم الحياء والخجل بعد ان فروا من هذا الميدان عن ان يدخلوا في ميادين المماحكة والمجادلة بالباطل .. فقال تعالى على لسانهم : **(وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون)** فرد الله عليهم بقوله سبحانه :**(فقد جاءوا ظلما وزورا)** الفرقان / ٤ ثم ان هؤلاء المشركين وقد فضحهم الله تعالى على أعين الناس ، لم يمسكوا السنتهم عن الزور والبهتان ، فقالوا ما ذكره الله تعالى على لسانهم في شأن القرآن :**(وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا)** فرمى الله هذا البهتان في وجوههم ، بقوله سبحانه : **(قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما)** الفرقان/٥و٦ .
ثم انهم لما عجزوا عن مواجهة القرآن الكريم ، ورأوا ان كل ما يقولونه فيه ليس الا افكا وبهتانا ، وهم أول من يعلمون انه افك وبهتان ، جاءوا ببهتان اخر ، فقالوا : ان محمدا ساحر يتلقى من الشياطين هذا الذي يقول لنا عنه انه كلام الله ، فيقول الله على لسانهم : **(إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر)** المدثر / ٢٤و٢٥ ويقول سبحانه :**(وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق . أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب)** ص/ ٤ ـ ٨ . ويقول جل شأنه على

لسان هؤلاء المشركين ، كاشفا عن عنادهم وضلالهم :(**وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا.أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه**) الاسراء / ٩٠ ـ ٩٣ ويكون رد الرسول الكريم على هذا الحمق والسفه ما امره الله تعالى به ، :(**قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا**) الاسراء / ٩٣ .

(التوافق بين محمد ورسالته)

لا شك في أن محمدا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لو لم يكن رسولا ، مصطفى من عند الله ، لكان واحدا من آحاد العظماء في الانسانية ، الذين لم يكونوا رسلا ولا انبياء ، ولكانت له آثاره العظيمة الخالدة ، المتمثلة في سمو نفسه ، وعظمة اخلاقه ، وحسن سيرته ، وفي يده المبسوطة للناس بالخير ، والحب والرحمة ..

ولهذا كان اصطفاء الله تعالى لمحمد بحمل هذه الرسالة العظيمة الخاتمة لرسالات السماء ، مما اقتضته حكمة الله ، وعلمه بأحق الناس بتلك الرسالة .. والله تعالى يقول :(**الله أعلم حيث يجعل رسالته**)

كان محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يمكن ان يكون في مقدمة الرجال الذين عرفهم قومه ، واحلوهم المقام الكريم في تاريخهم .. ففي حكماء العرب مثلا : اكثم ابن صيفي ، وفي خطبائهم قس بن ساعدة الايادي ، وفي شعرائهم من اصحاب المعلقات : امرؤ القيس ، وعنترة ، ولبيد ، والنابغة الذبياني ، وزهير بن ابي سلمى .. وغيرهم .

كان يمكن ان يكون محمد ـ لو لم تخلع عليه من ربه سبحانه خلعة الرسالة ـ على رأس الكرام الامجاد من قومه .. فكيف وقد اصطفاه الله تعالى ليكون امام المرسلين ، وخاتم النبيين ؟

وقد رأينا انه حين ركبت قريش رأسها ، ووقفت من دعوة رسول الله هذا الموقف العنادي الضال ، لم تقل في رسول الله كلمة واحدة ، تمس خلقه ، او تنال من سيرته بينهم ، بل ان كل ما قالوه فيه ، هو انه شاعر ، او ساحر .. حيث كان الشعر والسحر ، مما يرفع في قدر الانسان عندهم ، وان لم يصل به هذا الى ان يكون رسولا ، متصلا بالله ، يتلقى منه ما يبلغه للناس .

وقد نفي الله تعالى عن رسوله الكريم ان يكون شاعرا ، فقال تعالى :(**وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين . لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين**) يس /٦٩و٧٠ ويقول سبحانه في نفي اتصال النبي بالشياطين ، وفي نفي الشعر عنه :(**هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل**

على كل أفاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون . والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون) الشعراء/ ٢٢١ ـ ٢٢٦ . كما نفي الله تعالى عن محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ان يكون كاهنا او مجنونا ، فقال تعالى مخاطبا الرسول الكريم :(**فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون**) الطور / ٢٩ .

ان قريشا ترضى لمحمد ان ينزل من منازل العظمة الانسانية حيث يشاء ، وانها لتسلم لمحمد أن يكون ما يشاء في قومه ، في مناصب السيادة والقيادة عليهم ، ولكن قريشا لن ترضى ابدا من محمد ، او غيره أن يكون رسولا اليهم من عند الله ..

هكذا شأن الناس ، ينكرون ان يكون أحد من البشر على صلة بالله ، لأن هذا ـ في نظرهم ـ مقام متفرد ، لا يناله أحد بسعيه وجده ، او بجاهه وسلطانه ، ومن هنا تغلق الطرق في وجوه الناس جميعا لبلوغ هذه الغاية .

وقد آمن كثير من الحكماء ، والفلاسفة في قديم الزمان وحديثه ـ آمنوا بالله ، وأقروا بانه لا بد من اله خالق لهذا الوجود ، مدبر له ، قائم عليه ، ولكنهم مع ايمانهم بالله لم يؤمنوا برسل الله ، ولم يرضوا لانسان ان يلتقي بالملأ الأعلى ، ويتعامل معه .. وكأن هؤلاء الفلاسفة والحكماء الذين يذهبون هذا المذهب ، قد نظروا فيه الى انفسهم .. فحين رأوا انهم وهم اعقل الناس ، وأكثرهم علما ومعرفة ، وذكاء وفطنة ، لم ترفعهم عقولهم وعلومهم ومعارفهم الى الملأ الأعلى ، ولم تقم صلة بينهم وبين السماء ، أنكروا ان يكون هناك رسل من البشر ، يمدهم الله سبحانه بأمداد من عنده ، ليقوموا في الناس مبلغين عن الله ومبشرين ومنذرين ..

وهذا هو منطق الذين كفروا برسل الله ، محتجين لهذا بأنهم بشر مثلهم ، كما يقول تعالى عنهم : (**وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون . ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون**) المؤمنون / ٣٣و٣٤ .

(إيمان أضل من الكفر !!)

وإذا كان كثير من الحكماء والفلاسفة والعلماء قد آمنوا بالله ايمانا عقليا ، غير مستند الى دعوة من رسول من رسل الله ، علي حين أنهم كفروا برسل الله ـ فان كثيرا ممن آمنوا بالله عن دعوة من رسل الله ، لم تستسغ عقولهم ان يكون هؤلاء الرسل بشرا قد اصطفاهم الله تعالى لرسالته الى الناس ، بل ارتفعوا بهؤلاء الرسل عن عالم البشر ، وجعلوا لهم نسبا الى الله ، بالبنوة له ..

فكثير من مشركي العرب في الجاهلية ، قد عبدوا الملائكة من دون الله ، زعما منهم بأنهم ـ وهم بشر ـ لا يصلون الى الله ، ولا يقدرون على اختراق حجبه ،

ومخاطبته .. وفي هذا يقول الله تعالي عن هؤلاء المشركين من عبدة الملائكة ، وقد سموهم بنات الله :(**وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون . وقالو لو شاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون**) الزخرف/ ١٩و٢٠ ويقول سبحانه ، وهو يواجه المشركين بهذا الضلال الذي غرقوا فيه :(**ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون**) سبأ/ ٤٠و٤١

وكذلك كان الشأن من أهل الكتاب ، فانهم ارتفعوا بأنبيائهم عن عالم البشر ، وجعلوهم أبناء الله ، كما يقول الله تعالى في اليهود والنصارى :(**وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون**) التوبة / ٣٠ كذلك اتخذ اليهود والنصارى احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، وارتفعوا بهم عن عالم البشر ، الى مقام الالوهية .. يقول الله سبحانه فيهم :(**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**) التوبة / ٣١ .

(محمد .. الرسول البشر)

أما خاتم النبيين محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فقد حمى الله تعالى حماه من أن يدخل على اتباعه شك في انه بشر قد اختصه الله سبحانه بالرسالة لهداية الناس .. فمن آمن به رسولا ، آمن به انه بشر .. ولهذا قرر القرآن الكريم في أكثر من آية أن محمدا بن عبد الله ، هو واحد من قومه ، لا يفضلهم الا اصطفاء الله تعالى له بتلك الرسالة الموحاة اليه من ربه .. فمن آمن بكتاب الله لا يتم ايمانه الا اذا آمن بمحمد بشرا رسولا .. يقول الله تعالى مخاطبا اياه : (**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون**) الانبياء/ ٣٤ ويقول سبحانه : (**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد**) فصلت /٦ بل واكثر من هذا ، فان الله تعالى قد نعى محمدا في القرآن الكريم ، وهو لا يزال حيا بين قومه ، فقال سبحانه : (**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**) ال عمران / ١٤٤ وقال جل شأنه لرسوله الكريم : (**إنك ميت وإنهم ميتون**) الزمر / ٣٠

ولا شك ان هذه شهادة من عند الله ، قائمة ابد الدهر ، تنفي عن محمد ما يمس بشريته ، وتدفع عن اتباعه ان يعبدوه من دون الله ، كما عبد اليهود والنصارى بعض انبيائهم ، وكما عبدوا احبارهم ورهبانهم ..

فصلوات الله وسلامه على محمد النبي الامي ، البشر الرسول .. ؟

القرآن والمنافقون

للدكتور/ عبدالفتاح محمد سلامة

عندما بعث الله خاتم الأنبياء، وإمام المرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم، تصدت لدعوته قوتان: إحداهما سافرة: قد حسرت عن وجهها كل قناع، وأزالت كل غطاء، وبرزت للاسلام وصارعته بما في حوزتها من قوة وشكيمة.. وهذه القوة تتمثل في الكفر وأهله..

والأخرى لم تشأ أن تنزل إلى أرض المعركة ظاهرة مكشوفة، فيفتضح أمرها، وتتعرى حقيقتها، فآثرت أن لا تتدجج بالسلاح خفية، وتكيد للدعوة خلسة، وفي الواقع المشاهد، وامام الجماهير المؤمنة، تبدو مذعنة راضية.. وأعني بهذه القوة: النفاق وحزبه..

إن الكافرين من اليهود والنصارى والمشركين، قد حاربوا دين الله الخاتم وجها لوجه؛ ونازلوه في ساحة الوغى، وجالدوه في ميادين الطعن والصدام، ولم تزل رحى الحرب دائرة، واوراها مشبوبا مشتعلا، ووطيسها حاميا متقدا، حتى نصر الله دينه، وأيد رسوله، وأعلى كلمة الحق، وظهرت دعوة محمد بن عبدالله، متلألئة كفلق الصبح المبين، وفتح الله بها قلوبا غلفا، وآذانا صما، وأعينا عميا..

بيد أن المنافقين ما كانت لديهم الشجاعة، وما واتتهم الجرأة لمنازلة الاسلام على أرض مكشوفة، ومحاربته بطريق صريح، لأنهم لو فعلوا ذلك لقطع المؤمنون دابرهم، واستأصلوا شأفتهم، كما دحروا الكافرين، وأطاحوا بعروشهم وكبريائهم..

لذلك فان المنافقين ارتدوا ثياب الاسلام، وتستروا بمسوحه، بينما انطوت قلوبهم على الكفر، واشتملت جوانحهم على التكذيب، وأضمروا في نفوسهم الغدر والخيانة لله ولرسوله، فدبروا المكائد، وتفننوا في الحيل، وبرعوا في الخديعة والمكر.. فلم

يتورعوا أن يسددوا للدعوة طعنات حاقدة في الخفاء، مصبوبة في قالب من الجبن الصاعق، والذلة المستكينة، والخسة المقنعة ..

ولم يستحيوا - كذلك - ان يريشوا سهام اللؤم والوقيعة، ويرشقوا بها صدور المسلمين، بين الفينة والفينة، لينشروا سموم حقد اسود تغلي به مراجل قلوبهم، ويزرعوا بذور عداء مقيت، سري في الأوصال واستجابت له المشاعر ..

والقرآن الكريم يحلل نفسيات هؤلاء القوم، وينفذ إلى أعماقهم، ويتغلغل الى بواطنهم، فيفتشها وينبشها، ليبرز ما ترسب فيها من أمراض وبيلة، وما غزاها من آفات وإحن

(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا انفسهم وما يشعرون . في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) البقرة/ ١٠ .

إن الانسان الذي يجاهر بعداوتك، ويكاشفك بها، لا تتوجس شرا من جانبه، لأنك ستكون مستعدا لنزاله، محتاطا لفتكه، فلا يمكن - إذا كنت مترقبا حذرا - أن يأخذك على غرة، أو يفجأك من الخلف ..

أما الانسان الذي يتلون ويتقلب، ولا يقر له قرار، ويبدي لك الرضا، وهو في حقيقته امرؤ كاشح، يعض عليك الأنامل من الغيظ، ويود التمكين منك، ليفعل بك الأفاعيل، بل إنه ليتحرق شوقا الى الكيد لك، والتربص بك .. فهو :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة
ويروغ منك كما يروغ الثعلب

هذا الانسان يحيرك أمره، ويعييك خبره، ولا تدري كيف تعامله، حيث انك لا تأمن غدره، ولا تطمئن لجانبه، بينما هو امامك محب واثق، ومخلص مريد ..

سلوك شائن كهذا، يقض مضجع الانسان، ويجعل دبيب الشك يتسرب إليه، فاذا الحياة تسير في أودية من القلق النفسي، والتوزع الوجداني، مما يفضي بالانسان الى العزلة، ويغريه بالوحدة والانطواء .. وتلك لوثة النفاق في كل زمان ومكان، وآفته الآثمة ما تعاقب الجديدان .. ولعل هذا ما يرمز إليه الأمام « الشافعي » رحمه الله، في أبياته الطريفة حيث يقول :

لا تجز عن لوحدة وتفرد
ومن التوحد في زمانك فازدد
ذهب الاخاء فليس ثم اخوة
الا التملق باللسان وباليد
واذا فتشت ضمير ما بصدورهم
ألفيت ثم نقيع سم اسود

إن النفاق في جسم الأمة كالأخطبوط، إذا لم يحاصر في أوكاره، ويلاحق في امتداداته، ويوقف زحفه، فانه سرعان ما يستشري وينفذ الى شرايين الحياة النظيفة فيسدها ويسممها، بالأراجيف والأكاذيب، وطمس

الحقائق ، وتثبيط الارادات ، وإشاعة التواكل المزري ، وتوهين العزائم ، وإخماد المعنويات .

وهذا ما كابده الاسلام وعاناه ، من جماعة النفاق المتبلدة ، بعد هجرة الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، إلى المدينة ، حيث تفتحت قلوب أهلها للدين الجديد ، وتشربته نفوسهم ، شريعة هادية ، وسلوكا طاهرا فذا ، وحياة متكاملة سامية .. حدث كل هذا .. لكن فئة متمردة ، قد أبت أن يلج الايمان قلوبها ، ويبدد الحنادس الكامنة فيها ، فطوت كشحها على كفر صاعق مقيت ، وأخفت في طويتها كراهية وغلا وعداوة لله ورسوله ، ثم أبدت إسلاما هزيلا رثا في صورة همهمات تتلى ، وعبادات مزيفة تؤدي ..

ثم بدأت مسيرة النفاق ومواكبه ، تتراقص اشباحها في مجتمع المدينة المتوثب ، والذي يريد أن يثبت وجوده ، ويملي على الحياة ارادته ، وكانت مواكب النفاق ـ هذه ـ تأخذ مظاهر التعويق والنكوص ، وألفت في عضد المؤمنين ، حتى يتقاعسوا عن الجهاد ومتطلباته ..

لقد تخاذلت عصابة النفاق عن نصرة الحق ، وأبت ان تلبي داعي الجهاد ، وفي كل موقف يستدعى الحميةوالغضب لله ورسوله ، يتطايرون عنه تطاير الفراش .. ثم يختلقون اعذارا واهية ، لا تثبت على محك الرجولة ، ولا تستقيم مع منطق الايمان :

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون التوبة/٨٨

لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لا تبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون) التوبة/ ٤

ويدلف بهم موقف الخيانة إلى معنى شائك ، ومنعطف اخلاقي ساقط ، فلا يكتفون بروح الانهزامية السارية فيهم ، والتي جعلتهم يتراجعون عن الزحف مع رسول الله وصحبه ، بل إنهم ليمثلون ـ في إحكام واتقان ـ دور المتشكك المتخرص الذي يحمل لواء الحرب النفسية ، بترويج الشائعات ، واثارة الزوابع ، والافتئات الرخيص ، والتطاول على رب العزة ، والتكذيب لنبيه صلوات الله وسلامه عليه :

(واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) الاحزاب/١٢

وهذه المواقف المنكورة من الدعوة وصاحبها العظيم ، كانت تنضح على سلوكهم وتصرفاتهم ، فما يستطيعون دفعا لباطل من القول ، وزور من الحديث ، يمسون به كرامة أزكى انسان ، ويخدشون به مروءته ..

(يقولون لئن رجعنا الى المدينة

ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون المنافقون/ ٨

ولقد كانوا يقصدون بالأعز زعيمهم « عبدالله بن أبي بن سلول » ، وبالأذل « رسول الله » صلى الله عليه وسلم ..

أرأيت منطقا يتدلى منه اللؤم كهذا المنطق ؟ ثم ألا تبصر مدى الفحش والاسفاف في هذا الكلام المغلف المستور ؟ ألا يلتقي هذا كله مع طبيعة النفاق المظلمة المعتمة ؟ وكيف تربو جرثومة النفاق إلا في مثل تلك الاجواء الملبدة الغائمة ؟ إنها تبيض وتفرخ وتتوالد وتتكاثر ، لأنها بمنأى عن المجهر ، وتحيا في أجسام معتلة ..

إن ظاهر النفاق غير باطنه ، وهيكله المادي يباين حقيقته الخبيئة المستترة ، وتلك نغمته النشاز التي يعزف عليها ، ويدلس بها ، ويخفي في طياتها وجهه الصريح ..

ولقد تكشفت لرسول الله حقيقتهم المخبوءة ، واستبانت له دخيلتهم الغادرة ، بعد ظهور زيفهم على محك الايمان الصحيح ، وثبت له أن وجودهم يعني شوكة يغص بها حلق الاسلام وأهله ، بل إنهم بالأساليب الملتوية ، يناوئون الدعوة في مدها وسيلانها ، ويلاحقونها في وثباتها الجريئة ، وانطلاقاتها الباهرة .. ولكن ماذا يفعل الرسول الماجد ازاء قوم يضعهم القرآن في هذا الاطار .

(واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) آل عمران/ ١١٩ .

(ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون التوبة/ ٥٦

لقد كان في وسع النبي - وهو المعصوم المسدد بالوحي - أن يسلط عليهم سيف العدالة ، ويذيقهم كأس المنون ، حتى تمضي الدعوة الراشدة في مسيرتها ، ويتفرغ أتباعها لمواجهه العدو السافر المكشوف .. ولكن كيف إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ؟؟

لقد جاءه يسعى ، ابن زعيم النفاق « عبدالله بن عبدالله بن أبي .. » ، وكان شابا مؤمنا مخلصا ، قد صدق ما عاهد الله عليه ، فقال له : يارسول الله : بلغني أنك تريد أبي « أي قتله » .. فان كنت فاعلا ، فمرني فأنا أحمل إليك رأسه .. فقال له الرسول الجليل بل نحسن صحبته مادام بيننا ..

ويصل الأمر إلى قمة العجب والانبهار ، يوم مات كبير المنافقين ، فلقد تقدم النبي الكريم فكفنه في قميصه ، ثم صلى عليه ، ودعا له واستغفر .. ولكن القرآن ينزل على رسول الله ، ليلقي إليه هذا الحكم

(ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون التوبة/ ٨٤

(استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) التوبة/ ٨٠

ومع نزول هذه الآيات الصارمة

الحاسمة إلا أن الرسول لكي يطيب خاطر الابن المؤمن ، والشاب النبيل .. يقول
لو اعلم اني لو زدت على السبعين غفر له ، لزدت .. » رواه الترمذي وغيره .
هذه السياسة الحكيمة العاقلة التي انتهجها النبي القائد ، ليؤلف بين اصحابه ، ويرعاهم بوده ، تدمغ ساسة العالم وحكامه اليوم ، في لجوئهم إلى أساليب التصفية والقتل ، من اجل شهوة متسلطة ، وتحت ستار الزعامات الكاذبة ، وبدافع من حب التفرد بالسلطان والنفوذ ..
واذا نظرنا الى القرآن الكريم ألفيناه يدمدم على المنافقين ، ويهتك أستارهم ، ويجلّ خبيئتهم ، بل وينبىء المسلمين بما تكنه قلوبهم ، وما تضمره من مرض وكفر ورياء وخداع ونفاق وشقاق :
(**يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون**) التوبة/ ٦٤ .
وهاك سورة من القرآن سميت باسمهم ، وتولت في بيان معجز ، يأخذ بمجامع القلوب ، كشف حالهم ، واحصت عليهم خلجات نفوسهم ، واحاديث السوء التي كانوا يلوكونها في غبش الظلام ، ثم أماطت اللثام عن الجبن الهالع الذي كان ينتابهم عند كل صيحة ، أو دعوة للجهاد في سبيل الله ..
قال تعالى :
(**إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون . اتخذوا إيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون . ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون . وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم و إن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون**) المنافقون/ ١ ـ ٤
وهكذا ترى أن النفاق عدو لدود للاسلام ، وأن أربابه أشد خطرا ، وأعظم ضراوة على الدين وأهله من الكافرين ، فهم في الحقيقة شرّ الخليقة ، يتسترون بالايمان ، ويتمسحون بمسوحه ، بينما في أفئدتهم الكفر البواح ، يظهرون للمسلمين في صورة الأصدقاء والمتوددين ، ثم يتآمرون عليهم للفتك بهم والنيل منهم ..
ومن العجيب في صفاتهم أنهم يزعمون الاصلاح ، وما قصدهم الا الافساد :
(**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**) البقرة/ ١١ و ١٢ .
لقد ابتلى الاسلام ، منذ القدم وحتى الآن ، بطوائف من المنافقين والمفسدين ، والأشرار والمخادعين ، حاربوه في جنح الظلام ، ووضعوا في طريقه العقابيل ، وزرعوا في دروبه الأشواك ، ليضلوا الناس عن صراط الله العزيز الحميد ..

وفي هذا العصر المادي المظلم ، كثر المنافقون والدجالون ، والمراءون والمخادعون ، من أصحاب القلوب المريضة ، وذوى النفوس الخبيثة ، والمذاهب الملتاثة ، وهم الذين آمنت ألسنتهم ، وكفرت بالله بواطنهم ، فخدعوا المسلمين وغرروا بهم ، وعملوا على تقويض دينهم ، وصدهم عن سبيل ربهم ، وإفساد أخلاقهم وحياتهم ..

ومما يؤسف له ، أن المنافقين في هذا العصر ، لهم سوق رائجة ، وبضاعة نافقة ، وبيدهم مقاليد الحكم والسلطان ، في معظم دول العالم ، وفي كثير من أقطار الاسلام .

لقد عم في هذا الزمان ، الكذب والتلون والرياء ، وغدا أكثر الناس لهم وجوه متعددة ، وألسنة كثيرة ، يتلونون تلون الحرباء ، ويدورون مع الباطل حيث دار ، وغدا لهم قادة وزعماء ، ورؤساء وكبراء ، دجلوا على المسلمين وخدعوهم ، وصرفوهم عن حكم قرآنهم ، وسنة نبيهم ، وأبدلوهم بذلك كله ، قوانين جاهلية ناقصة ، هي من صنع الأهواء الجامحة ، وابتكارات الخيالات الهائمة :

(أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) المائدة/ ٥٠ .

إن الحياة الاسلامية الآن يغشاها ما يغشاها ، ولا شك أنها تعاني ما يشبه المخاض ، حيث العقائد اهتزت ، والقيم تهاوت ، والفضائل اندرست ، ومناهج الايمان تبدلت ، بل إن هناك فجوة فكرية شاسعة تفصل أبناء الاسلام عن دينهم ، فهم في ساحته وكأنهم غرباء عليه ، لا يأخذون من حقيقته إلا رسوما شاحبة ، وظلالا باهتة ، ـ فلا جرم ـ يعيشون وليس لهم من الاسلام إلا اسمه ..

كل هذا بفعل الطواغيت من المنافقين وعباد الشيطان ، أتباع كل ناعق ، واللاهثين ركضا وراء كل جديد ، من فتن الحياة وبهرجها ، حتى ولو كان ذلك على حساب المبادىء والأخلاقيات ..

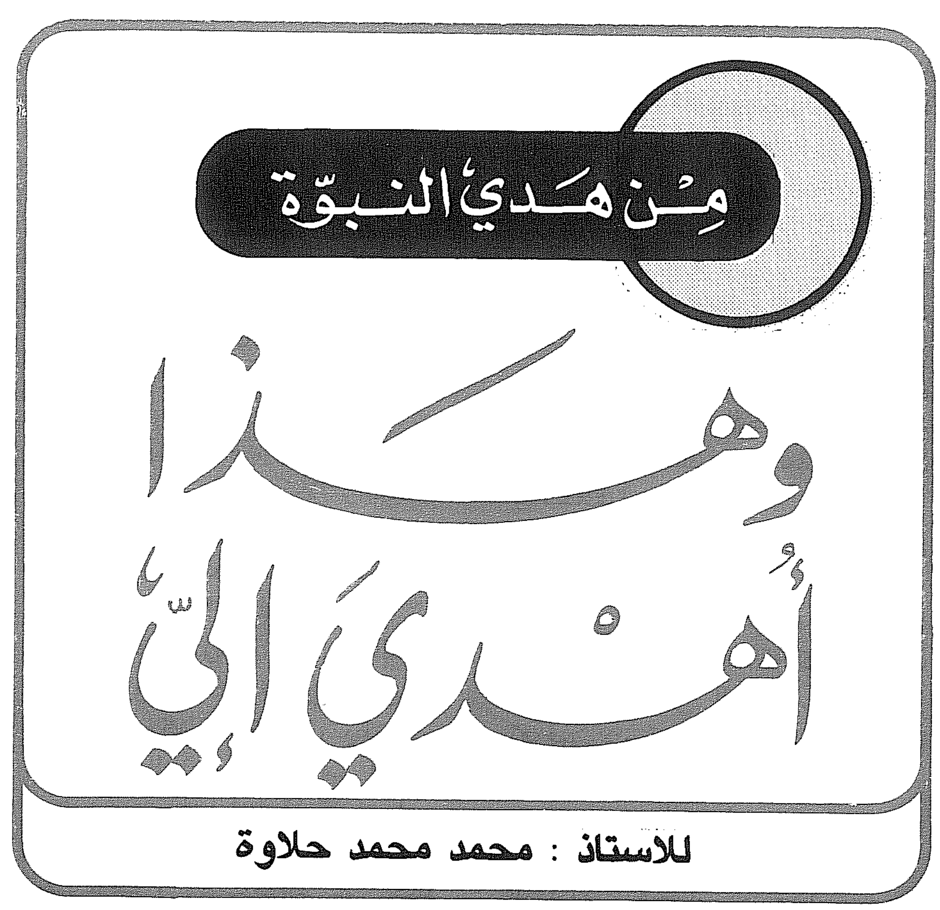
ومن هؤلاء وأمثالهم كان يخشى رسول الله على أتباعه :

« إني لا أخاف عليكم مؤمنا ولا مشركا ، ولكني أخاف عليكم كل عليم اللسان ، منافق الجنان ، يقول ما تعرفون ، ويفعل ما تنكرون ».. رواه الحاكم وصححه ..

إن دين الله واحد ، وشريعته متكاملة ، لا تعرف الأجزاء ولا التفاريق ، فحذار ثم حذار ، ممن يتجرأون على شرع الله ، ويفتاتون عليه ، ليحطموه بمعاولهم ، ويخضعوه لأهوائهم ، تحت ستار الشعارات البراقة ، والمسوح الكاذبة .. إنهم أعداء الاسلام الحقيقيون ، الذين يجب التنبه لهم ، والقعود لهم بكل مرصد ..

فهل من صحوة تخمد النفاق ، وتحكم عليه الخناق ، ليحل الوفاق ، ونطرد من دنيا المسلمين أشباح الشقاق ؟

ذلك ما نرجو !! وعلى الله قصد السبيل ..



للاستاذ : محمد محمد حلاوة

عن أبي حميد الساعدي ـ رضي الله عنه ـ قال : استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني اسد يقال له ابن اللتبية على صدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم ، وهذا أهدى الي ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : « ما بال العامل نبعثه فيأتي فيقول : هذا أهدى الي ، فهلا جلس في بيت ابيه وامه فينظر ايهدى له ام لا !!

والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته : ان كان بعيرا له رغاء ، او بقرة لها خوار ، اوشاة تبعر ، ثم رفع يديه حتى رأيناها في ابطيه الا هل بلغت ! الا هل بلغت ! الا هل بلغت ! »

رواه البخاري ومسلم

تربط الناس بعضهم ببعض روابط كثيرة ومختلفة ، سنة الحياة ، ولن تجد لسنتها تبديلا وتتعقد هذه الروابط وتتشابك كلما تقدمت المجتمعات البشرية عمرانا وحضارة ، ذلك لأن الانسان لا يمكن ان يعيش بمعزل عن الآخرين ، لانه في حاجة اليهم ، وهم في حاجة اليه .

وتختلف هذه الروابط في طبيعتها ، واهميتها ، واثرها ، والدائرة التي تعمل في نطاقها اختلافا كبيرا ، وان كانت كلها تلتقي عند نقطة واحدة ، وتتجمع على هدف واحد هو سعادة الفرد ، وسلامة المجتمع . فالرابطة الزوجية مثل تحدد العلاقة بين الزوج وزوجته ، وما لكل قبل الآخر من حقوق ، وما عليه له من التزامات ، ومحيطها لا يتعداهما ، ورابطة الصداقة تحدد العلاقة بين اثنين او اكثر من الاصدقاء .. وهكذا . ومن الروابط ما يتسع مداه فيشمل فئة خاصة ، او مهنة معينة ، او قطاعا من القطاعات ، او مؤسسة من المؤسسات ، ومنها ما ينتظم الامة كلها ، وقد تمتد فتشمل الانسانية بأسرها .

وقد وضع الاسلام لهذه الروابط جميعها ، وفي كل صورها وحالاتها من القواعد المحكمة ، والضوابط المنظمة ، وسن لها من الاحكام والقوانين ـ ما يكفل للانسان هناءته في الدنيا ، وسعادته في الاخرة ، ولم يترك ثغرة من الثغرات الا سدها ، ولا شبهة الا ازالها ، ولا غموضا الا وضحه ، ولا تساؤلا الا أجاب عنه ، فكان بحق خاتم الديانات : (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**) المائدة / ٣

ويفيض كتاب الله سبحانه وتعالى ، واحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم في ذلك بما يبهر ويسحر ويعجز : فمن الكتاب : (**يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**) النساء / ١٩ (**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض**) آل عمران / ١٩٥ :(**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**) الاسراء / ٢٣ و ٢٤ (**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا**) النساء / ٣٦ (**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا ..**) الاسراء / ٣١ (**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**) الحجرات / ١٣ .

ومن السنة : عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما النساء شقائق الرجال » اخرجه أبو داود . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم اخو المسلم . لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يحقره . بحسب امرىء من الشر ان يحقر اخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه . ان الله لا ينظر الى صوركم واجسادكم ، ولكن

ينظر الى قلوبكم واعمالكم . التقوى ها هنا . التقوى ها هنا ـ ويشير الى صدره ـ الا لا يبع احدكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله اخوانا » رواه مسلم .
وعن أبي نضرة : حدثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق فقال : « يا أيها الناس ألا ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، الا لافضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر الا بالتقوى » اخرجه الامام احمد .
غير ان النفس البشرية بما جبلت عليه من جشع ، وغرور ، وانانية ، وبما ركب فيها من غرائز حب السيطرة ، والسيادة ، والتملك ، والجاه ، والمجد ، والشهرة ، وامام مفاتن الحياة ومغرياتها ـ وجدت في هذه القواعد ، وتلك الاحكام ما يمسك بعنانها ، ويوقف من جماحها ويقف في سبيل اطماعها ونزواتها ، فحاولت ولا تزال تحاول ، وفي صراع عنيف مستميت ان تتحلل منها ، او تبتعد عنها ، او تخرج عليها ، ولجأت في ذلك الى اساليب مختلفة وملتوية بعضها يعتمد على القوة والطغيان وبعضها يعتمد على الحيلة والدهاء ، وجميعها تتحالف مع الهوى والشيطان ، فكان الاستبداد والاستعباد ، والتسلط والتعدي والظلم والنهب ، والغش والاحتيال والكذب والنفاق ، والرشوة والهدايا ، وغير ذلك كثير وكثير .. وتحت ستار (الغاية تبرر الوسيلة) و(البقاء للاقوى) وغيرهما من الشعارات الخادعة اخذت الوصولية تمد مخالبها وانيابها تفترس كل حق ، وتلتهم كل خير ، وتبتلع كل حب ، وتمزق كل وئام .
وقد تفشت الرشوة في السنوات الاخيرة تفشيا ظاهرا كاسلوب رخيص للوصول واصبح بها كل شيء يباع حتى الذمم والضمائر .
وانتهى الامر بالهدية فاصبحت رشوة مقنعة بل صارت مكشوفة حتى انه ليصعب عليك ان تفرق بينهما ، ان خيطا واهيا جدا ، ودقيقا جدا يكاد لا يبين يفصل بين الهدية محرمة ، والهدية مباحة ، فاي صديق يهدى صديقه ، ثم لا تحدثه نفسه او تراوده . بشيء ما اي شيء !! وكم زوجا يهدي زوجته هدية ثم لا ينتظر ردا او مقابلا !! وهل لا تؤثر الهدايا من الآباء لابنائهم ، او من الابناء لآبائهم اثرا اي اثر فتنعكس تدللا في الابناء ، وهوى في الآباء لابنائهم او من الابناء لآبنائهم اثرا اي اثر فتنعكس تدللا في الابناء ، وهوى في الاباء !! فما بالك اذا كانت الهدية من مرءوس لرئيس ، او محكوم لحاكم ، او صاحب حاجة لمن يملكها !! ولهذا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجرد ان سمع قول عامله ابن اللتبية : « هذا لكم وهذا اهدي الى » قام من فوره وصعد المنبر متعجبا منه ومنكرا عليه « ما بال العامل نبعثه فيأتي فيقول : هذا اهدي الي !» ثم زاجرا له ومعنفا « فهلا جلس في بيت ابيه وامه فينظر ايهدي له ام لا ؟! » ثم منذرا اياه ومحذرا من مغبة هذا الجرم العظيم مؤكدا ذلك بالقسم « والذي نفسي بيده لا يأتى بشيء الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته : ان كان بعيرا له رغاء ، او بقرة لها خوار ، او شاة تيعر ، ولا يكتفي بذلك بل يرفع صلى الله عليه وسلم يديه حتى ابطيه منبها المسلمين ، وكأنما

يشهد الله عليهم « الاهل بلغت . الا هل بلغت . الا هل بلغت » .

والان فمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيش في رحابه لحظات : « فقام النبي صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال » استخدام الفاء الدالة على التعقيب هنا يدل على ان الموضوع الذي سمعه من عامله موضوع خطير لا يحتمل التأخير ، وقيامه صلى الله عليه وسلم في هذا المقام دلالة على ذلك ، وعلى مدى اهتمامه به ؛ وصعوده المنبر يؤكد هذا الاهتمام ، واستخدام ثم بعد « واثنى عليه » درس عظيم نتعلم منه الا يشغلنا عن حمد الله وشكره شاغل مهما كان عظيما وخطيرا .

« ما بال العامل نبعثه فيأتي فيقول : هذا اهدي الي ! » .

يتعجب الرسول صلى الله عليه وسلم مما صنع عامله ، ويستنكر عليه ذلك باسلوب الاستفهام « ما بال العامل » ، والتعقيب في « فيأتي » بعد « نبعثه » يفيد سرعة استجابة المسلمين للعامل في جمع الصدقات ، وطاعتهم لاوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحذف الجملة الاولى من كلام عامله « هذا لكم » لتسليط الاضواء على القضية الاساسية ، وهي الهدية ، و« اهدي الي » مبنية للمجهول اما للاختصار او للرغبة في عدم التصريح باسماء المهدين لسبب او لآخر ، او لكلا الامرين معا .

« فهلا جلس في بيت ابيه وامه فينظر ايهدي له ام لا ! »

تعنيف شديد من الرسول صلى الله عليه وسلم لعامله يزيد في شدته هلا الدالة على الزجر ، والتعبير بلفظي ابيه وامه ، وهو يشير في الوقت نفسه الى مبعث الشبهة في الهدية ، فلولا هذا المنصب الذي اسند اليه ما احس احد به ، ولا فكر في اهدائه وكلمة « ينظر » هنا تناسب الموقف تماما ، فان الامر فعلا في حاجة الى التأمل الواعي ، والتدبر العميق .

« والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته : ان كان بعيرا له رغاء ، او بقرة لها خوار ، او شاة تيعر » .

تصوير بياني رائع يستبشع به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اقدم عليه عامله من قبول الهدايا هكذا وبسهولة كان ليس في الامر شيء ، ويبين فيه ما ينتظره من عقاب اليم يوم القيامة ، يصدر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا التصوير بهذا القسم العظيم الذي يختاره في مواقف معينة لاهميتها وخطرها ، ويستخدم فيه كلمة « شيء » لتحقير الهدية ايا كان شأنها وينكرها لتعم كل هدية صغرت ام جلت ، قلت ام كثرت ، ويأتي بالمضارع « يحمله » لاستحضار الصورة حتى تتضح بشاعتها فيكون ذلك ادعى الى النفور منها ، ويختار كلمة « رقبته » مع ان الحمل اساسا يكون على الرأس والظهر والكتفين امعانا في الاذلال والخزى ، وايماء بوطأة الالم ، وللاشارة الى انه بقبول الهدية قد قتل نفسه ، فان الرقبة مقتل من مقاتل الانسان ، وتتواكب كلمات البعير والبقرة ، والشاة والرغاء ، والخوار ، لتستكمل الصورة جوانبها الفنية صوتا ولونا وحركة ، في لفظ سهل ، وعبارة

واضحة ، ونسق جميل بديع .
ثم رفع يديه حتى رأيناها في ابطيه الاهل بلغت الا هل بلغت ، الا هل بلغت ، رفع اليدين في حد ذاته يسترعي الانظار ، فاذا جاوز المعتاد كان ذلك بمثابة انذار شديد يقرع الاذان ، ويفتح الاذهان لتكون على اقصى درجة من الاستعداد لتقبل ما يلقى عليها وتدبره ، ويأتي التنبيه بعد ذلك في « الا » والاستفهام الذي يقصد به التقرير في « هل » والتكرار ثلاث مرات ، ليستقر الامر في النفوس ، ويرسخ في العقول ، ويصبح عقيدة ويقينا في القلوب ،
وليس بخاف بعد هذا التحليل لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الهدية تحمل في طياتها اشياء واشياء ، وتخفى وراءهامعاني ومعاني وبخاصة اذا كانت في المقدمة اليه يظنه نفع قريب او بعيد ، واقع او محتمل ، مما يلقي ظلالا قاتمة عليها ، ويلبسها ثوب الشبهة ، بل الحرمة « ان الحلال بين وأن الحرام بين ، وبينهما امور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه الا وان لكل ملك حمى ، الا وان حمى الله محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهي القلب » رواه البخاري ومسلم .
ولعل هذا هو السر فيما درج عليه ائمة المسلمين في العصر الاول من التوقي الشديد والتحرز الكامل في محاسبتهم لانفسهم ، ومحاسبتهم لعمالهم وولاتهم مما سجلته كتب التاريخ والسيرة باحرف من نور . ولا يأخذنك العجب ، فلو عرفت ما تجره الهدايا والرّشا علىالمجتمع الاسلامي اليوم من مآس ومخاز ، وآثام لجزعت وفزعت وانك لتسمع وترى في ذلك ما تقشعر له الابدان ويندى له جبين الزمان ، فكم ظلمت وحابت . اعطت من لا يستحق ، ومنعت من يستحق . ورفعت مغمورين ، وغمرت موهوبين اخرت كفاءات وقدمت « نفايات » قلبت الحق باطلا ، والباطل حقا ..
وها هم اولاء ضحاياها في كل مكان آدهم البؤس وحطمهم اليأس فكفروا بالقيم وكفروا بالحياة .
وقد تنبهت بعض الحكومات الى ما تحدثه الهدايا من تمزق في المجتمع ، وما تنفثه فيه من سموم الحقد والعداوة والبغضاء ، وما تجره عليه من ويلات فحرمت تقديم الهدايا الى الرؤساء ، وفي الحفلات خاصة وعامة وفرضت على من يقدمها ويقبلها عقوبة رادعة .
وبعد فلا حرج في الهدية في مناسبتها المشروعة : خطبة ، زواج ، نجاح .. اذا خلت من الغرض ، وكانت خالصة لله ولم يتبعها من ولا اذى ، ولم يستغلها المهدي أو المهدي اليه فيما يخرج بها عن معناها الاسمى : التقدير والحب والوفاء .
نسأل الله ان يلهمنا السداد والصواب ، وان ينأى بنا عن مواطن الشبهات ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله والله اعلم ،

وقفة تأمل

لا تعجب

● في عصر حضارة القرن العشرين .. في عصر منظمة « الأمم المتحدة » .. في عصر « مجلس الأمن الدولي » في عصر « غزو الفضاء » و « التكنولوجيا » .. وفي ظل « حقوق الانسان » ومع دعوات « الحرية » و « التقدمية » .. وفي عصر « الاستقلال » والتحرر من الاستعمار .. ياسعادة انسان القرن العشرين !!

● فالدولة العظمى « امريكا » أليست هي صاحبة « تمثال الحرية » الشهير ؟ ومن اجل هذا فلا فرق بين « السود » و « البيض » على ارضها .. وهي تقف بحزم في وجه العدوان مهما كان مصدره .. ولذا فانها بعد ان ضربت بيد اسرائيل وقنابلها « العنقودية » ثم « الفراغية » أرغمت المعتدين الآثمين « من الفلسطينيين » المشردين على الخروج من « بيروت » والى اي مكان .. جزاء صمودهم ، وقيامهم في وجه الغزاة ، وعنادهم واصرارهم على مقاومة « المصلحين » من بني اسرائيل .. تلك هي الحرية التي تعرفها امريكا ..

● والدولة العظمى « روسيا » أليست هي ناصرة الشعوب المقهورة ؟ اليست هي الواقفة بحزم الى جانب حركات التحرر في العالم ؟ وهي لذلك تساند الحكومة الأفغانية في مواجهة الثائرين المسلمين المجاهدين .. والذين يرفضون تواجد القوات الروسية في بلادهم .. وهي ما جاءت الا لانقاذهم .. وليس لاذلالهم !!

● والدول المتطورة .. ألم تحاول ازالة مظاهر التخلف في العالم بمساعدة « جنوب إفريقيا » « وإثيوبيا » و « إسرائيل » وغيرها لتتولى مهمة التغيير بابادة شعوب لا حق لها في الحياة ..

● ودول العالم الثالث .. يتولى قيادة الحكم فيها زعامات وطنية لا ترضى لشعوبها الا الحياة الفاضلة الهادئة العاقلة .. ولهذا فانها تضع « المشاغبين » في غياهب السجون ، وتذهل « الخارجين » عن سلطانها حتى عن اسمائهم .. وتحل دماءهم واموالهم واعراضهم حتى تنعم الشعوب بالحياة الناعمة في ظل « الزعيم الملهم » أو « القائد الفذ » أو « البطل الهمام » .

● أرأيت أخي حضارة القرن العشرين ، وكيف انقلبت المفاهيم رأسا على عقب .. وأفرغت الأسماء من مسمّياتها .. ورفعت شعارات بلا مضامين .. بل دلّت الأسماء والشعارات على النقيض تماما .. فالحرية تعني العبودية .. ونصرة الضعيف تعني امتصاص دمه حتى النقطة الأخيرة .. والمعتدي الطاغي هو المغلوب على امره المقهور الارادة .. ولا تعجب .. فلم يعد هناك موطن للعجب في زمن العجائب والغرائب .. حيث اصحاب الأرض السليبة .. والمشردون في الخيام .. الحالمون بفجر جديد .. المحاصرون من الطغاة الآثمين .. الصامدون في وجه الاجرام القبيح .. يجبرون على الرحيل .. والى اين ؟؟.. وعلى مرأى من الاخوة والأهل والعشيرة .. ياعار **القرن العشرين** .. للاسلام عودة .. **ويومها يفرح المؤمنون بنصر الله .**



لماذا كان الدين عند الله الإسلام

للاستاذ : محفوظ امين غريب

إذا قرأ إنسان مادة « سلم » في معجم من معاجم اللغة وجد ان المعنى المجرد لكلمة « إسلام » هو الانقياد والاستسلام والاذعان بلا اعتراض .

وبناء على هذا يثبت لكل ذي عقل وبصر إن المقصود بكلمة « إسلام » من ناحية علاقة الانسان بربه الانقياد والإذعان والامتثال لله في امره ونهيه على لسان الوحي الذي جاء من عند الله على أيدي الرسل والانبياء :

(ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا) النساء / ١٢٥

من أجل ذلك فان من يقرأ القرآن - المصدق لكتب السماء كلها - يجد فيه

ما يدله على أن الاسلام دين الرسل والأنبياء من لدن آدم حتى الرسالة الخاتمة التي جاء بها خاتم الرسل والأنبياء محمد بن عبد الله ..

إن نوحا عليه السلام ـ بعد أن جاهد جهاد أولي العزم في تبليغ الوحي ـ حذر قومه من الإعراض، وأعلن في قوة أنه مستمسك بعروة الاسلام الوثقى، امتثالا لأمر الله: **(واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون . فان توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين)** يونس / ٧١ و ٧٢ .

ولنتفكر في دعاء ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام وهما يبنيان قواعد البيت الحرام، فقد دعوا الله أن يجعلهما مسلمين، ويجعل من ذريتهما أمة مسلمة له تعالى، وأن يبعث في آخر الزمان رسولا من ذريتهما ليضع اللبنة الأخيرة التي تعطي صرح الاسلام الصورة النهائية الكاملة، فكان هذا الرسول الخاتم هو محمد عليه الصلاة والسلام: **(ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم)** البقرة / ١٢٨ و ١٢٩ .ووصى ابراهيم أبناءه بهذه الملة، ملة الاسلام، ووصى يعقوب عليه السلام بها أيضا بنيه؛ لأنها ملة لا يعرض عنها إلا من أذل نفسه واستخف بها وأخضعها للأوهام والأضاليل: **(ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحدا ونحن له مسلمون)** البقرة / ١٣٠ ـ ١٣٣ .

وما دعا لوط عليه السلام إلا إلى الاسلام، فها هم الملائكة الذين كلفهم الله تعالى بقصف قوم لوط بالحجارة يستثنون من القصف بيتا أهله مسلمون: **(قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين . لنرسل عليهم حجارة من طين . مسومة عند ربك للمسرفين . فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)** الذاريات / ٣٢ ـ ٣٦ .

وتحكي قصة يوسف عليه السلام أن يوسف كان يقر بفضل الله عليه ويدعو ربه أن يتوفاه مسلما: **(رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا**

والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين)يوسف / ١٠١

ولقد بث موسى عليه السلام في قومه روح الاسلام ليصمدوا أمام جبروت فرعون : (**وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين**)يونس / ٨٤ .

ولهذا أشهد فرعون العالمين ـ حين أشرف على الغرق ـ أنه مسلم ، وقد جعل الله تعالى من إسلامه ، الذي جاء متأخرا بعد يأسه من النجاة وكان قبل عاصيا فاسدا ، جعل الله من إسلامه آية للناس أجمعين ، فنجاه ببدنه من أجل إسلامه : (**وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون**)يونس / ٩٠ ـ ٩٢ .

ويشهد واحد من الطير أن سليمان عليه السلام قد دعا الى الاسلام ؛ فلقد ذهب « الهدهد » من قبل سليمان يحمل إلى « بلقيس » ملكة سبأ وقومها دعوة الاسلام :(**وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين . لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين . فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين . إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم . قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون . قالت يأيها الملأ إني ألقي إلى كتاب كريم . إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين**)النمل / ٢٠ ـ ٣١ .

وهدى الله « بلقيس » الى دين الفطرة ، دين العالمين ، فهتف انها أسلمت مع سليمان لله رب العالمين :(**قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين**)النمل / ٤٤

وقد أشهد أنصار عيسى ـ عليه السلام ـ الله تعالى انهم مسلمون ليميزهم بإسلامهم من الكافرين الذين كفروا بالوحي الذي جاء به عيسى من عند الله (**فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين**)آل عمران / ٥٢ و ٥٣

وكان هذا الوحي المنزل بالاسلام موصولا يتبع بعضه بعضا ، ليتصل تذكير الناس حتى يكونوا من

المهتدين ، ولذا آمن ذوو القلوب والعقول النقية من أهل الكتاب بالقرآن ، خاتم الوحي ، وأقروا أنه الحق من ربهم وأنهم مسلمون قبل إنزاله :

(ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون . الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) القصص / ٥١ ـ ٥٣

إن مضمون هذا الوحي المتصل من لدن آدم حتى محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام أنه لا إله إلا الله فاعبدوه أيها الناس في كل زمان ومكان : **(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)** الانبياء / ٢٥

(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) النحل / ٣٦

وقد اخذ الله تعالى على النبيين كلهم عهداً موثقا بتبليغ هذا الدين الواحد :

(وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا . ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما) الاحزاب / ٧ و ٨

وإذا قارن إنسان بين معجزات الرسل وبين معجزة محمد عليه الصلاة والسلام لوجد أن معجزة كل رسول قبل محمد حسية ، وأن معجزة محمد عقلية ، وما علة ذلك الا أن كل رسول قبل محمد قد أرسل لقومه خاصة وأما محمد فهو رسول البشرية كلها . وهذا يقنع ذوى الألباب بفكرة خلود معجزة القرآن الكريم مبرأ من التحريف والتبديل الى أن يرث الله الارض ومن عليها : **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** الحجر / ٩

إن الله تعالى شاء أن تكون رسالة محمد عليه الصلاة والسلام هي المرحلة النهائية لرسالات السماء ؛ لتوائم آخر مرحلة يصل إليها عمر البشرية العقلى ، فالحكيم الخبير سبحانه شاء أن ينزل وحي الاسلام مجزأ وفق عمر البشرية العقلى ووفق حاجات الأمم والأجيال ؛ فالاسلام الذي جاء به عيسى عليه السلام أشمل مما جاء به موسى عليه السلام وما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام أشمل وأوسع مما جاء به الرسل جميعهم : **(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء)** النحل / ٨٩ ولذا كانت بعثة محمد مؤيدا بالقرآن إكمالا لصرح الدين : **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)** المائدة / ٣

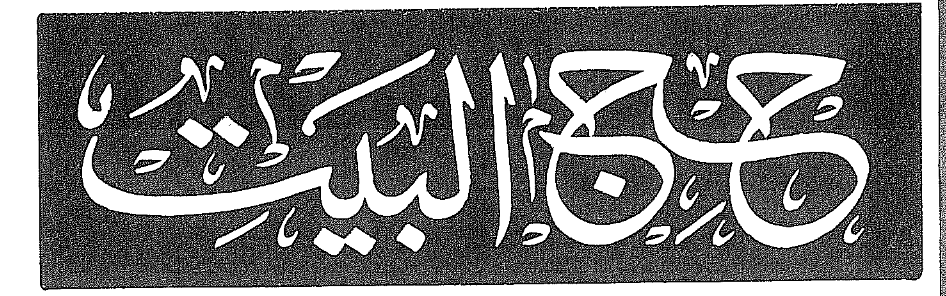
لا شك ـ بعد هذا ـ في أن أي انسان منصف يتقبل بقبول حسن ما جاء في حديث محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام : « مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بني بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت

هذه اللبنة فأنا تلك اللبنةوأنا خاتم النبيين » أخرجه الشيخان .

ولا شك أيضا في أن هذا الانسان المنصف لن يجد حرجا في تقبل ما جاء في حديث شريف آخر رواه الامام « أحمد » في مسنده حول نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام آخر الزمان لينشر الاسلام ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الانبياء إخوة لعلات ،دينهم واحد وأمهاتهم شتى وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع يميل الى الحمرة والبياض ، سبط كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، بين ممصرتين ـ هي الثياب التي تميل الى الاصفرار ـ فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويعطل الملل حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الاسلام ويهلك في زمانه المسيح الكذاب وتقع الأمنة في الارض حتى ترتع الابل مع الأسود جميعا والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه ».

ولعله قد تجلى الآن لذوى العقول والأبصار أن الاسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام هو خاتم الرسالات ، وأن البشرية كلها أمة محمد صلى الله عليه وسلم : (**قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا**) ـ الاعراف / ١٥٨ (**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا**)سبأ / ٢٨

ويتجلى أيضا لذوى العقول والابصار ان تعدد الأديان أمر لم يرد به نص ، ولا يتقبله ذوو القلوب السليمة ، وإلا فليأت أحد بما يثبت أن كلمة (دين) جمعت على أديان :(**وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم . صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون**)البقرة/١٣٥ ـ ١٣٨ فليهنأ المسلم بالاسلام ويعتصم به ، وليحذر الذي يبتغي غير الاسلام دينا ويحاسب نفسه ؛ لأن رب العالمين قد حدد الطريق الأوحد لفوز الانسان في الدنيا والآخرة حين قال في القرآن خاتم كتب السماء :(**إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب**)آل عمران / ١٩ (**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**)آل عمران / ٨٥



في القرآن والسنة

للاستاذ / : محمد نعيم عكاشة

.. سجل الاسلام منذ اكثر من اربعة عشر قرنا أعظم وثيقة لحقوق الانسان عرفها التاريخ حتى وقتنا هذا ..

فأين العالم اليوم - شرقه وغربه - من المبادىء الانسانية التى أرساها نبي الاسلام في خطبته المشهورة بعرفة .. ووفرت للناس الأمن والامان في النفس والمال والعرض ..؟! اين ..؟!

في كل عام تتجدد الرحلة الروحية المباركة الى بيت الله الحرام .. وتزحف على مكة وفود الحجيج القادمة من شتى بقاع الأرض لاداء فريضة الحج .. والنزول في ضيافة الرحمن .. والعيش في الرحاب المقدمسة اياماً معلومات ..

وترى الاعناق وقد أشرأبت الى السماء .. والألسن تلهج بالدعاء .. ونداء التوحيد يتردد في جنبات الوادي وبين المشاعر الحرام ..

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك » ..

ويغطي الارض الطهور على امتدادها القائمون والركع السجود .. الكل في تجرد وايمان وصفاء ومحبة .. والتماسا لمغفرة الله .. وطلبا لعفوه ورضاه ..

وداخل البيت العتيق وحول الكعبة المشرفة (قبلة المسلمين) تتدافع وفود الحجيج ، وتتلامس الايدي والاكتاف في دوران منتظم .. سبعة اشواط بالتمام والكمال .. طواف قدوم وعبادة ..

فسبحان من بيده ملكوت السموات والارض .. سبحان خفي الألطاف .. وعالم الأسرار ..

وتزدحم النفس بأحداث الماضي المجيدة .. فمنذ أربعة عشر قرنا أو يزيد ، انبعثت من ارض الجزيرة العربية انوار الرسالة المحمدية . تبشر بدين جديد افاء على العالم كله حضارة وعدالة وأمنا ..

ذكريات عزيزة يحسها كل البشر .. وتستشعرها الانسانية في كل مكان .. ذكريات غالية تملأ وجدان المسلمين ، وتفيض بها مشاعرهم .. ذكريات ارض النبوة .. ومهبط رسالة التوحيد ، ونزول القرآن الكريم .. وفي كل خطوة على طريق الحج تتجلى اروع صور المساواة في الاسلام .. بين فرد وآخر .. بل الكل سواء في لباس متحد الشكل ، ناصع البياض .. تحركهم عقيدة واحدة .. وتدفعهم من مكان الى مكان فريضة معلومة من الدين بالضرورة ..

وتتفاعل المشاعر في بوتقة الايمان .. ويعكف القلب على الاستزادة من العبادة والضراعة والاستغفار .. واحد احد بيده الملك .. واليه المصير ..

وتتوارد الخواطر عن حلاوة الايمان .. وسعادة الانسان في ظل الله .. وشقاء البشر بالنظم المادية وقوانين الارض ..

الشيوعيون والماديون فقدوا الطريق ؟! .. وباطلهم ضد الحج مردود عليه

وأي تعاسة للماديين الذين غرقوا في بحور الاهواء والشهوات .. وشاعت في مجتمعاتهم موجات عارمة من الانحلال والتمزق والاكتئاب النفسي .. وأدت الى الكثرة من حالات الانتحار بين الأفراد بصورة مزعجة وكئيبة ..؟!

وما اشده من بؤس للشيوعيين الذين تفننوا في تأليه الحاكم الفرد المخلوق الى زوال ؟!.. وانكار الخالق الواحد الحي القادر على كل شيء .. ان العقول المادية ما فتئت تهاجم الحج وأعماله في الاسلام ، وهي بلا شك عقول قاصرة على ادراك حقيقة العبودية لله ، والامتثال لأمره في اصل من أصول التكليف .. بل وكيف يستقر للشيوعيين الفهم الصحيح وقد ترسبت في أعماقهم منذ الصغر تعاليم ماركس ولينين الباطلة ؟!..

ويجيء الرد قاطعا على اولئك وهؤلاء في قوله تعالى :

(ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) (سورة ال عمران /٩٧)

ـ فحمدا يارب وشكرا على الايمان ونعمة الاسلام ..

الحج في الاسلام .. وما قبله

والحديث عن الحج في الاسلام يستهوي الفؤاد ولا ينتهي .. ونكتفي هنا بلمحة سريعة عن فرضيته وحكمته ..

فقد علم الحق تبارك وتعالى ابراهيم الحج .. وعلمه ابراهيم للناس ، أذن بالحج : أي أعلنه : توجه ابراهيم عليه السلام الى الجهات الأربع جهة بعد أخرى ينادي بالحج .. ثم حج باسماعيل ومن معه من المسلمين من جرهم سكان الحرم آنذاك ..

ومن يومئذ صار الناس يحجون .. **(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير)** (سورة الحج / ٢٧ و٢٨)

وكان الحج معروفا من قبل في الجاهلية ، فكانوا يحجون قبل الاسلام ، ويطوفون بالبيت وهم عراة على عادة العرب في ذلك .. فلما جاء الاسلام ازال ما أصرفوا فيه من الشرك والمنكرات ، وزاد فيه من العبادات .. كما كان موجودا في الشرائع السابقة ، حتى لقد قيل ان آدم عليه السلام حج عدة مرات ، وان جبريل أخبره بان الملائكة كانوا يطوفون قبله بالبيت .. وادعى ابن اسحاق : ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد ابراهيم الا حج .. وادعى غيره : انه ما من نبي الا حج ..

والدليل على ان الحج كان في العرب قبل الاسلام ، آيات في القرآن الكريم ، وأحاديث في كتب الصحيح ، وأخبار في كتب السيرة والتاريخ ..

أما الآيات والأحاديث ، فمنها قوله تبارك وتعالى في سورة الحج :

(وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ، واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) (الآيتان : ٢٦ و٢٧)

وقوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة :

(إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع

خيرا فان الله شاكر عليم) (الآية : ١٥٨)

روي البخاري ومسلم عن الشعبي قال : كان صنم بالصفايدعى اساف ، ووثن بالمروة يدعى نائلة - فكان اهل الجاهلية يسعون بينهما ، فلما جاء الاسلام رمي بهما ، وقالوا : انما كان ذلك يصنعه اهل الجاهلية من اجل اوثانهم ، فامسكوا عن السعي بينهما ، فانزل الله تعالى :(**ان الصفا والمروة من شعائر الله)**

حج المسلمون .. وكفر به غيرهم !

وجاء في بعض الروايات انه لما نزلت آية الحج جمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أهل الملل من مشركي العرب والنصارى واليهود والمجوس والصابئين وقال لهم :

« ان الله قد فرض الحج فحجوا البيت »

فلم يقبله الا المسلمون وكفر به غيرهم ، وقالوا : لا نؤمن به ، ولا نصلي اليه ، ولا نستقبله ، فأنزل الله سبحانه وتعالى :

(ومن كفر فان الله غني عن العالمين) (سورة آل عمران : ٩٧)

السنة تفصل مجمل القرآن

وقد بين الله سبحانه المواقيت الزمانية للحج في قوله تبارك وتعالى :

(الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الالباب) (سورة البقرة : ١٩٧)

وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أماكن واسماء مواقيت الحج في السنة النبوية المطهرة التي تكفلت بتفصيل ما أجمل القرآن الكريم .. فالرسول - صلى الله عليه وسلم - له أمر تبيين ما جاء في القرآن مجملا بقوله تعالى :

(وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون)(سورة النحل : ٤٤)

فكل بيان من الرسول بمجمل في القرآن ، فهو عن الله ..

مكانة الحج في الاسلام .. ووجوب نفقته الطيبة

والحج في الاسلام دعامة من دعائم الدين ، وركن من أركانه الخمسة الذي لا يستقيم اذا قصر المرء في واحد منها .. لقوله سبحانه وتعالى : « **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)** وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « بني الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا » .

وقد جاء فرضه بنص القرآن في سورة آل عمران : **(إن اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن كفر فان الله غني عن العالمين)** (٩٦و٩٧)

ورجح العلماء ان فرض الحج كان في سنة ست من الهجرة ولكن لعدم استطاعة المسلمين الحج ومكة في ايدي المشركين ، لم يحجوا الى ان فتحت مكة في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة ، ولما استقر الامر فيها رجع رسول الله بمن معه الى دار هجرته ، وولى امر مكة عقاب بن اسيد بن ابي العيض بن امية ، وجعل معه معاذ بن جبل ليعلم الناس الفرائض والسنن ، الى ان كانت سنة تسع ـ وقيل هي التي فرض فيها الحج ..

وكل ما ورد في القرآن في شأن الحج تضمنته سور مدنية ، لأنه فرض في المدينة بعد فتح مكة الا أربع آيات من سورة الحج نزلت بين مكة والمدينة والنية الصادقة الخالصة لوجه الله أساس لاداء الفريضة .. والاستطاعة مشروطة بالمال الحلال والنفقة الطيبة .. قال الامام احمد رضي الله عنه : « ان الله طيب لا يقبل الا طيبا » .. وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه : ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « اذا خرج حاجا بنفقة طيبة ، ووضع رجله في الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء : لبيك وسعديك زادك حلال ، وراحلتك حلال ، وحجك مبرور غير مأزور .. واذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الفرز ، فنادى : لبيك ، ناداه مناد من السماء ، لا لبيك ولا سعديك ، زادك حرام ، ونفقتك حرام ، وحجك مأزور غير مأجور .. »

وحسب المرء بعد ذلك ان ينزل في ضيافة الرحمن .. وبين عباده المخلصين .. ويعيش وسط ساحة كريمة لتتجلى فيها وحدة المسلمين .. وتتقوى في رحابها الروابط الاخوية وتتدعم الصلات بين جماهير المسلمين في العالم قاطبة ..

وحسبه ان ينتقل بين مواقع الأحداث العظام التي غيرت وجه التاريخ .. ويستحضر في قلبه عظمة الداعي وجلال الدعوة ..

امتاع للروح والقلب .. ومغفرة للذنب

وأي سعادة تغمر من كتب الله له الحج وشرف الزيارة .. انه يعود من رحلته الروحية هذه وقد ازداد شوقا للحج مرات ومرات .. وعاش حياته تواقا الى تكراره على الدوام ..

واي امتاع للروح والقلب في ممارسة شعائر تلك الفريضة .. والوصول عن طريقها الى رحمة الله ومغفرته ..

سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أي الاعمال أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله . قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » ـ رواه

البخاري

وقال - صلى الله عليه وسلم - « الحجاج والعمار وفد الله ان دعوه اجابهم ، وان استغفروه غفر لهم » - رواه البخاري وابن ماجة وابن خزيمة وابن حبان ..

وقوله عليه الصلاة والسلام : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته امه » - رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه .. وفي رواية للترمذي : انه قال : « غفر له ما تقدم من ذنبه » ..

حجة النبي - صلى الله عليه وسلم -

ومن الثابت ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يحج البيت الا مرة واحدة بعد فرض الحج وكان في السنة العاشرة للهجرة ، وان المسلمين حجوا الى البيت في السنة التاسعة - بعد سنة فتح مكة - وكان على رأسهم ابو بكر الصديق ، ولم يحج معهم في تلك السنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويقال ان السبب في هذا ان المشركين كانوا لا يزالون مستندين الى صلح الحديبية وكانوا يدخلون المسجد الحرام ، ويطوفون بالبيت عراة على عاداتهم في الجاهلية ويباشرون حول الكعبة طقوسهم الوثنية ، فالرسول اراد ان يؤجل حجه عاما حتى يتم تطهير البيت الحرام من شعائر الوثنية ، ولهذا بعث علي بن ابي طالب مع أبي بكر وامره اذا اجتمع الناس بمنى يوم النحر ان يذيع فيهم رسالته التي تضمنت : ان لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان .. وتطهير الكعبة من الوثنيين ووثنياتهم بعد ان طهرها رسول الله عام الفتح من اصنامهم واوثانهم خلصت الكعبة رمزا لعبادة الله وحده ، وعادت كما طهرها ابراهيم للطائفين والعاكفين والركع السجود ، فلما جاء موسم الحج في السنة العاشرة للهجرة خرج الرسول - صلى الله عليه وسلم - على المسلمين لاداء فريضة الحج .. وهذه هي المرة الوحيدة التي حجها رسول الله عليه الصلاة والسلام وسميت حجة الوداع .. اما عن ذهابه الى البيت الحرام في السنة السادسة للهجرة فمن الراجح انه كان للعمرة وليس للحج كما قيل ..

ووصاياه في حجة الوداع

قال ابن اسحاق : ثم مضى رسول الله على حجه ، فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التي بين فيها ما بين ، فحمد الله واثنى عليه : ثم قال :

● ايها الناس :

اسمعوا قولي فاني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف ابدا ..

● **ايها الناس** :

ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا .. وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن اعمالكم .. وقد بلغت .. فمن كان عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها .. وان

كل ربا موضوع (مهدر) ، وإن لكم رءوس اموالكم لا تظلمون وتظلمون .. قضى الله انه لا ربا ، وان ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله .. وان كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وان اول دمائكم وضع دم ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب ، وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل ، فهو اول ما ابدأ به من دماء الجاهلية ..

● ايها الناس :

انما النسيء (تأخير حرمة الشهر الى شهر اخر) زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله .. وان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض .. وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ..

● ايها الناس :

اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمن ان كل مسلم اخ للمسلم ، وان المسلمين اخوة ، فلا يحل لامرىء من اخيه الا ما اعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن انفسكم ..

وان الشيطان قد يئس ان يعبد بأرضكم هذه ابدا . ولكنه ان يطع فيما سوى فقد رضي به مما تحقرون (تستصغرون) من اعمالكم ، فأحذروه على دينكم ..

واستوصوا بالنساء خيرا ، فانهن عندكم عوان لا يملكن لانفسهنّ شيئا .. وانكم انما اخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ..

فاعقلوا ايها الناس قولي ، فاني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا ، امرا بينا : كتاب الله وسنة رسوله .. وانتم تسألون عني ، فما انتم قائلون ؟..

قالوا : نشهد انك قد بلغت ، وأديت ، ونصحت ..

وطفق ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ان خطب في الناس يقول : الله أشهد وودع الناس ، فقالوا : هذه حجة الوداع » ..

اعظم وثيقة لحقوق الانسان عرفها التاريخ

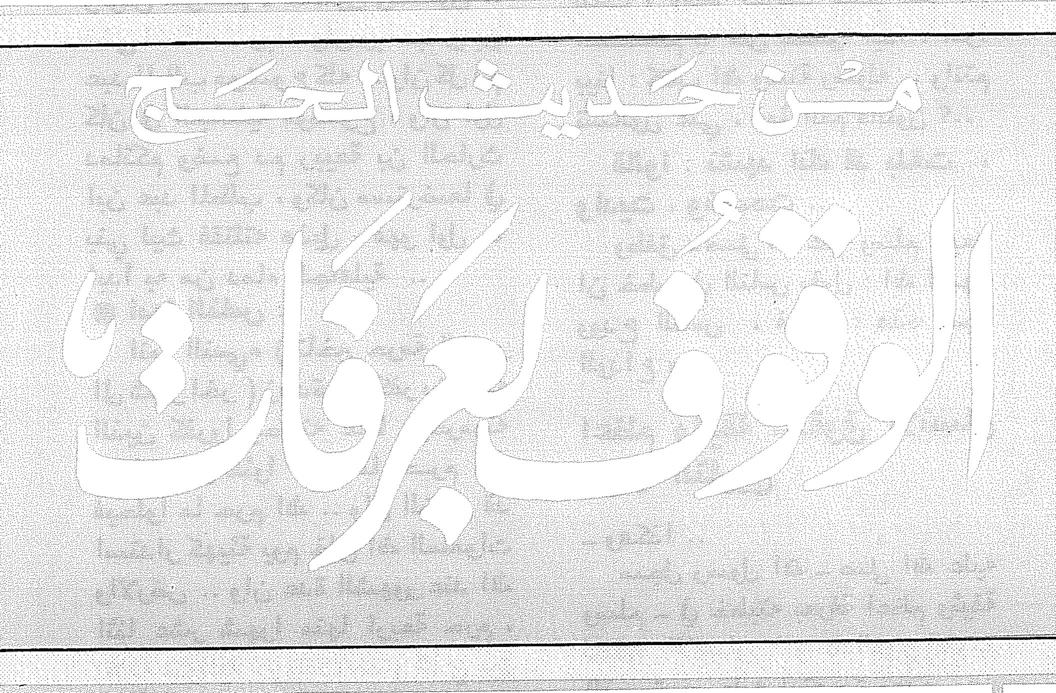
ـ وهكذا ..

سجل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في خطبته بعرفة اعظم وثيقة لحقوق الانسان .. وحدد النهج القويم الذي تسير عليه امته من بعده ..

فأين المتشدقون بالحريات اليوم من هذه المبادىء الانسانية التى ارساها نبي الاسلام منذ اربعة عشر قرنا او يزيد ...؟!

اين هم من البيان المحمدي الخالد ونحن نرى في معظم دول العالم .. الحريات منتهكة .. وحقوق الانسان مهدرة .. والاخلاق في انحدار .. والفضيلة مذبوحة في كل مكان .. والجريمة شائعة بين الافراد بشكل مقلق ومخيف ..

نسأل الله ان يهدينا الى سواء السبيل .. وان يلم شمل المسلمين ، ويجمع قلوبهم على كتاب الله والعمل بشريعة الاسلام في شتى نواحي الحياة .



تحدث القرآن الكريم عن عرفات والافاضة منه في آيتين وردتا في سورة البقرة في قوله تعالى : (**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين . ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم**) البقرة/ ١٩٨ و ١٩٩ .

وقبل تفسير هاتين الآيتين وبيان ما تشتملان عليه من الأحكام يجدر الحديث في إيجاز عما يلي :

- ـ وصف عرفات .
- ـ حكم الوقوف به .
- ـ زمن الوقوف وشروطه .
- ـ سنن الوقوف .
- ـ حكمة الوقوف .

اما عرفات فهو ميدان واسع ، أرضه مستوية ، يبلغ نحو ميلين طولا في مثلهما عرضا ، وتحيط به سلسلة جبال على شكل قوس كبير ، ويمر بطرفي القوس من جهة الجنوب الطريق الى الطائف ، وفي شماليه جبل الرحمة ، وفي أسفل هذا الجبل الصخرات الكبار التى وقف عندها النبي صلى الله عليه وسلم .

في القرآن الكريم

والإفاضة منه

للدكتور/ محمد الدسوقي

ويقع عرفات في الجنوب الشرقي لمكة ، ويبعد عنها نحو خمسة وعشرين كيلو مترا .

وقد جاء عرفات على صيغة الجمع ، وقيل إنه جمع وضع لمفرد ، وحاول العلماء تعليل هذه التسمية فذكروا لها وجوها عدة ليس منها ما هو قائم على دليل صريح أو أصل لا يحتمل خلافا ومن ثم كانت كلها اجتهادات ، ومن هذه الوجوه أن آدم وحواء التقيا بعرفة ، فعرف احدهما صاحبه ، فسمي اليوم يوم عرفة ، والموضع عرفات ، أو أن آدم علمه جبريل مناسك الحج فلما وقف بعرفات قال له : أعرفت ؟ قال : نعم ، فسمي عرفات ، أو أن إبراهيم عليه السلام عرفها حين رآها ؛ أو أنه وضع ابنه اسماعيل وأمه هاجر بمكة ، ورجع إلى الشام ، ولم يلتقيا سنين ، ثم التقيا يوم عرفة بعرفات ، أو أن الحجاج يتعارفون فيه إذا وقفوا ، أو أن الله تعالى يتعرف فيه إلى الحجاج بالمغفرة والرحمة ، أو أن الحجاج إذا وقفوا في عرفة اعترفوا لله بالربوبية والجلال والصمدية والاستغناء واعترفوا على أنفسهم بالفقر والذلة والمسكنة والحاجة . (انظر تفسير القرطبي جـ٢ ص ٤١٥ ، والمنار ٢ ص ٢٣٢) .

وقال بعض العلماء : أصل عرفة وعرفات من الصبر ، يقال : رجل عارف إذا كان صابرا خاشعا ، ويقال في المثل : النفس عروف وما حملتها تتحمل ، فسمي

بهذا الاسم ، لخضوع الحاج وتذللهم وصبرهم على الدعاء وانواع البلاء واحتمال الشدائد لاقامة هذه العبادة .

وذكر صاحب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز في الجزء الرابع ص ٥٧ ان عرفات سمي بهذا الاسم من باب التكريم ، فهذا المكان المقدس عرف ، أي طيب وحف بالخيرات والبركات لضيوف الرحمن الذين أتوا من كل فج عميق ، ضارعين لله يلبون ويكبرون ويسعون ويطوفون ، يرجون رحمة ربهم ورضوانه .

وأما حكم الوقوف بعرفات فان اجماع الفقهاء منعقد على أنه ركن من أركان الحج ، بل هو ركنه الأعظم ، فهو عمدة افعال الحج على حد تعبير الامام ابن كثير في تفسيره ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في حجته التي علم فيها المسلمين مناسكهم : « الحج عرفة ، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك » رواه الامام احمد وليلة جمع ، أي ليلة المبيت بالمزدلفة .

ولأن الحج الصحيح لا يكون بغير الوقوف بعرفات ، وهو معنى الحديث السابق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن من فاته هذا الوقوف ـ وإن أدى سائر المناسك . لا حج له ، وعليه حج من قابل ، كما أن عليه الهدى في رأي أكثر الفقهاء .

ويبدأ زمن الوقوف بعرفات لدى الجمهور من زوال اليوم التاسع ، ويمتد الى طلوع فجر اليوم العاشر ، وخالف الحنابلة من حيث بداية وقت الوقوف لا من حيث نهايته وهو فجر اليوم العاشر فلا خلاف بين العلماء فيه ، فيرون ان زمن الوقوف يبدأ من فجر اليوم التاسع لا من زوال هذا اليوم كما يرى الجمهور .

واهم شروط الوقوف بعرفات أن يكون في وقته ، وان يكون الحاج اهلا للعبادة ، ناويا الوقوف ، خلافا لمن يرى صحته من زائل العقل بنوم ، او غيره ، او جاز بعرفات دون ان يعلم انها عرفات ، لأن الوقوف على هذا النحو لا يتلاءم مع روح التشريع وأغراضه السامية .

وليس المراد من الوقوف هو الحضور بعرفات كل الوقت الذي يراه أغلب الفقهاء وإنما يجزىء الوجود في هذا الوقت . ولو لحظة واحدة من ليل أو نهار .

على أنه يصح الوقوف في أي مكان من عرفة ، فكلها موقف الابطن عرنة ـ وهو واد يقع في الجهة الغربية من عرفة ! فان الوقوف به لا يجزىء بالاجماع .

ويذهب جمهور العلماء إلى أن من وقف بعد الزوال وافاض قبل الغروب فحجه تام وما رواه الترمذي عن عروة بن مضرس بن أوس قال :

« اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة حين خرج إلى الصلاة ، فقلت : يا رسول الله إني جئت من جبل طيىء أكللت راحلتي ، واتعبت نفسي ، والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه فهل لي من حج ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : من شهد صلاتنا هذه ، ووقف معنا حتى يدفع ، وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا او نهارا ، فقد تم حجه وقضى تفثه » .

والاخذ برأي الجمهور اولى ، لما فيه من التيسير وعدم الحرج ، فالحجيج في

العصر الحاضر عددهم غفير ، ولا يتيسر لجميعهم الجمع في الوقوف بين جزء من النهار وجزء من الليل .

ومن وقف بعرفة ليلا دون ان يقف نهارا فلا خلاف في تمام حجه ، كما انه لا خلاف فيمن وقف قبل الزوال ، وأفاض قبل الزوال ايضا ان وقوفه لا يعتد به .

ولا دم على من وقف بعد الغروب ، واختلف فيمن وقف بعد الزوال وأفاض قبل الغروب ، فمن يذهبون الى وجوب ان يأخذ الحاج من الليل شيئا يرون وجوب الدم على من افاض دون ان يتصل وقوفه بالليل ، ومن يرى سنية الجمع بين الليل والنهار في الوقوف بعرفات لا يرى وجوب الدم على من ترك هذه السنة ، وأفاض نهارا بعد الزوال .

وللوقوف سنن عديدة منها الطهارة ، والوقوف راكبا إن امكن ، والوقوف عند الصخرات التي وقف عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم إن استطاع ، وهذا خاص بالرجال دون النساء ، والجمع بين الظهر والعصر جمع تقديم ، وأن يجمع بين جزء من النهار وجزء من الليل ، وان يتجنب كل ما لا يخلق به في هذا المكان كالمجادلة والمشاتمة ، والاساءة الى الناس ، وان يكثر من الدعاء والتضرع الى الحق تبارك وتعالى ؛ وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للناس في عرفة : وقفت هاهنا « أي عند الصخرات » وعرفة كلها موقف ، وخير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلته انا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . ثم استقبل القبلة ورفع يديه الى صدره ودعا وتضرع الى غروب الشمس رواه احمد والترمذي .

وقد اثرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عرفة بعض الادعية التي لا مجال هنا لذكرها ، وعلى كل من يقف بعرفات ان يكون له في رسوله اسوة حسنة فيكثر من الدعاء بما يشاء ، وان يكون دعاؤه تعبيرا صادقا عما يعيش في وجدانه من خشية الله وندم على ما كان من ذنوب واثام ، ورجاء في عفو الله ، واشفاق من عذابه وعقابه .

والوقوف بعرفات يذكر المسلمين في كل عام بنعمة اتمام الدين ، وتلك الخطبة الجامعة التي خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وبين فيها طريق الحق من الباطل والحلال من الحرام في الامانات والاموال والدماء والنساء ، وان الامة ما دامت تعتصم بكتاب الله وسنة رسوله فلن تضل او تزل ، او تحرف او تبدل .

وفي تذكر هذا في يوم يباهي الله فيه ملائكته بهؤلاء الحجيج منفعة للمؤمنين في دنياهم واخراهم ، فهم بهذه التذكرة يشكرون الله على ما أنعم عليهم بنعمة الايمان ، وهم بهذا الشكر يعاهدونه سبحانه الا يستمسكوا إلا بما اوحي الى نبيه ، وان يجاهدوا في الله حق جهاده ، وهذا هو طريق الخير والسعادة في الدارين .

هذا ـ في ايجاز ـ ما يتعلق بعرفات والوقوف به ، أما الآيتان اللتان تشيران الى هذا الوقوف ، والافاضة الى المزدلفة ، فان الحديث عنهما يقتضي اولا الكلام في سبب نزولهما ، ثم يفصل القول بعض التفصيل فيما تشتملان عليه من المعاني والاحكام .

أما الآية الاولى فقد ورد في سبب نزولها عدة روايات يجمع بينها معنى التحرج من الاقدام على طلب الرزق بالتجارة ونحوها في موسم الحج ، وهو تحرج انشأه الاسلام في النفوس ، وجعلها لا تقدم على ما كان سائغا في الجاهلية من أعراف قبل ان يقول الاسلام كلمته فيها .

روى البخاري قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في الجاهلية ، فتأثموا أن يتجروا في الموسم فنزلت : ليس عليكم .. »

قال ابن عباس : كان ناس من العرب يحترزون من التجارة في ايام الحج ، واذا دخل العشر (اي العشر الاولى من ذي الحجة) بالغوا في ترك البيع والشراء بالكلية ، وكانوا يسمون التاجر في الحج ، الداج ، ويقولون : هذا الداج وليس بالحاج ، ومعنى الداج المكتسب الملتقط ، وهو مشتق من الدجاجة ، وبالغوا في الاحترازعن الاعمال الى ان امتنعوا عن اغاثة الملهوف ، واعانة الضعيف ، واطعام الجائع فازال الله تعالى هذا الوهم ، وبين انه لا جناح في التجارة .. تفسير الفخر الرازي ج٥ ص ١٨٧ .

فسبب نزول الاية اذن هو ان العرب بعد الاسلام تخوفوا من التجارة ونحوها من اسباب طلب الرزق في موسم الحج ، وربما غلب على ظنهم انها محرمة عليهم ، فبينت الاية انه لا اثم ولا حرج في التجارة والابتغاء من فضل الله مادام ذلك لا يؤثر على اداء المناسك ، والقيام بها في إحسان وإتقان .

ويذهب الرازي في تفسيره الى ان الشبهة في حرمة التجارة في الحج كانت حاصلة لدى العرب من وجوه هي :
● ـ انه تعالى منع الجدال فيما قبل هذه الاية ، والتجارة كثيرة الافضاء الى المنازعة في قلة القيمة وكثرتها فوجب ان تكون التجارة محرمة في وقت الحج .
● ـ ان التجارة كانت محرمة في وقت الحج في دين الجاهلية ، وظاهر ذلك شيء مستحسن لان المشتغل بالحج مشتغل بخدمة الله ، فوجب الا يتلطخ هذا العمل منه بالاطماع الدنيوية .
● ـ ان المسلمين لما علموا أنه صار كثير من المباحثات محرمة عليهم في وقت الحج كاللبس والطيب والاصطياد والمباشرة مع الاهل غلب على ظنهم ان الحج لما صار

سببا لحرمة اللبس مع مسيس الحاجة اليه في أن يصير سببا لحرمة التجارة مع قلة الحاجة اليها كان اولى .

● ـ عند الاشتغال بالصلاة يحرم الاشتغال بسائر الطاعات فضلا عن المباحات فوجب ان يكون الامر كذلك في الحج .

فهذه هي الوجوه التي يراها الامام الرازي ، كما يراها سواه من المفسرين وان لم يفصلوا القول فيها على نحو ما فصل ـ مصدر ما كان يشعر به العرب بعد الاسلام من حرج الاقدام على التجارة في موسم الحج .

والذي يؤكد ما ذهب اليه المفسرون من ان نفي الجناح في الاية خاص بكل ما يتصل بالكسب من اعمال في اثناء مناسك الحج ان التعبير القرآني وهو « الابتغاء من فضل الله » ورد في عدة ايات ويتناول بوجه عام أنعم الله في البحر والبر ، ووجوب السعي لطلبها والحصول عليها : **(وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)** النحل / ١٤ . **(فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)** الجمعة / ١٠

وهذا التعبير يوحي للمسلم بانه لا يرزق نفسه بعمله ، وانما هو يطلب من فضل الله ، ومتى استقر هذا الاحساس في قلبه وهو يبتغي الرزق فهو اذن في حالة عباده لا تتنافى مع عبادة الحج في الاتجاه الى الله : في ظلال القرآن ج٢ ص ١٢٠ .

فمقدمة الاية طوعا لما سلف تبيح الكسب في ايام الحج اذا لم يكن هو المقصود بالذات ، وانه مع حسن النية وملاحظة انه فضل من الرب تعالى يكون فيه نوع عبادة ، وان التفرغ للمناسك في ايام ادائها افضل والتنزه عن جميع حظوظ الدنيا في تلك البقاع الطاهرة اكمل   تفسير المنار ج٢ ص ٢٣١ .

ونفي الجناح في الآية لا يعني ان الامر كان محظورا ثم ابيح ، وإنما هو لنفي الاثم الذي توهمه المسلمون إذا ابتغوا من فضل الله في موسم الحج .

وتشير الاية بعد هذا الى الافاضة من عرفات ، وذكر الافاضة من عرفات يقتضي سبق الوقوف به ، ومعنى الافاضة ، الدفع بكثرة او جملة ، ومنه افاض الرجل في الكلام ، اي اندفع فيه باكثار وتصرف في وجوهه ، وهذه الافاضة يجب ان تكون في سكينة وخشوع وخشية لله ، فلا مزاحمة ولا مجادلة ولا رفث في القول او الفعل ، وانما هي لحظات الصفاء والنقاء والاقبال على الله بالاكثار من التلبية والدعاء ، وقد

روى الشيخان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افاض من عرفات امر المسلمين بعدم الاسراع في التوجه الى المزدلفة ، فقد قال لهم : ايها الناس ، عليكم بالسكينة ، فليس البر بالايضاع ، « اي الاسراع » وكان عليه الصلاة والسلام يكف ناقته عن السرعة ، فيسير عنقا ، - اي سيرا متوسطا لا هو بالسريع ، ولا بالبطيء - ولا يزاحم احدا ، فاذا وجد فجوة نصَّ سيره ، اي زاد في سرعته .

والرسول بهذا يرشد الامة الى آداب الافاضة وما يجب ان يكون عليه المسلمون وهم يدفعون من عرفات ، إنهم يفيضون في جملة وكثرة ، فاذا لم تظلل افاضتهم السكينة واخلاق الصبر والسماحة والدفع بالتي هي احسن ، فقدت الخشوع والخضوع لله وصار المسلمون كانهم في حلبة سباق لا يعني كل منهم غير ان يصل قبل سواه ، وان اذى اخاه بالدفع والمزاحمة .

ثم تأمر الاية بعد الافاضة بذكر الله عند المشعر الحرام ، والمشعر هو المعلم ، واصله من قولك : شعرت بالشيء ، اذا علمته ، وليت شعري ، اي ليت علمي ، وشعار الشيء ، اعلامه ، وسمي ذلك الموضع بالمشعر ، لانه معلم من معالم الحج والعبادة ، ووصف بالحرام ، لحرمته .

وتتباين الروايات في تحديد المقصود بالمشعر الحرام ، فمنها ما يذهب الى انه المزدلفة كلها ، وهي عبارة عن فضاء فسيح بين عرفات ومنى ، ومنها ما يرى ان المشعر الحرام تل صغير قليل الارتفاع اقيم عليه مسجد المزدلفة ، ومنها ما يرى انه المسجد نفسه انظر تفسير القرطبي ج٢ ص ٤١٦ .

ومهما يكن من اختلاف في تحديد المقصود بالمشعر الحرام ، فان الامر بذكر الله واجب عنده ، سواء كان المقصود به المزدلفة كلها ام مكانا بها ، وهذا الذكر يشمل التهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن ، كما يشمل الجمع بين المغرب والعشاء جمع تأخير باذان واحد واقامتين ، فقد روي الامام مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى المزدلفة فجمع بين المغرب والعشاء باذان واحد واقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئا ، اي يصلي ..

والجمع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة كالجمع بين العصر والظهر بعرفات ، فكلاهما سنة .

وتكرر الاية الامر بذكر الله ، معللة هذا ببعض ما انعم الله على عباده **(واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين)** .

انه امر بالذكر للشكر والثناء والاعتراف بفضل الله ، ونعمه لا تحصى وفي مقدمتها نعمة الهداية والايمان والخروج من الظلمات الى النور .

ويلاحظ ان القرآن الكريم قرن بين الامر بذكر الله ، وبعض ما انعم به على عباده في عدة ايات ، منها قوله تعالى في الاية التي بينت ان رمضان هو الظرف الزمني لفريضة الصيام وان الله رحيم بعباده ، اذ اباح لهم الافطار عند وجود عذر مشروع كالسفر في طاعة والمرض ونحوهما : (**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**) البقرة / ١٨٥ .

وهذا يعني ان المسلم لا ينفك ذاكرا لخالقه منيبا اليه مادام فيه رمق من حياة ، لانه يعيش في كل لحظة نعم الله التي لا تعد ، فالامر بالذكر في تلك الآية ليس مقصورا على موقف معين ، ولكنه يتجاوزه ليستغرق حياة الانسان كلها ، وبذلك يحقق معنى العبودية الخالصة لبارئه وهي الغاية من خلق الجن والانس : (**وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين**) الذاريات / ٥٦ ـ ٥٨ .

واما الآية الثانية فقد روى في سبب نزولها ان قريشا ومن دان دينهم من كنانة وجديلة و قيس ، وهم الحمس « واحدهم احمس ،، وهو الشديد الصلب في دينه » كانوا يقفون في الجاهلية بالمزدلفة ، لانها من الحرم ، ولا يرضون الوقوف بعرفة ، لانه من الحل ، وكانوا يقولون : نحن قطين الله « اي سكان حرمه » فينبغي ان نعظم الحرم ، ولا نعظم شيئا من الحل ، وكانوا مع هذا يقرون بان عرفة موقف ابراهيم عليه السلام ولكنهم ما كانوا يخرجون من الحرم ويقفون بجمع ، ويفيضون منه ويقف الناس بعرفة فنزلت هذه الآية تأمر هؤلاء بالافاضة من عرفات ، وهذا يقتضي وقوفهم به كما يقف الناس ، ثم يفيضون معهم ، وفي ذلك ابطال لما كانت عليه قريش في الجاهلية من عادات واعراف فاسدة .

وتوجيه الخطاب في الاية الى قريش وبعض القبائل العربية التي آثرت الوقوف بالمزدلفة ولم تقف بعرفات حمل بعض المفسرين على القول بأن ثم في الاية ليست للترتيب ، وانما هي بمعنى الواو ، او مستعارة للتراخي بين الافاضتين : جاء في الكشاف للزمخشري : فان قلت كيف يكون موضع ثم قلت : نحبو موقعها من قولك : احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم ، تأتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره ، وبعد ما بينهما ، فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال : ثم افيضوا ، لتفاوت ما بين الافاضتين وان احداهما صواب والثانية خطأ .

ويذهب بعض المفسرين الى ان الخطاب في الاية ليس موجها الى قريش ومن دان دينهم ، وانما هو موجه الى الناس قاطبة ، وانهم امروا بالافاضة من عرفات كما افاض ابراهيم عليه السلام ، وان كلمة الناس في الاية يراد بها خليل الرحمن ،

وان هذا من باب التكريم له ، كما وصف في اية اخرى بانه امة : **(إنَّ إبراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين)** النحل / ١٢٠ .

ومن المفسرين من رأى ان الأمر بالافاضة في الاية خاص بالافاضة من المزدلفة الى منى كما افاض الناس وهم الحمس ، وطوعا لهذا الرأي يكون الوقوف بالمزدلفة واجبا للأمر بالاضافة منها تفسير القرطبي ج٢

ويرجح جمهور المفسرين ان يكون الخطاب في الاية موجها الى الحمس وامرا لهم بالافاضة من عرفات كما يفيض سائر الناس ، وهو من ثم امر الى المسلمين جميعا ، لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وهذا يوحي بوجوب الالتزام الكامل بالشعائر المفروضة كما امر بها الله ، وبينها رسوله صلى الله عليه وسلم ، وان مخالفة ذلك بدعة ، وتمزيق للامة الواحدة .

ويأتي الامر بالاستغفار بعد الامر بالافاضة ، وهو اشارة الى ان المؤمن لا يسلم من الخطأ او الاثم ، وان عليه ان يتوجه في كل حالاته - وبخاصة وهو يؤدي ما كتبه الله عليه الى بارئه ، يرجو رحمته ومغفرته ، فهو سبحانه غفور رحيم ، غفور حليم ، فلا قنوط من رحمته وفضله ، وهذه نعمة اخرى ، تستوجب الشكر والطاعة : **(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم)** الزمر / ٥٣ .

واذا افاض المسلم من عرفات واتى المزدلفة فان عليه أن يفيض من المزدلفة الى منى قبل شروق يوم النحر ، فقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث انه عليه الصلاة والسلام لما اتى المزدلفة صلى المغرب والعشاء ، ثم اضطجع حتى الفجر ، فصلى الفجر ، ثم ركب القصواء حتى أُتى المشعر الحرام ، ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا ، ثم دفع قبل طلوع الشمس .

ولكن هل يلزم الحاج المبيت بالمزدلفة ، او يكفيه الحضور بها ولو لحظة ؟

إن جمهور الفقهاء يرون الوقوف بالمزدلفة دون البيات بها ، خلافا للامام احمد ابن حنبل الذي يوجب المبيت بالمزدلفة ، ولا يعفي منه الا اصحاب الضرورات ، ومن يقومون برعاية الحجاج ، والقيام بما يحتاجون اليه من طعام ونحوه .

والمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر ، وهو واد بين المزدلفة ومنى ، فقد روي الامام احمد عن جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل مزدلفة موقف ، وارفعوا عن محسر »

ومن السنة الوقوف عند « قزح » . وهو موضع بالمزدلفة ، ويروى انه كان موقف قريش في الجاهلية ويقال : انه المشعر الحرام عند كثير من الفقهاء ـ لما رواه الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اصبح بجمع اتى قزح فوقف عليه وقال : هذا قزح ، وجمع كلها موقف .

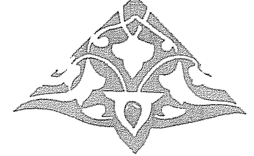
ويتزود الحجاج بالحصا الذي يرمون به الجمرات من المزدلفة ، وان جاز اخذ الحصا من غيرها . ويتضح مما سلف ان للمزدلفة عدة اسماء ، ولكن غلب عليها هذا الاسم واشتهرت به ولهذه التسمية تعليلات او تأويلات مختلفة ، بيد انها كلها لا تقوم على نص صريح ، وانما هي اجتهادات واحتمالات كما هو الشأن في عرفات .

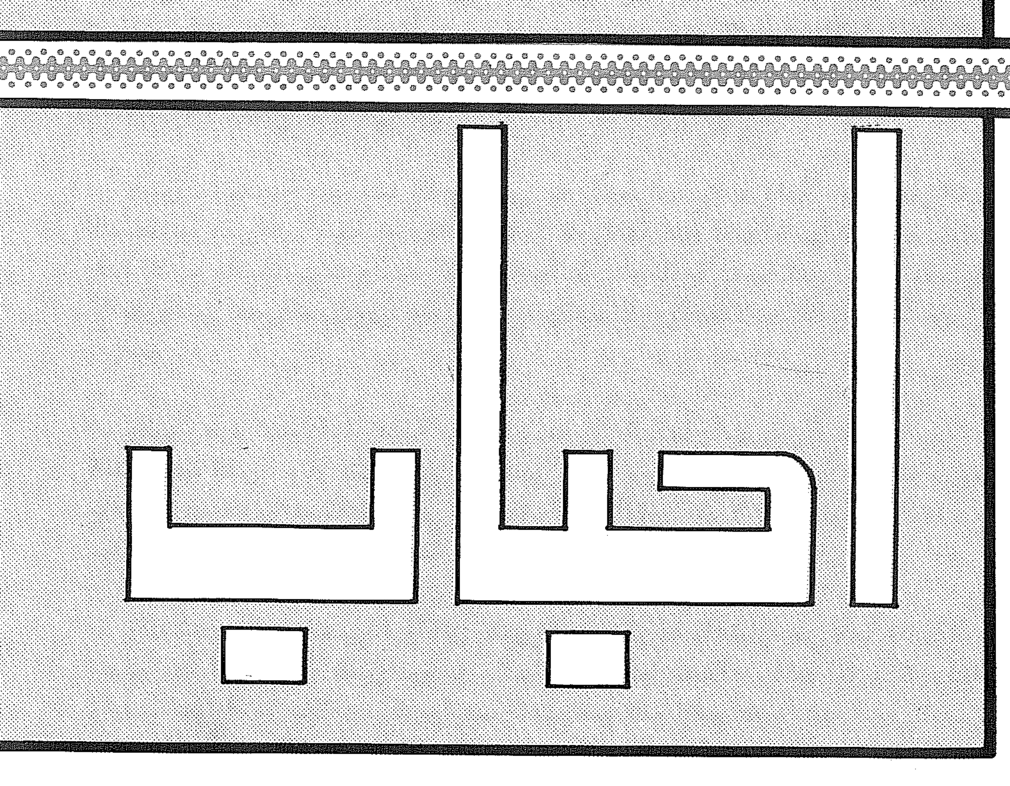
ومن وجوه تسمية المزدلفة بهذا الاسم ان الحجاج يقربون فيها من منى ، فالازدلاف القرب ، او لأن الناس يجتمعون فيها ، والاجتماع الازدلاف ، او لانهم يزدلفون فيها الى الله تعالى ، اي يتقربون اليه بالوقوف او لان آدم اجتمع فيها مع حواء ، وازدلف اليها ، اي دنا منها .

وقد شرع الوقوف بهذا المكان تشريفا له وتكريما باعتباره من معالم الحج ، وليكون هذا الوقوف في الليل فرصة مناجاة للحق جل جلاله ، فقد امر بذكره فيه واردف هذا الامر بالامر بذكره ايضا ، فهو سبحانه انعم علينا بالهداية والايمان فوجب علينا اعترافا بفضل الله وشكرا على آلائه الجزيلة ان نذكره ونسبح بحمده في كل لحظة من لحظات الحياة ، واذا فعل المرء ذلك كان في كل افعاله واقواله حيث يحب ان يراه الله ، وهذا مناط الخير في الدنيا والاخرة .

وبعد فهذه دراسة عامة موجزة عن الوقوف بعرفات والافاضة منه في ضوء حديث الكتاب العزيز عن ذلك الوقوف وهذه الافاضة ، ولعل فيها ما يلقي مزيدا من الضوء على ركن الحج الاعظم ، والعمود الفقري لمناسكه ، ذلك الركن الذي يمثل المؤتمر الجامع لوفود الرحمن ، هذا المؤتمر الذي يجب ان يكون للمسلمين في كل عام لقاء مباركا على طريق الحق ووحدة الغاية ، ودعما لاواصر الاخوة ، واسباب القوة ، حتى نحافظ على ما يجب ان نحافظ عليه من العزة والكرامة والخيرية :

(كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ال عمران / ١١٠

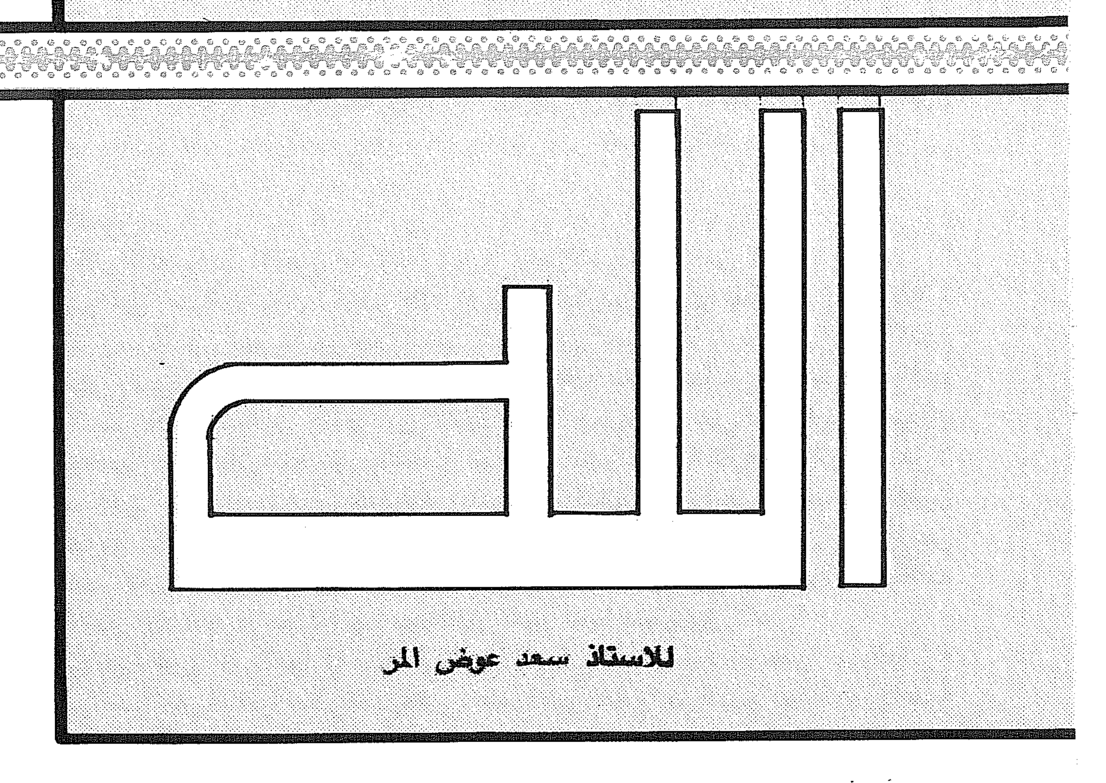




يتنافى كثير من الناس دائما انهم قد جاءوا في هذا الكون بقدرة الله وصنعته ، بل ومعظمهم لا يؤمنون بأن الله هو الذي خلقهم وانه هو بارئهم وموجدهم ، وانهم قد جاءوا الى هذه الارض ، بمشيئته ، بل الكثير ممن امنوا بوجود الله لم يدركوا انه عز وجل قد خلقهم كي يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ثم يدعوه دون سواه ، فاذا حاد احدهم عن هذا الطريق واتخذ إلهه هواه ، فانه بذلك يكون قد باع سعادته بشقاه ، واما من زكى نفسه واناب ثم اعرض عن معاصيه وتاب خوفا من الله العزيز الوهاب ، فانه يكون بذلك قد خالف هواه حبا لله جل علاه ، وهو عندئذ يكون قد اضاء محياه في شعاع بهاه ثم اعطى عقله نور هداه ، ووضع في قلبه ذكره وتقواه ، ومن ثم كان محبا لله جديرا بان يحبه الله ، ومن احبه الله كان معه اينما كان ، وكان وليه اينما توجه مهما كان أعداؤه ومهما كان جبروتهم .

فطوبى لمن احبهم الله لما نالوا ، وما ينتظرون جزاء وفاقا لما عملوا وأصلحوا في حياتهم ، وتعسا وهلاكا لمن لا يحبهم نتيجة افعالهم التي اقدموا عليها بغير حق او عدل .

هذا ولم يتركنا الله حيارى نقلب وجوهنا هنا وهناك بحثا عن اي الطرق التي



توصلنا لحب الرحمن ، فقد دلنا على سبل هداه من اجل الوصول الى حبه ورضاه ، ولكل هذه الطرق حلاوة وعلى جانبيها طلاوة ، رغم انها سبل بالجهد ملفوفة وبالبلاء والعناء محفوفة .

قال الله عز وجل في حديث قدسي:(**يا ابن آدم خلقت الاشياء من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تشتغل بما هو لك عمن انت له .. ـ الى ان قال ـ يا ابن آدم أنا لك محب ، فبحقي عليك كن لي محبا**) ، اما من اعرض ونأى بجانبه واغلق قلبه عن هذا النداء ، بل واوصده بذلك الجحود امعانا في التكبر ، وزيادة في كراهيته لنفسه حينما أصبح عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال :(**من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين**) البقرة/٩٨

وعن معاذ رضي الله عنه قال : ان الله عز وجل قال للنبي (ص) : سل يا محمد ، قال : قلت : اللهم اني اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات ، وحب المساكين .. ـ الى ان قال ـ وأسألك حبك وحب من يحبك ، وحب كل عمل يقربني الى حبك) اخرجه الترمذي والحاكم .

يقول الله تعالى في كتابه المجيد:(**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**

ويغفر لكم)آل عمران/٣١ ، فياله من حب وياله من غفران ، ويالها من بشرى فالله هو الذي بشر بها ، ومن ذا الذي لا يحب ان يغفر له ؟.. لا أحد الا شقى او مستكبر وهما معا في الدرك الاسفل من النار مع فرعون وهامان .
هذا وقد اوضح الله لنا ودلنا في قرآنه الكريم عن هؤلاء المحظوظين الذين يحبهم ويحبونه وافاض عليهم من فضله رحمات من عنده وبركات ، وهؤلاء هم :

المتقون :

(**إن الله يحب المتقين**)التوبة/٤ و ٧ ـ هؤلاء هم اول من احبهم الله .
وهم اول احبائه الذين ذكرهم الله في كتابه الكريم :(**هدى للمتقين**)البقرة/٢ ، لانهم يخشون ربهم من فوقهم بالغيب ، وهم اول احبائه الذين ذكرهم الله في كتابه الكريم وهم من الساعة مشفقون ، ولان حب الله وحب المعاصي لا يجتمعان ، فهم في حب الله يتنعمون ويتغمدون لانهم دائما يحرصون على ان يكونوا بعيدين مبتعدين عن كبائر المعاصي وصغائر الذنوب ، بل انهم لها كارهون وان فعلوها لا يصرون ، ثم من بعدها يستغفرون ويندمون ، كذلك نراهم يجمعون صفات الذين احبهم الله لانهم مدفوعون بتقوى قلوبهم ، منيبين راغبين في ان يكونوا من المحسنين ، الذين علموا ان الله سميع بصير ، يسمع ويرى فكانوا من مقامه خائفين ولانهم على صلواتهم يحافظون فهم دوما يتطهرون .
انهم يخافون ان يقعوا في المعاصي او الآثام كي لا يغضبوا الرحمن ، عرفوا انه الواحد المنان فذاقوا حلاوة الايمان ، علموا قدره فأدوا ما عليهم ، وقاموا بين يديه حذرين خاشعين متنبهين منبهين انفسهم حتى لا يشدهم امر دنياهم وهم بين يدي الحنان المنان عالم السر وما بان ، فكانوا احق من غيرهم بان يكونوا احباء الله حتى يصل بهم [illegible] الى منتهاه .
لهذا كان [illegible] الطريق الى التقوى ، وكانت التقوى سبيلا الى الاحسان (**إن الم[illegible] جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين [illegible] الذاريات**/١٥ و ١٦ .

المحسنون :

(**إن الله يحب المحسنين**)البقرة/١٩٥ ، (**والله يحب المحسنين**) آل عمران ١٤٨ و المائدة ٩٣
هؤلاء الذين يعبدون الله وكأنهم يرونه امامهم وهم قائمون بين يديه عز وجل ، يرون نوره ، يرون عظمته ، يرون جبروته ، فيحسنون العبادة ويطهرون انفسهم وهم في حضرته جل جلاله ، يخافون مقامه وهم يتقربون اليه بالطاعات والذكر والحمد والتسبيح والاستغفار ، فاحسنوا قدر استطاعتهم لانهم قد علموا انه يراهم لانه هو السميع البصير ، ولا تخفى عليه خافية حتى هواجس افكارهم ، فكانوا يزكون

انفسهم في خشوع وركوع ، وعنت وجوههم للحي القيوم الرحمن الرحيم مالك الملك ، ملك الملوك ، قاهر الاعناق .

المتطهرون :

(إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) البقرة/٢٢٢ **(والله يحب المطهرين)** التوبة/١٠٨

هؤلاء الذين يحافظون على طهارتهم لانهم دائما يغتسلون ، وبالماء او التيمم يتوضأون ويتطهرون لانهم دوما يحرصون على ان يكونوا من الذين هم على صلواتهم يحافظون ، يتطهرون لانهم يحبون ان يقرؤوا القرآن الكريم فلا يلمسوه او يمسوه وهم نجسون ، انك لو اطلعت على نفوسهم او افئدتهم لرأيتهم نظيفة طاهرة نقية كأبدانهم ، لانهم قد غسلوها بتقوى الله وخشيته .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله (ص) انه قال (ما منكم من احد يتوضأ ثم يقول : أشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله .. اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين .. الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء) رواه مسلم والترمذي ، ويقول الله تعالى: **(إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)** البقرة/٢٢٢ ، لان الرسول (ص) عندما قال حديثه الشريف سالف الذكر فانما قاله وهو يسبح في نور كلام الله العظيم ، لانه لا ينطق عن الهوى .

الصابرون : (والله يحب الصابرين) آل عمران ١٤٦

هؤلاء هم الذين لا يفزعون فاذا ما أصابتهم مصيبة تراهم من رحمة الله لا ييأسون ، ومن لطفه لا يقنطون ، فاذا ما نزلت بساحتهم شدة او اذا حلت بهم كارثة لا يفجعون ، واذا ما وجدوا انفسهم او اهليهم في مصيبة فهم يسترجعون **(الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون)** البقرة/١٥٦ ، لذا كانوا احق الناس بحب الله واستحقوا ان يذكرهم في كتابه الكريم مقرونين بحبه الكريم ومبشرين منه سبحانه وتعالى **(وبشر الصابرين)** البقرة ١٥٥

المتوكلون :

(إن الله يحب المتوكلين) آل عمران/١٥٩

هؤلاء هم الذين يتوكلون على الله دوما في كل امورهم ولا ينسون ، يتخذون الاسباب اولا ثم لا يتواكلون ، يعلمون ان الله باسط لهم يده بها فلم يعرضوا عنها ولا هم يستكبرون ، لا يدعونه وهم متكاسلون الا بعد ان يعملوا اولا ثم يتركون لأمر الله ما يبغون ويتمنون ، ثم بعد ذلك يستسلمون لقضاء الله وقدره ولا يفترون ، لا يغترون

بأنفسهم بما يعملون ولا يتأكدون من نتائج ما يفعلون ، اولئك حقا هم المتوكلون الذين استحقوا حب الله لانهم وصلوا أنفسهم وسلموها بين يديه ، فهل يرد الله من لجأ اليه او استعصم او اتخذه وكيلا ؟

جاء رسول الله (ص) وصحبه ليعلم فاطمة الزهراء فقال : قولي : (يا حي ، ياقيوم ، برحمتك استغيث ، اصلح لي شأني كله ، ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ، ولا إلى احد من الناس) رواه الطبراني .

المقسطون :

(إن الله يحب المقسطين)المائدة/٤٢ و الحجرات/٩ ، (إنه لا يحب الظالمين)الشورى/٤٠ (والله لا يحب الظالمين)آل عمران/٥٧ و ١٤٠

هؤلاء هم الذين يحكمون بين الناس ولا يشططون ، لا يخافون لومة لائم ولا يرهبون ، لا يرهبون خصما لقوته ولا يستضعفون ضعيفا طالما ان الحق معه ، ولا يخشون بطش جبار او متعجرف طالما ظلم ومهما كان الطرف الآخر ضعيفا .

هذا وقد اخبرنا رسول الله (ص) بالسبعة الذين سيظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل فيه الا ظله وكان من بينهم ذلك الامام العادل ، فطوبى للمقسطين : طوبى لهم بحب الله .

التوابون :

(إن الله يحب التوابين) البقرة/٢٢٢ ، (وهو الذي يقبل التوبة) الشورى ٢٥ ، (وأن الله هو التواب الرحيم)التوبة/١٠٤، (إنه كان توابا)النصر/ ٣

هؤلاء هم الذين يعصون ويذنبون فيتذكرون الله ، فيرتعدون ، وولا يجدون فرارا منه الا اليه فيندمون ويستغفرون ولا يصرون ، يتوبون عازمين على الا يعودوا لمثل هذا الذنب راجين رحمة ربهم وعفوه .

عرفوا بان الله تواب غفور رحيم لوآخذ الناس بذنوبهم ما تبقى على وجه الارض من احد وما كان احد من الناجين ، ولكنهم إذا ما زلوا مرة اخرى لا يقنطون يفزعون الى الاستغفار في الاسحار وفي كل وقت يغتسلون به من معاصيهم ويتوبون .

فكانوا ممن استحقوا حب الله لهم لانهم تذكروا بان لهم ربا سمى نفسه الغفور الرحيم التواب لمن تاب وأناب فتابوا وانابوا وهذا أيضا ما اخبرنا به رسول الله (ص) حين قال : (التائب حبيب الرحمن)

لكن هناك فريقا آخر من المؤمنين قد احبهم الله لبعض افعال هم قد فعلوها حبا له وابتغاء مرضاته وطمعا في رضوانه سبحانه وتعالى ، انهم غير اولئك السبعة الذين احبهم لاوصاف واحوال هم فيها : متمثلة في اطباع هي متأصلة فيهم ، لا يخلعونها ابدا اينما ذهبوا اوولوا ، اووقتما حلوا لانها راسخة في عقيدتهم اصيلة

في بنيان جذور ايمانهم (والذين آمنوا اشد حبا لله)البقرة ١٦٥ .
هؤلاء هم الذين بايعوا من قبل وباعوا انفسهم لخير من اشترى ، من أجل الا يستشري الباطل أو يعم الفساد ، وحتى تعلو كلمة الله ، ويجيء الحق ويزهق الباطل ويد حض (ان الله يحب الذين الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) الصف ٤ ، لقد قاتلوا في سبيله متحدين غير متفرقين : لواؤهم لا إله الا الله ، سلاحهم الله اكبر ، زادهم التقوى والصبر ، نورهم القرآن ، درعهم الاستغفار والبعد عن الذنوب .
وهناك فريق آخر من المؤمنين يحبهم الله أيضا بسبب بعدهم عن صفات هم بالطبع لا يتصفون بها بل ولا يحبونها ، بل ويتجنبون ان يقعوا فيها ، فاذا ما زادت صفات الضد فيهم كان حب الله لهم كبيرا ، انهم هؤلاء الذين يمشون على الارض هونا ، وهم الذين لا يفرحون بالباطل ولا يحبون ان تشيع الفاحشة وهم الذين لا يعتدون ، وهم الذين لا يخونون ولا يجهرون بالسوء من القول ، كذلك هم الذين لا يظلمون ولا يبغون ، كذلك هم الذين لا يسرفون ولا يفسدون ، واخيرا هم أولئك الذين لا يستكبرون .
هذا وانه عندما نحصي هؤلاء الذين يحبهم الله وذكرهم في قرآنه الكريم لوجدنا هم سبعة ، عندئذ سنقف امام هذا الرقم ويقف تفكيرنا برهة ، بل سيظل مبهورا لحظة مشدوها لحظات ، ، لا يشدنا من امامه الا ذلك الرقم نفسه ، حينما يجرنا ليذكرنا بهؤلاء السبعة الذين اخبرنا عنهم رسول الله (ص) بأن الله عز وجل سيظلهم يوم لا ظل فيه الا ظله . وننتهز هذا المقال في هذا المقام للتنويه بهم ونربط بين هؤلاء السبعة واولئك السبعة الذين يحبهم الله ، سواء كانوا متفرقين او مجتمعين في اكثر من صفة ، لان الصفة المشتركة فيما بينهم جميعا هي (تقوى الله) : فذلك الذي يكون قلبه معلقا بالمساجد ، الا يذهب اليها ؟ الا يتطهر ؟ الا يحافظ على صلاته ويصطبر عليها ؟ الا يخشى الله تعالى ؟ الا يتذكر الله دائما فيتوكل عليه ؟ افلا يكون بعد ذلك من المتوكلين المتقين المتطهرين ؟ وذلك الذي دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، أفلا يكون من المتقين ؟ الذي يخشون ربهم بالغيب ويخافون مقامه ، وهذا الامام العادل الا يكتسب صفة المقسطين ؟ وهذان اللذان تحابا في الله : اجتمعا وتفرقا عليه ، أفلم يتجاذبا أطراف الكلام فيما بينهما بما يواجههما من مشاكل أو صعاب فيتواصان بالحق ويتواصان بالصبر ، أفلا يكونان من الصابرين ؟ وهذا الذي يتذكر الله فيذكره في خلوته فتفيض عيناه من خشية الله ، أفلا يكون من التوابين المحسنين المتقين ؟ وهذا الشاب الذي نشأ في عبادة ربه ، او هذا الذي تصدق سرا فما علمت شماله ما أنفقت يمينه أفلا يكون من المحسنين ؟
فاللهم ربنا رب السموات والارض اكتبنا من هؤلاء السبعة الذين تحبهم ، ومع اولئك الذين تظلهم يوم القيامة وممن ترضى عنهم ، ولا تجعلنا ربنا ممن لا تحبهم او مع اولئك الذين لا ترضى عنهم آمين .



للاستاذ / عبد الحميد محمد المشهدي

لما كان تبليغ الدعوة وحده لا يكفي ، كان لا بد معه من الاقناع مؤيدا بالمعجزات النظرية والذهنية ، وفي هذا يقول الله على لسان المشركين للرسل : (**إن انتم إلا بشر مثلكم تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا بسلطان مبين**) ابراهيم / ١٠ فقال الله لهم على لسان الرسل : (**إن نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله**) ابراهيم / ١١

وقد من الله على رسله بما ايدهم به من معجزات ، كما أيد سيد الخلق بحصيلة وفيرة من المعجزات الذهنية والمرئية ، وهي اكثر من ان تعد او تحصى ، نجتزىء

منها ما يلي : فمن معجزاته :
شق صدره الشريف والتآمه من غير اوجاع او ندوب اربع او خمس مرات ، ورفع صورة القدس امام ناظريه ليصفه لمجادليه عقب عودته من رحلة الاسراء والمعراج ، واخباره صلى الله عليه وسلم بموت ملك الحبشة الذي اكرم وفادة المهاجرين المسلمين اليه ، ثم الصلاة على روحه ، وفيه نزلت الآية الكريمة : (**وإن من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله**) آل عمران/ ١٩٩ وانشقاق القمر ، وخروجه صلى الله عليه وسلم من منزله والمتآمرون عليه نيام يذري على رؤوسهم التراب وهو يردد قول الله : (**فأغشيناهم فهم لا يبصرون**) يس /٩ والقاؤه الرمال والحصا في وجه اعدائه يوم بدر وحنين وهو يقول : « شاهت الوجوه » وكانت هذه الرمال من عوامل النصر في هاتين المعركتين ونسيج العنكبوت على فم الغار الذي اختبأ فيه رسول الله وصاحبه استعدادا للهجرة ، ثم ما وقع لسراقة ابن مالك وفرسه وهو يطارد الرسول في طريقه الى المدينة ، ثم ما وعده به الرسول من تسوره يوما بسوار كسرى ، وقد تمت هذه المعجزة في عهد عمر بن الخطاب ، ومنها تدفق اللبن من شاة عجفاء حتى فاض عن حاجة بيوت الرسول التسعة وعن حاجة ضيفانه ببركته حين مسح براحته الشريفة على ضرتها، ومنها انه تفل في عيني عليٍّ وهي مرمدة فشفى لساعته وسلمه على أثرها راية القيادة في معركة خيبر ، ومنها ما تحدث به بلال ان رسول الله رأى المسجد في صلاة الفجر يوما خاليا من المصلين ، فقال لبلال أين المسلمون يا بلال ؟ فقال حبسهم البرد يارسول الله فقال الرسول اللهم اذهب عنهم البرد فتداعى المصلون نحو المسجد وراحوا يتروحون فيه من الحر ، واصاب حذيفة رعشة من شدة البرد في الخندق فدعا له الرسول فكان يمشي كانه في حمام ، واصيب كلثوم بن الحصين في نحره بسهم يوم احد ، فبصق الرسول على جراحته فشفى لساعته ، واصيبت ساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فنفث عليها رسول الله فشفيت ونفث صلى الله عليه وسلم على رأس ورجل زيد بن معاذ بعد ان اصيبا بضربات سيف عند مقتل كعب بن الاشرف فبرئا لساعتهما دون ان يغادر فرسه ، وقطعت يد معوذ بن عفراء بسيف عكرمة بن ابي جهل يوم بدر فجاء الى الرسول يحملها والصقها الرسول به فالتصقت ، وروى محمد بن حاطب عن امه ان قدرا كان يغلي بالماء قد انكفأت عليه صغيرا فحملته إلى رسول الله فمسح على ذراعه وقال : « أذهب الباس رب الناس اشف انت الشافي لا شفاء الا شفاؤك ، شفاء لا يعقبه سقم اخرجه البخاري ١٠/٢٠٦ فتح الباري فما قامت امي حتى برئت ، ورد النبي عين قتادة الى مكانها بعد ان سالت على خده فكانت احسن عينيه ، وشكا ضرير الى رسول الله همه وجزعه من فقد بصره فقال له الرسول توضأ وصل ركعتين ودعا بدعاء لقنه الرسول له ، فانصرف لتوه مبصرا قريرا ، ونفث رسول الله في يده الشريفة ومر بها على جسد عتبة السلمي : فلازمته طيلة حياته ـ رائحة طيبة دون ان يمس طيبا ، ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم دعاؤه لعبد الله بن عباس ان يفقهه الله في الدين

ويعمله الحكمة والتأويل ، فكان كما دعا ، ومنها دعاؤه لأنس بطول العمر وكثرة المال والولد ، فعاش رضي الله عنه فوق المائة ورأى مائة ولد من صلبه وحدث لاصحابه بانه اكثر الناس مالا ، ودعا رسول الله لام ابي هريرة بالهداية ، فاستجاب الله له ودخلت في دين الله ، وكان ذلك مصدر سعادة للصحابي الجليل ، ومنها التقاء شجرتين ليؤلفا ستارا لرسول الله عند قضاء الحاجة ، ومنها حنين الجذع الذي كان يتوكأ عليه الرسول وهو يخطب في الناس في المسجد فمسح الرسول عليه بيده فهدأ حنينه وسكن بكاؤه ، ومنها تسبيح الحصا في يده صلى الله عليه وسلم وانبجاس الماء من اصابعه وتكثيره الطعام في غزوة العسرة ومنها شكوى البعير له من قلة العلف وكثرة العمل ، واخباره لاصحابه ان طائفة من امته ستغزو البحر وبينهم ام حرام بنت ملحان وقد صدقت نبوءة الرسول وغزا المسلمون البحر الابيض المتوسط في عهد بني امية ودفنت في جزيرة قبرص وقبرها هناك معروف وعليه اسمها الكريم الى الان ، ومن معجزاته قوله لزوجاته أيتكن تنبحها كلاب الحوأب أيتكن صاحبة الجمل ، فوقع ذلك لعائشة رضي الله عنها في حرب علي ومعاوية ، ومن معجزاته قوله صلوات الله عليه وسلم ستفتح عليكم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لكم منها رحما وصهرا ، والرحم هي هاجر ام اسماعيل عليه السلام ، والصهر هي مارية القبطية ام ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها نطق الشاة المطهية لرسول الله تدعوه الى الكف عن الاكل منها لانها مسمومة بيد يهودية كانت قد دعته الى طعام لها ، ودعا رسول الله رجلا الى الاسلام فقال له حتى تحيي لي ابنتي ، فقال له الرسول ارني قبرها فدله عليه فناداها رسول الله فلبت فقال لها اتحبين العودة الى الدنيا فقالت لا يا رسول الله ، إني وجدت الله خيرا لي من ابوي ووجدت الاخرة خيرا لي من الدنيا ، وروى كذلك أم امرأة معاوية بن عفراء كانت مريضة بالجزام وشكت أمرها الى رسول الله فمسح عليها بعصا في يده فذهب عنها المرض ، واخباره صلى الله عليه وسلم لعثمان بن عفان بانه ستصيبه بلوى شديدة ، فاصابته وقتل فيها ، وشفي رسول الله بعض الصحابة من مرض الرئة والقرحة والاستسقاء وشكت إمرأة بكم إبنها الى رسول الله بعد ان جاءه اوان الكلام فتمضمض صلى الله عليه وسلم وغسل يديه ثم أعطاها بعض الماء وطلب إليها ان تسقيه له ففعلت فانطلق لسان الطفل بالكلام .

ومن معجزاته العظمى صلى الله عليه وسلم ـ رحلة الاسراء والمعراج على ظهر البراق الذي هو اسرع خطا من الريح ، واسرع مسيرة من الضوء يسير بسرعة ٣٠٠ الف ميل في الثانية ، واسرع انتقالا من الجن الذي حمل عرش بلقيس من اليمن الى القدس في طرفة عين ، وذلك لانه جندي من جنود الله ، ولله جنود السموات والارض ، وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر .

كان عروجه صلوات الله عليه بشخصيته الملائكية التي دخل بها الى عالم البرزخ والتقى فيه بالانبياء وصلى بهم إماما في بيت المقدس ليكون ذلك بمثابة

تسليم راية التوحيد لقائد جديد هو محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وليعلن للدنيا ان بيت المقدس جزء من أرض الاسلام يجب الاحتفاظ به والدفاع عنه بالنفس والجهد والمال وكان عروجه صلى الله عليه وسلم بهذه الشخصية كذلك ليجتاز العوالم المترامية الخالية من الهواء ليتشرف بالأنوار الإلهية ويحظى بالشرف الأمثل ، دون حاجة الى سفينة الفضاء وصاروخها الضخم ودون الإحتماء بالملابس المكيفة والأطعمة الكيماوية ، والزمن الطويل ، هذا قليل من معجزاته صلى الله عليه وسلم مما لا يتسع المقام لذكرها جميعا ، ولعل قلة المعجزات في باب احياء الموتى من رحمة الله ببعض الناس حتى لا يبالغوا في حبه صلى الله عليه وسلم فيقعوا فيما وقع فيه النصارى حين وضعوا عيسى في مستوى الألوهية ، وعلى أي حال فإن المعجزات المتقدمة وما وقع على غرارها ليست الا رمزا لتأييد رسالته صلى الله عليه وسلم ، اما المعجزة الكبرى والمرجع الأعلى والدستور الخالد ، فهو القرآن العظيم وهو تأييد وردع وإقناع نزل به الروح الامين على الرسول الكريم لسعادة البشر دنيا ودين ، ذلك لان الاسلام آخر الاديان فيجب ان يكون أكثرهم إستيعابا واعمها فائدة ونفعا للبشرية جمعاء قال سبحانه : **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)** الانبياء ١٠٧ ، ومن ناحية اخرى فان فيه من التحدي لخصوم الإسلام ما حملهم على الإستماع اليه والإنصات له والإعتراف بسمو بلاغته وجمال اسلوبه في مجتمع مفطور على قرض الشعر وسلاسة التعبير ، وسمو البلاغة وجلال البيان ، فأطفأ نور القرآن قناديل بلاغتهم وارغمهم على ان يقولوا في القرآن : **(إن فيه لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق ، وانه ليس من كلام بشر وانما هو من كلام خالق القوى والقدر .)**

بعض نواحي الاعجاز في القرآن

القرآن هو كلام الله المنزل على رسوله المتعبد بتلاوته والمتحدي بأقصر سورة منه ، تحدى به العرب بصفة خاصة ، ثم تحدى به غيرهم من الانس والجن ، فما ان سمعته الجن حتى عادوا الى قومهم يقولون : **(إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا)** الجن / ١ و٢ ما ترك صغيرة ولا كبيرة الا احصاها في غير اسهاب ممل او اقتضاب مخل ، وفي القرآن من قوة الصقل وجمال الاسلوب ما لو اجتمعت الانس والجن على محاكاته : **(لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)** الاسراء /٨٨ **(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)** فصلت / ٤٢ ولأقداره العليا عند الله وضرورته القصوى للناس وعد الله بصيانته وحفظه ، فقال سبحانه : **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** الحجر / ٩ فذاد عنه شر الكائدين وحقد المبشرين وشرار الوجوديين ، وقد دعا الى الاستماع لآياته والانصات له فقال جلت عظمته :

(واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون) الاعراف / ٢٠٤ ثم يسره للاستذكار والحفظ فقال : (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) القمر / ٣٢ ثم دعا الى الامعان في معانيه وتدبر حكمه فقال جل شأنه :(افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) محمد/ ٢٤ ودعا كذلك الى النظر في ملكوت السموات والارض ودراسة ما في الكون من الناحية العامة فقال جل شأنه :(وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون) الذاريات / ٢٠ و٢١ ثم قال عز من قائل : (وكأي من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) يوسف / ١٠٥ وقال جل ثناؤه :(وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون)الاعراف /١٠ ثم توسع القرآن بعد ذلك في ذكر الآيات الكونية داعيا الى استثمار كنوز الارض والسماء فقال : (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) لقمان ٢٠ ثم أشار القرآن الى مجال الزراعة فقال سبحانه (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) هود/ ٦١ وقال جل شأنه : (ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد) ق / ٩ وقال سبحانه في تزاوج النبات والغرائس وغيرها : (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) الذاريات / ٤٩ وقال جل شأنه : (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن انفسهم ومما لا يعلمون) يس / ٣٦ واشار القرآن في مجال الصناعة فقال سبحانه : (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا) الاعراف / ٢٦ وقال جل شأنه (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد) سبأ / ١٠ وقال سبحانه : (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) الحديد/ ٢٥ وقال ايضا :(يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور) سبأ /١٣ وقال جل شأنه :(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) النحل /٥،٦ وفي مجال التجارة والملاحة يقول الله سبحانه :(الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) الجاثية /١٢ وفي مجال الفلك :(وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) الاسراء/١٢ وقال جل شأنه :(الشمس والقمر بحسبان) الرحمن /٥ ثم اشار القرآن الى ما جاء به من طب وعلاج للنفوس فقال : (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة)الاسراء / ٨٢ وفي طبقات الفضاء يقول : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) فصلت/ ٥٣ هذه المامة سريعة لبعض ما يحمله القرآن للناس من توجيهات وارشادات ومقدمات لاسعادهم في الدنيا والآخرة ، بينما القرآن في جملته معجزة يؤيد الله بها رسوله وقد جعله فوق المعارضة والتحدي سيما في باب

: تمرس العرب فيه وتنافسوا عليه ، وتفاخروا بتجويده وعجزوا عن محاكاته وطأطئوا رؤوسهم عند سماعه :(**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**) النساء / ٨٢ وهو في النهاية معجزة ذهنية تصاحب الزمن وتعايش الخلود ، اما غيرها فهي معجزات حسية آمن بها من رآها ومن لم يؤمن بها فهي عنده بمثابة الخبر ان شاء صدق وان شاء كذب ، ولا تقع موقع التصديق الا بعد ذكرها في القرآن ، ومن ناحية اخرى يعلن القرآن اعجازه في اختراق الحجب الثلاثة حجاب الماضي وحجاب الحاضر وحجاب المستقبل اما الماضي ففيما ذكره القرآن عن آدم ونوح وهود وصالح وابراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى ، قال سبحانه مخاطبا نبيه ورسوله محمدا :(**وهل أتاك حديث موسى . إذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى**) طه / ٩ و١٠ وقوله سبحانه لنبيه عمن تنافسوا في كفالة مريم : (**وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم**) ال عمران / ٤٤ وقوله سبحانه : (**وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا**) القصص / ٤٥ وكذلك كشف القرآن عما كان يدور في مجالس القوم وما يتناولونه من مواضيع :(**ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير**) المجادلة / ٨ وقال جل شأنه : (**وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون**) التوبة / ٤٢ ثم يبشر القرآن المسلمين وهم قلة مستضعفة بمكة بهزيمة عدوهم في معارك المستقبل فيقول سبحانه (**سيهزم الجمع ويولون الدبر**) القمر / ٤٥ نزلت هذه الآية قبل الهجرة ، ولما نزلت قال عمر رضى الله عنه : اي جمع هذا الذي سيهزم ونحن لا نستطيع ان نحمي انفسنا ؟! ، ولكن نبوءة القرآن كانت اصدق مما تحدث عنه عمر ، وان هذا الجمع قد ولى الادبار خارج مكة وانتصرت عليه القلة المؤمنة ثم يتحدث القرآن اعجازا بما هو اعمق من ذلك فيحدد موضع ضربة وقعت لعدو الله الوليد بن المغيرة قبل وقوعها بسنين فيقول سبحانه :(**سنسمه على الخرطوم**) القلم / ١٦ فيتحقق ذلك ويصرع الله عدوه بضربة سيف على انفه مؤشر كبريائه ، فمن يستطيع تحديد مثل هذا الا رب القرآن على لسان القرآن ؟.. ومثل هذا العاتي المتجبر ابو لهب الذي حكم عليه وعلى زوجته بالهلاك وهو على قيد الحياة ومثله النضر بن الحارث بن كلدة ، والعاص بن وائل السهمي ، وعمرو بن هشام المعروف « بأبو جهل » ، وامية بن خلف ، ومما يدعو الى العجب ان بعض هؤلاء كانوا يؤمنون برسالة الرسول في قرارة نفوسهم ، ولكن حرصهم على زعامتهم وضآلة تفكيرهم ـ جعلهم يلجون في الطغيان ، وقد وصف القرآن ذلك فقال :(**قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**) الانعام /٣٣ ويقول جل شأنه : (**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا**) النمل /

١٤ كان النضر بن الحارث يتحدث مع خاصته بصدق الرسول وامانته ، ولكنه في المجالس العامة ينكر ذلك ويعلن حرب الكلام عليه ، وفي هذا نزلت الاية الكريمة : (**ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين**) لقمان/٦ ونزل في الوليد بن المغيرة قوله سبحانه : (**عتل بعد ذلك زنيم . أن كان ذا مال وبنين. إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين**) القلم ١٣ ـ ١٥ وقد قال الله فيه ايضا : (**سأرهقه صعودا**) المدثر / ١٧ ونزل في امية بن خلف قوله سبحانه : (**ويل لكل همزة لمزة . الذي جمع مالا وعدده . يحسب أن ماله أخلده . كلا لينبذن في الحطمة**) الهمزة / ١ ـ ٤ ونزل في العاص بن وائل ـ قوله سبحانه : (**أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا . أطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا . كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا . ونرثه ما يقول ويأتينا فردا**) مريم ٧٧ ـ ٨٠ وفي عمرو بن هشام « الشهير بابو جهل » ـ نزل قول الله سبحانه : (**أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى . أرأيت إن كان على الهدى . أو أمر بالتقوى . أرأيت إن كذب وتولى . ألم يعلم بأن الله يرى . كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة . فليدع ناديه . سندع الزبانية . كلا لا تطعه واسجد واقترب**) العلق / ٩ ـ ١٩ .

فكل من تناولتهم آيات الوعيد من مشركي قريش ، وانذرتهم بسوء الخاتمة وظلمة المصير ـ ماتوا كفارا من امثال الوليد بن المغيرة ، وابي لهب وامرأته حمالة الحطب ، والنضر بن الحارث بن كلدة والعاص بن وائل السهمي ، وعمرو بن هشام « الشهير بأبو جهل » ، وامية بن خلف ، اما من لم تتناولهم آيات الله بالوعيد والنذير فقد اسلموا واسهموا في معارك النصر الاسلامي ، من أمثال ابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد ، مما يدل على ان القرآن من لدن عليم خبير ، وان ما جاء به في هذا الشأن صورة من صور الاعجاز بالنسبة للمحيط العربي .

اما إعجاز القرآن من الناحية الدولية ، فتتحدث عنه أول سورة الروم ، حيث يقول سبحانه ، بسم الله الرحمن الرحيم :(**آلم . غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم**) ١ـ ٥ فمن المعروف تاريخيا انه قد كان هناك دولتان كبيرتان تتناوبان السيطرة على العالم بالقرب من الجزيرة ، العربية ، هما الروم والفرس ، والروم اهل كتاب ، والفرس امة مجوسية تعبد النار ، وقد قامت الحرب بينهم في اول العهد بالاسلام فهزم الفرس الروم ، ففرح مشركو الجزيرة بهذا النصر لما بينهم من رباط الشرك ، وحزن المسلمون لصلة ما تجمعهم بالروح المسيحية فأراد الله ان يسري عن المسلمين ما اصابهم من حزن لهذه النتيجة ، فأنزل الله على رسوله الآيات المتقدمة في اول سورة الروم ففرحوا وراحوا يتساءلون عن معنى البضع وعدده من

السنين ، وراح ابو بكر يراهن على صحة ما جاء به كتاب الله ايمانا به وتصديقا ، وسواء اكان البضع سبع سنوات او تسع - فانها فترة طويلة وانها قضية تتصل بغير العرب خارج الجزيرة ، ولكن تحقيق هذا الوعد بعد انتهاء المدة المضروبة - كانت احدى معجزات القرآن - فيما تحدث به الى العرب خاصة والى غيرهم كافة على مدى القرون والى ان تقوم الساعة .

كروية الارض

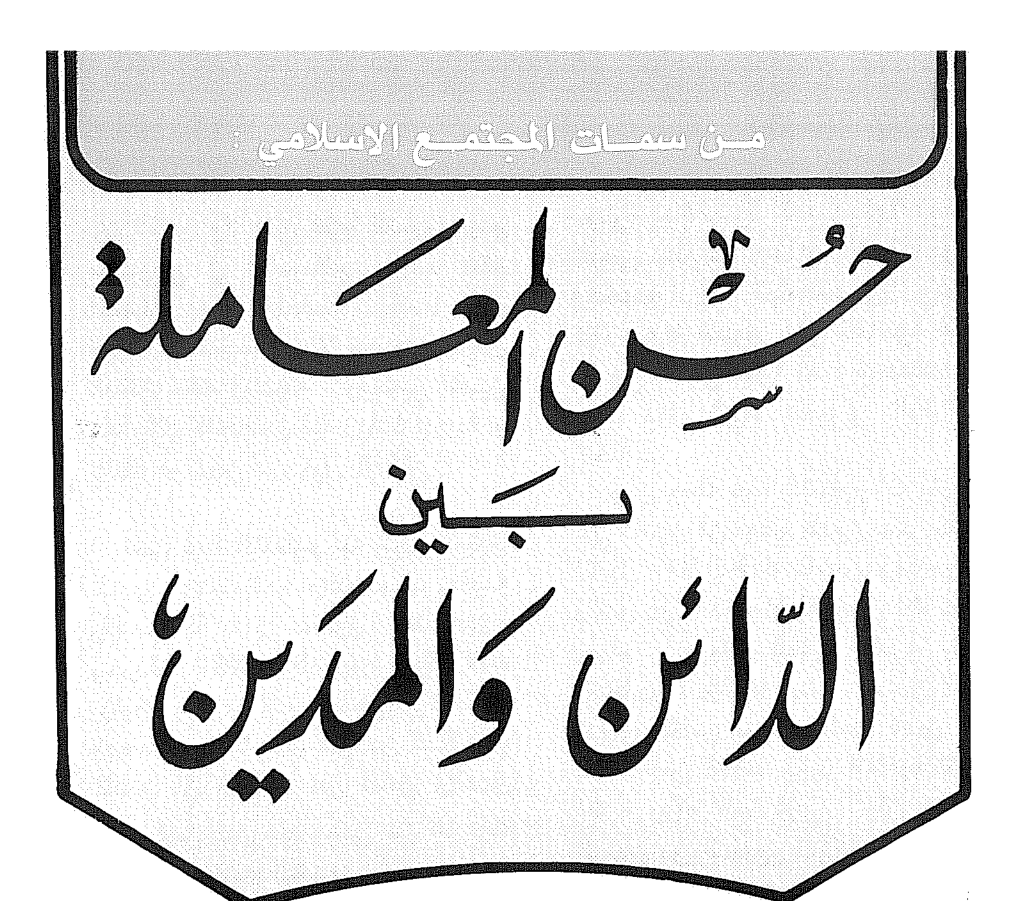
وقبل خمسة عشر قرنا من الزمان والقرآن يحدثنا عن كروية الارض ودورانها ، فمن ناحية التكوير يقول سبحانه : (**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**) الزمر / ٥ والتكوير لا يتم عادة الا حول جسم كروي ويؤيده قول الله سبحانه في آية اخرى فيقول جل شأنه : (**ولا الليل سابق النهار**) يس / ٤٠ وفيه رد على من يزعم ان النهار يسبق الليل ، وهذا تأكيد قرآني بأن الارض كروية ، اذ لو كانت مبسوطة لما تم تكوير الليل والنها رحول جسم واحد في وقت واحد ، فمنذ خلق الله الشمس سراجا ونصف الارض المواجه للشمس بمثل النهار ، والنصف الآخر بمثل الليل ، فاذا دارت الارض دورتها اصبح النهار ليلا والليل نهارا وهكذا لم تتخلف سنة الله في هذا الوضع الكوني الخالد ، واما ما قيل من ان الارض مسطحة ويستدل على ذلك بقوله جل شأنه :(**والارض مددناها**) ق / ٧ اي بسطناها ، فان الامتداد هنا امتداد أمام عين الرائي فقط ويقول جل شأنه :(**والأرض بعد ذلك دحاها**) النازعات / ٣٠ قال الكواكبي : دحاها اي كورها ، غير انها ليست تامة التكوير ، وفيه يقول سبحانه :(**أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها**) الرعد / ٤١ أما دوران الارض فثابت بقوله سبحانه :(**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء**) النمل / ٨٨ واذا كانت الجبال وهي أوتاد الارض تتحرك وتمر مر السحاب - فالارض المشدودة المثبتة بهذه الاوتاد لا بد وأن تدور بدورتها وفي التعبير بقوله سبحانه :(**وهي تمر مر السحاب**) - اشارة الى ان مرور الجبال وحركتها ليست مرورا ذاتيا ، وانما يتم تبعا لدورة الارض ، ذلك لان السحاب لا يمشي بقوة ذاتية ، وانما يمشي بقوة الرياح ، ولهذا كان التشبيه القرآني قويا ودقيقا في اثبات دوران الارض .

واذا قيل ان مرور الجبال سيكون في يوم القيامة ، فالرد على القائلين بذلك سهل وهو ان الارض في هذا اليوم ستتغير ، قال سبحانه :(**يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار**) ابراهيم / ٤٨ وان الجبال في هذا اليوم ستتحلل وتتفتت وتفقد وظيفتها وصلابتها حيث يقول سبحانه : (**يوم يكون الناس كالفراش المبثوث . وتكون الجبال كالعهن المنفوش**) القارعة / ٤ و ٥

والعهن هو الصوف المنفوش المتباعد الشعرات المتنافر الوحدات وعليه فان الارض ستكون غير الارض والجبال غير الجبال ، وان مرورها الموصوف بأنه كمر السحاب انما يكون في الدنيا غير اننا لا ندركه ولا نحس به ، الا ان ادراك ذلك يتطلب النظر الى شاخص خارج عن دائرة الارض ، وهيهات ان يتحقق وجود هذا الشاخص . وهاكم مثلا تقريبيا لذلك ، فلولا ضوضاء القطار ما أحس ركابه بمسيرته ـ الا حين تقع أنظارهم على اعمدة البرق والهاتف والشجر تجري بالقرب منهم ، وهي في الواقع لا تجري بل الذي يجري هو القطار فهل جاء العلماء في مختلف العصور بجديد في نظرية دوران الارض ؟ انه الاعجاز القرآني اطل على الدنيا وهي مظلمة فنقل الناس من ظلمات الجهل الى نور العلم ، ومن الضلال الى الهدى وذلك لانه من لدن عليم خبير .

التلقيح والتزاوج

ومن اعجاز القرآن ايضا الاعلان عن نظرية التلقيح والتزاوج بين الذكورة والانوثة في الغرائس والنباتات كما هي سنة الحياة في البشر والحيوان والطيور ، وقد ركز الله على هذه النظرية في مناسبات عديدة قال سبحانه :(**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**) الذاريات / ٤٩ ، وقال جل شأنه : (**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**) يس / ٣٦ وقال عز من قائل :(**وأرسلنا الرياح لواقح**) الحجر / ٢٢ وقال جلت عظمته : (**وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج**) الحج / ٥ ، وقال تسامت قدرته :(**أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم**) الشعراء / ٧
وقال سبحانه :(**وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم**) لقمان / ١٠ وقال جل شأنه : (**فيهما من كل فاكهة زوجان**) الرحمن / ٥٢ وقال عز كبرياؤه :(**ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين**) الرعد / ٣ وقال عز من قائل :(**وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى**) طه / ٥٣ وقال سبحانه :(**وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج**) ق / ٧ ، وفي التعبير بلفظ شيء في الآية الكريمة : (**ومن كل شيء خلقنا زوجين**) ما يفيد بان التزاوج الوارد في الايات المتقدمة لا يكون بين الاحياء فقط بل يكون كذلك بين الجمادات ، فالنيازك مثلا ثمرة تزاوج بين نجمين والطاقة الكهربية نتيجة تزاوج بين سالب وموجب ، وتفجير الذرة ثمرة اصطدام الالكترون بالبريتونات داخل نواة الذرة ، وهذا ما يكشف بعض المغزى العظيم في مثل قوله سبحانه :(**ومن كل شيء خلقنا زوجين**) قال صلوات الله عليه : ما من الانبياء من نبي الا وقد اعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الى ، فأرجو أن اكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) متفق عليه عن ابي هريرة .



للأستاذ / احمد حسن القضاة

المجتمع الاسلامي مجتمع رحمة وتعاون ، ومودة وتضامن .. تجد فيه الغني يأخذ بيد الفقير ، والقوي ينصر الضعيف .. وذلك على نقيض من المجتمعات التي لا تدين بالاسلام .

ويعود السبب في ذلك الى ان المجتمع الاسلامي يستمد نظمه وتشريعاته وطرائق عيشه من « الاسلام » . والاسلام ـ كما هو معلوم ـ نظام رباني ودين سماوي . فلن تجد فيه ـ أذن ـ نقصا في التشريع ، او اختلاطا في النظم ، او قسوة في الاحكام لانه صادر عن رب العالمين . وليس هو كما ينعته به اعداؤه : دين يقتصر على العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج وشيء من الأخلاقيات ..

وسأضرب لك ايها القارىء الكريم مثلا على الرحمة والتعاون في المجتمع الاسلامي ، وآخر على القسوة والظلم في غيره من المجتمعات غير الاسلامية لتقارن بين المثالين ، وتوازن بين المجتمعين ، ولتعلم ان الاسلام شامل كامل ، دين ودنيا ، عبادات ومعاملات ، اخلاق وجهاد .. والمثالان يتعلقان بموضوع واحد هو : معاملة الدائن والمدين فيما بينهما .

في المجتمع الاسلامي :

من المعاملات الحياتية التي تجري

بين الناس ولا غنى عنها الدين . وهو مشروع في الاسلام . وقد نظم الاسلام هذه المعاملة ـ كما نظم غيرها ـ تنظيما عادلا بحيث يضمن للدائن حقه في دينه ، ويحمي المدين مما يثقل كاهله من اية زيادة أو ربا او غلظة او تجن من قبل الدائن .

فمن هذا التنظيم انه يجب توثيق الدين وكتابته والاشهاد عليه والمحافظة على حقوق الطرفين ، وحرمات الكاتب والشهود . وكل ذلك يرتبط بتقوى الله والحق والعدل ، ويجعله دينا لا يحل لاي من الدائن او المدين ان يخالف عن الحق والعدل فيه ، فمن فعل فقد فسق عن امر ربه وتعرض لعقابه الشديد .

قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولايأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم**) البقرة / ٢٨٢ .

ومن جملة هذا التنظيم انه يترتب على المدين ان يدفع الدين عند حلول الاجل ، فلا يحل له تأخيره وهو موسر وقادر على الدفع لقوله صلى الله عليه وسلم : « مطل الغني ظلم » رواه البخاري . ولقوله ايضا : « من اخذ اموال الناس يريد اداءها ادى الله عنه ، ومن اخذها يريد اتلافها اتلفه الله » رواه البخاري . وان سداد الديون من الحقوق المؤكدة عند الله . اما ان عجز المدين عن الوفاء فيضمن عنه بيت مال المسلمين .

هذا بالنسبة للمدين . اما الدائن فقد امره الشرع ان يكون سمحا لدى مطالبته بالدين لقوله صلى الله عليه وسلم : « خيار الناس احسنهم قضاء » رواه البخاري . ولا تتحقق السماحة الا اذا كان الدائن كريم الخلق ، سخي النفس ، مؤمنا ، لا يطالب بدينه الا في الوقت الذي يعلم ان مدينه قد اصبح في حالة من اليسر والقدرة على الدفع . وان يترفق في الطلب بحيث لا يزعجه ولا يحرجه ولا يشهر به . وان يؤخر الاجل ـ وان كان محددا وموثقا بكتابات ومواثيق ـ الى وقت اخر ، وان لا يسارع في مقاضاته ، واذا كان غنيا لا يضره التنازل عنه او عن بعضه ، ويدخر ـ

بدلا منه - الأجر العظيم والجزاء الأوفى لدى من لا يضيع اجرا أو جزاء او عملا صالحا . فان الله تعالى يقول : **(إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم)** التغابن / ١٧ . ويقول سبحانه : **(وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون)** البقرة / ٢٨٠ .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والاخرة . ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والاخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه » رواه مسلم بهذا اللفظ . فانظر يا اخي كيف تكفل الله تعالى بثواب من يفرج عن اخيه كربة من كرب الدنيا وجعل جزاءه تفريج كربة من كرب يوم القيامة ، وذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم . وما اشد حاجة الانسان الى تفريج ازمات ذلك اليوم وشدائده .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « كان تاجر يداين الناس فاذا رأى معسرا قال لفتيانه : تجاوزوا عنه لعل الله ان يتجاوز عنا ، فتجاوز الله عنه » رواه البخاري .

فهذا توجيه من الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام الى اغنياء المسلمين لكي ينظروا المعسرين او يتجاوزوا عنهم حتى يكون جزاؤهم من جنس عملهم فيتجاوز الله عنهم يوم القيامة .

والتجاوز يشمل في معناه : الإنظار ، ووضع الدين عن المدين ، وحسن الاقتضاء . عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رحم الله رجلا سمحا اذا باع ، واذا اشترى ، واذا قضى ، واذا اقتضى » رواه البخاري .

ولا ريب ان السماحة بين الدائن والمدين : من اداء الحق ، والرفق في الطلب ، واحترام كل منهما للحق وحرصهما عليه ، ووفاء من عليه الحق ، وكرم الدائن ومسامحته للمدين المعسر .. كل ذلك يزرع الخير بين الناس ويغرس المحبة الصادقة في قلوبهم جميعا ..

والاسلام يشدد على هذه المعاني ويحرص عليها وينشرها بين اتباعه ويحوطها بسياج متين من الرغب والرهب لكي ينعم الناس في ظل هذا الدين بالحب والتعاون ، والخير والرفاهية ، وذلك لانه - بحق - دين الدنيا والاخرة ..

هذا مثال من المجتمع الاسلامي الذي لا تسوده القسوة او يقود حب المال افراده الى استغلال الفقراء والمعوزين لامتصاصهم والقضاء عليهم .

فاين نحن اليوم من هذه التوجيهات السامية والارشادات الحكيمة ؟

ولا تنظرن لبعض من يدعي حمل الاسلام ، في هذه الايام ، ولا يطابق قولهم فعلهم ، فتحكم على الاسلام او

على المجتمع الاسلامي من خلالهم . لاني اعرف اشخاصاً - غفر الله لنا ولهم - يدعون حمل الاسلام « متدينين كما يصفهم مجتمع اليوم » ولكنهم في اثناء الحياة « العملية » ولدى التعامل اليومي الملموس معهم سرعان ما « ينكشفون » للناس ويسفرون عن « طبيعتهم » الدنيوية الكامنة ، ويبدو منهم حب الدنيا والتهافت عليها . فهؤلاء بعيدون عن الاسلام وعن المجتمع الاسلامي ..

في
المجتمع غير الاسلامي :

والآن اضرب لك مثلا لنفس الموضوع من المجتمع غير الاسلامي لتقارن - كما اسلفت لك - بين مجتمع الاسلام ومجتمعات الانظمة الوضعية التي طغت عليها الاثرة والانانية وقسوة النفوس وحب المال والجاه وحب الدنيا والتكالب عليها .

اذا تداين رجل من تاجر او من غني ، وعجز المدين عن الوفاء او تقاعس - لسبب او لاخر - عن سداد الدين تجد التاجر او الدائن يقيم الدنيا ويقعدها على هذا المدين ، فلا هو ينظره ولا يتجاوز عنه او يحسن الطلب منه . يرغي ويزبد ، ويشهر ويشتم ، وفوق ذلك كله قد يذهب به الى القضاء ليكون مصيره اما السجن فيقطعه عن السعي وراء كسب قوت عياله واولاده ، واما الحجز على ممتلكاته الخاصة - ان كان لديه ممتلكات - واما اقتطاع مبلغ شهري من راتبه - متضمنا دفع المبلغ ورسوم الدعوى واتعاب المحامي وغيرها - ان كان موظفا .

والحياة المعيشية هذه الايام صعبة وقاسية وممضة على ذوي الدخل المحدود وارباب العائلات الكبيرة ، سيما ذلك الجيش الكبير من الموظفين الصغار والعمال الذين لا تكاد رواتبهم واجورهم ان تكفي سد الحاجات الضرورية لهم ولاولادهم . فما هو السبيل امام هؤلاء الناس لكي « يواصلوا » حياتهم اليومية ويظلوا مع « لقمة العيش » ؟

انهم يلجأون الى البنوك الربوية « فيستلفون » ثلاثة او اربعة اضعاف رواتبهم لقاء فوائد تخصم سلفا من المبلغ المعطى لهم ، ثم يخصم من رواتبهم شهريا مبلغ معين الى ان يستوفي البنك ما اسلفه لهم .

ويتمشى بهذا الاسلوب جمع غير قليل من الموظفين والعمال والتجار الصغار بلا رادع من ضمير ، او وازع من تقوى .

لكن هناك فئة لا تلجأ الى هذا الاسلوب الحرام - مهما كلفها ذلك من جهد ومشقة ومعاناة - بل تصبر وتحتسب وتتوكل على الله وتعمل بنص الاية الكريمة : (**ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا**) الطلاق / ٢ و ٣ .

هذه الفئة - وان لم تكن تعيش في

مجتمع اسلامي ـ الا انها تلتزم ـ قدر المستطاع ـ باسلامها ، وتحافظ على تعاليم دينها ، بل وتعض عليها بالنواجذ .

لكن الدنيا لا ترحم ، والاطفال الصغار لا يصبرون على جوع ، او يعذرون ابا تقيا ووالدا لا يتعامل بالربا والحرام . فما السبيل امام هذه الفئة من المتقين الذين لا يعرفون ابواب البنوك الربوية او التجار الربويين ؟

هنالك طريقان : اما ان يتعامل الرجل الصالح شهريا مع تاجر بقال ، فيستدين منه احتياجاته البيتية طيلة ايام الشهر ، ويدفع له في نهاية الشهر جزءا من المبلغ الذي يزداد لقاء شرائه تلك الاحتياجات فيظل ـ طول عمره ـ مدينا لهذا التاجر .. لان هذا يأخذ كثيرا ويدفع قليلا ، والمبالغ تزداد مع قدوم كل شهر جديد .

واما ان يقترض مبلغا كبيرا او صغيرا من « صديق » او قريب له لقاء ان يدفع نقدا في نهاية كل شهر جزءا من هذا القرض ، ثم يشتري متطلباته نقدا بهذا المبلغ .. وفي كلا الحالين شر وبلاء للمدين ، لاني اعرف اشخاصا متقين يلجأون الى احد هذين الطريقين او اليهما معا مما يثقل كاهلهم ويعجزون عن الوفاء في نهاية الامر .

ومن العجب العجاب انني رأيت بام عيني احد هؤلاء المتقين وقد ركبه الدين ووقف عاجزا عن الوفاء لاحد « اصدقائه » الذين كان يتوسم فيهم « الصداقة » و « الاخوة » وكان قد اقترض منه مبلغا متواضعا من المال ، ولكن هذا الصديق تنكر له اخيرا ـ عندما عجز مرة عن دفع « القسط » المترتب عليه ، واخذ يشهر به ويوقعه في « احراجات » كبيرة على مرأى من الله والناس .

وكنت ترى صديقه المدين المؤمن قد غلب على امره ولم يحر جوابا الا انه كان يبرز له عذره ويطلب اليه التريث والصبر حتى يجعل الله من بعد عسر يسرا . ولكن بدون جدوى ، فما كان الا ان انبرى احد المحسنين الحاضرين بعد ان [illegible] الغيرة الدينية على المدين ، [illegible] القسط المطلوب من جيبه وحسم الخلاف بين « الصديقين المتداينين ..

فاين هذا مما ذكرناه في بداية هذه المقالة ؟ اين هذا من سماحة الاسلام وسماحة رجاله الرحماء المتقين ؟ بل اين سماحة المجتمع الاسلامي من ظلم المجتمعات الربوية التي تقوم على امتصاص دم الفقراء واستغلال حاجتهم .. لتحولها الى خزائن ذوي الملايين من المستغلين والمحتالين والنصابين والمرابين ؟

اين نحن اليوم من الاسلام الكامل الشامل في حكمه وتشريعه ونظامه ومنهجه ؟ افلا تدبرنا هذا الدين القويم ، وعدنا الى قرآننا الكريم ، وصراط ربنا المستقيم ، وهدى رسولنا العظيم ؟!

مائدة القارئ

أخلاق الحاج

قال تعالى : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب » ١٩٧ البقرة .

هكذا كانوا

قبل نشوب المعركة كان النعمان بن مقرن يقول :

اللهم اعزز دينك ، وانصر عبادك ، واجعل النعمان أول شهيد اليوم .. اللهم إني أسألك أن تقرَّ عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الاسلام .

ثم يقول لأصحابه : أمنوا يرحمكم الله .

يذوب القلب من كمد

اخطار .. ومهالك .. وويلات ، وحصار ، وقتل ، وأسر ، وجرحى بالمئات ، ذاك هو حال الاخوة في لبنان ، ومن قبلُ قال الشاعر أبو البقاء الرندي (الأندلسي) . قصيدة صور بها ما حل بالمسلمين في عهده بالأندلس .. نقتطف منها هذه الأبيات :

كم يستغيث بنو المستضعفين وهم … اسرى وقتلى ، فما يهتز انسان
ماذا التقاطع في الاسلام بينكم … وأنتم يا عباد الله اخوان
ألا نفوس أبيات لها همم … أما على الخير أنصار وأعوان

ثم مضى يقول :

وطفلة ما رأتها الشمس اذ برزت … كأنما هي ياقوت ومُرْجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة … والعين باكية ، والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد … إن كان في القلب اسلام وايمان

بشرى للحجاج

عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : وقف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعرفات ، وقد كادت الشمس أن تؤوب ، فقال : « يا بلال ، أنصت لي الناس » . فقام بلال فقال : أنصتوا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأنصت الناس ، فقال : « يا معشر الناس ، أتاني جبرائيل عليه السلام آنفا فاقرأني من ربي السلام ، وقال : إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات ، وأهل المشعر ، وضمن عنهم التبعات »

فقام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقال : يا رسول الله ، هذا لنا خاصة ؟

قال : هذا لكم ، ولمن أتي بعدكم الى يوم القيامة » فقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : كثر خير الله ، وطاب .

حاول ان تكون

جاء رجل الى الحسن البصري ـ رحمه الله ـ فقال : ما سر زهدك في الدنيا يا امام ؟

فقال : اربعة اشياء :

● علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فأطمأن قلبي .

● وعلمت أن عملي لا يقوم به غيري ، فاشتغلت به وحدي .

● وعلمت أن الله مطلع عليَّ ، فاستحييت أن يراني على معصية .

● وعلمت أن الموت ينتظرني ، فأعددت الزاد للقاء ربي ..

فحاول أن تكون ـ أخي ـ وأنا معك أحاول ـ مطمئن القلب ، منشغلا بعملك ، ذا حياء من الله ، متزودا بالتقوى والعمل الصالح لتفوز برضوان الله .

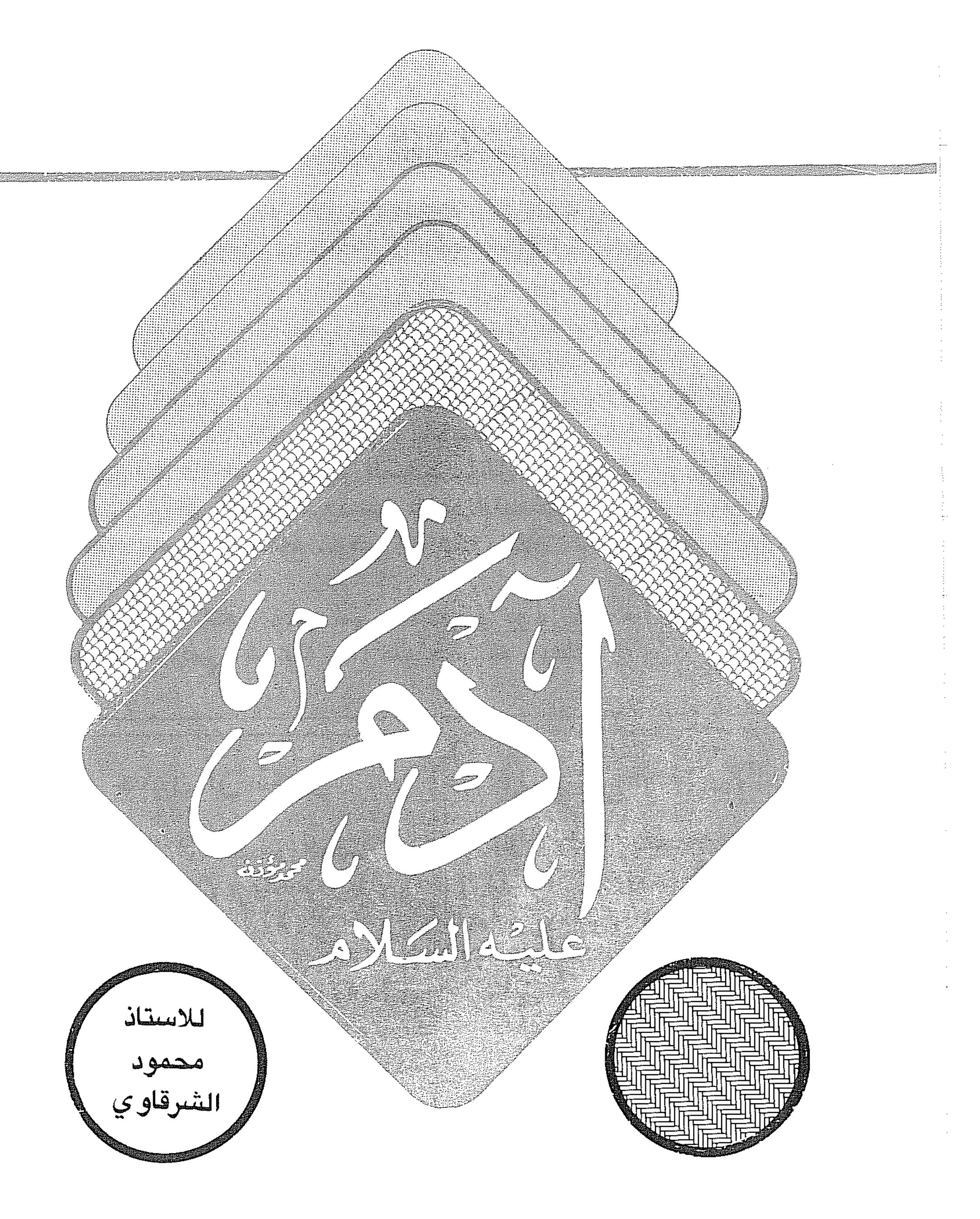
المضمون لا العنوان

قال التلميذ لشيخه : ما اجمل الشعارات التي يرفعها البعض عنوانا لعملهم ومبادئهم ، ولكن ما أقبح المضمون عندما تتعرض شعاراتهم للاختبار .

فقال الشيخ : إن بطاقة السكر على وعاء الحنظل لا تجعله حلو المذاق .

روح العبادة

قالت فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها ـ : جُعل الايمان تطهيرا لكم من الشرك ، والصلاة تنزيها لكم من الكبر ، والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق ، والصيام تثبيتا للاخلاص ، والحج تشييدا للدين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحة للعامة .



(١)

قصة آدم في القرآن المجيد هي قصة الانسان الاول .. خلق من تراب .. وارتقى بالخلق السوي الى منزلة العقل والارادة .

وقصة هذه النشأة الآدمية يستوفيها القرآن في هذه الآيات :

(ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون) الحجر/٢٦ .

(خلق الإنسان من صلصال كالفخار) الرحمن/ ١٤ .

(إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين) ص/ ٧١ .
(إنا خلقناهم من طين لازب) الصافات/ ١١ .
(الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين) السجدة/ ٧ .

(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) المؤمنون/ ١٢ - ١٤ .

(ما لكم لا ترجون لله وقارا . وقد خلقكم أطوارا) نوح/ ١٣و١٤ .

فالطين كما تصرح الآيات هنا هو الاصل الذي نشأ منه الانسان ، وان يكن هذا الطين قد تقلب في اطوار عديدة ، حتى ظهر منه هذا الانسان .

فالحمأ المسنون هو الطين بعد ان يتخمر ويتعفن ، وبين طور الطين والحمأ المسنون طور آخر هو الصلصال الذي يتحول فيه الطين الى مادة من الزبد يشبه الفخار . وبلغة العلم الحديث : يكون الطين ، فالصلصال ، فالحمأ المسنون - وهو الطين المتعفن - ثلاثة اطوار تنقلت فيها بذرة الحياة ، وان هذا التعفن الذي اصاب الطين هو بشائر الحياة ، اذ هو « البكتريا » التي نضجت فيها خمائر الحياة وظهرت فيها جرثومتها .

لقد تعرض القرآن لبدء الحياة في هذه الأرض فقال : **(والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير)** النور/ ٤٥ .

وهذا الذي قرره القرآن منذ قرون واجيال اصبح من مقررات العلم الحديث ، يقول العلماء ان اول حيوان وجد في هذه الارض ، انما وجد في الماء في صورة خلية ضئيلة جدا تحمل سر الحياة القابلة للنمو والتكاثر والتطور ، وبتكاثر هذه الخلية الضئيلة كثر ما يعيش في الماء من الاحياء ، وتطورت هذه الاحياء فصارت انواعا واجناسا وفصائل ، وظلت تعيش في الماء الى ما شاء لها الله ، ثم بدأ بعضها يدرج منه الى وجه الارض ويعيش عليها ، وتأقلم ذلك الذي درج الى سطح اليابس ، وتكاثر وتطور ،فكان منه ما نعرف من انواع الحيوان وما لا نعرف مما انقرض نسله وغبر عهده ذلك ما يقرره القرآن ، ويقرره العلم عن بدء الحياة في هذه الارض .وهو تقرير يدل على ان الارض عرفت كثيرا من انواع الاحياء المائية والبرية قبل ان تعرف هذا الانسان الذي يسكنها الآن بما لا

يحصيه الا الله من الدهور .

فلما خلق الله تعالى آدم ، كانت الارض حافلة بأصناف النبات والطير والدواب ، ولم يأمره سبحانه وتعالى بالهبوط اليها ، الا بعد ان علمه اسماءها وخواصها وسر تذليلها والانتفاع بها واليه الاشارة بقوله عز وجل : **(وعلم آدم الأسماء كلها)** البقرة/ ٣١ .

وليس في نصوص القرآن التي وردت عن نشأة الحياة وتطورها نص قطعي ، يدل على ان الانسان الحالي انحدر من سلالات تلك الاحياء القديمة وتطور حتى صار الى ما هو عليه الآن ، وليس في العلم كذلك نص يقيني يقرر ذلك . وكل ما هنالك ان لدى علماء الجيولوجيا علما عن بقايا عظام قديمة لأمم سكنت هذه الارض منذ عصور موغلة في القدم ، تخالف عظام الآدميين الموجودين عليها الآن .

وقد رأى بعض الباحثين في قصة آدم ان يناقشوا نظرية داروين . يقول داروين في حديثه عن أصل مذهبه : « ان المشابهة واسبابا اخرى تدعونا ضرورة الى الاعتقاد بأن الأحياء اصلها واحد ، والا فاصل جوهري بين العالمين ، عالم النبات وعالم الحيوان » .

ثم يقول : « اني أرى فيما يظهر لي ان الاحياء عاشت على هذه الارض جميعها في صورة واحدة اولية ، نفخ الخالق فيها نسمة الحياة ».

ان آدم خلق من طين او تراب وذلك ما يؤيده الواقع ، ويقره العلم ، وتثبته التحاليل الكيماوية ، فلو اننا اخذنا قبضة من تراب الارض الخصبة ، واجرينا عليها عمليات التحليل الكيماوية لوجدناها تتركب من ستة عشر عنصرا .

ولو اخذنا قطعة من جسم الانسان واجرينا عليها عمليات هذا التحليل لوجدناها كذلك تتركب من ستة عشر عنصرا ، وهي نفس العناصر التي تتركب منها تربة الارض .

وهذه العناصر هي ما يأتي ، مرتبة بحسب نسبة وجودها في جسم الانسان . الاكسجين ٦٣,٠٣٪ - الكربون ٢٠,٢٠٪ - الايدروجين ٩,٩٠٪ النيتروجين ٩,٥٪ - الكالسيوم ٢,٤٥٪ - الفسفور ١,٠١٪ الكلور ٠,٦٪ - الفلور ٠,١٤٪ - الكبريت ٠,١٤٪ - البوتاسيوم ٠,١١٪ الصوديوم ٠,١٠٪ ، المغنسيوم ٠,٠٧٪ ، الحديد ٠,٠١٪ . وآثار ضئيلة من كل من اليود والسليكون والمنجنيز .

وتنتقل هذه العناصر من تربة الارض الى جسم الانسان بما يتناوله المرء من الاطعمة والمأكولات ، والاطعمة اما نباتية او حيوانية .

فالنباتية مؤلفة من العناصر التي ذكرناها ، فلو انك اخذت كمية من القمح مثلا وحللتها كيميائيا ، لوجدتها مؤلفة من العناصر المذكورة ، اذ النبات انما يستمد غذاءه من تربة الارض . اي من نفس هذه العناصر . والاطعمة الحيوانية مؤلفة من العناصر التي تتألف منها الاطعمة النباتية ، اذ الحيوان يعتمد في بناء جسمه على النبات .

وعندما يموت الانسان والحيوان والنبات تبلى اجسامهم وتتحلل الى عناصرها الاولى ، وتعود الى الارض ، قال الله تعالى :

(منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) طه/ ٥٥ . وننتهي من هذا كله الى قول واحد في قصة خلق آدم . فآدم مخلوق من طين ، او من حمأ مسنون ، او من طين لازب او من سلالة من طين ، فهذا هو الذي يقوله القرآن في خلق آدم .

ـ ٢ ـ

اخبر الله تعالى ملائكته انه سيخلق بشرا من طين وامرهم اذا سواه ونفخ فيه روحه ان يقعوا له ساجدين سجود تكريم ، وسجد الملائكة الا ابليس ابى ان يكون من الساجدين وقال :

● **أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين .**

وطرده الله من الجنة ، فطلب من الله تعالى ان ينظره الى يوم الدين ، وتوعد آدم الذي طرد بسببه من الجنة ان يغوي ذريته ويفسدهم على الله ، وان يسعى في ان يجعل اكثرهم غير شاكرين لله ، الا عباد الله المخلصين ، فوعده الله هو وكل من اطاعه من ذرية آدم بالنار .

ان جواب ابليس يتضمن ضروبا من الجهل الفاضح :

الاول : الاعتراض على ربه وخالقه كما تضمنه جوابه ، ومثله في هذا كل من يعترض على كلام الله تعالى لا يوافق هواه ، وهذا كفر لا يقع مثله من مؤمن بالله وبكتابه ، فان المؤمن اذا خفيت عليه حقيقة او حكمة لله في شيء من كلامه ، بحث عنها بالتفكر والبحث وسؤال العلماء ، وصبر الى ان يهتدى الى ما يطمئن به قلبه ، مدركا قبل ذلك بأن الله تعالى يعلم ما لا يعلم ، من حقائق خلقه ، وحكم شرعه ، وفوائد امره ونهيه .

الثاني : الاحتجاج عليه بما يؤيد به اعتراضه والمؤمن المذعن لا يحتج على ربه ، بل يعلم بأن لله الحجة البالغة .

الثالث : جعل امتثال امر الرب تعالى مشروطا باستحسان العبد له وموافقته لرأيه وهواه ، وهو رفض لطاعة الرب ، وترفع عن مرتبة العبد ، وتعالى منه الى وضع نفسه موضع الند ، وهو في حكم الدين كفر وفي العقل حماقة وجهل . فان الرئيس لأية حكومة او جيش او جمعية او شركة اذا كان لا يطيعه المرءوسون له الا فيما يوافق أهواءهم وآراءهم لا يلبث امرهم ان يفسد بأن تختل الحكومة وتسقط ، وينكسر الجيش ويهلك ، وتنحل الشركة وتفلس ، وهكذا يقال في كل مصلحة يقوم بادارتها كثرة ، يرجع نظامها الى جهة واحدة ، فاذا كان الصلاح والنظام في كل امر يتوقف على طاعة الرئيس وهو ليس ربا تجب طاعته لذاته ولا لنعمه ، ولا معصوما من الخطأ فيما يأمر به ، فما القول في وجوب طاعة رب العالمين على عبيده ؟

روى ابو نعيم في الحلية والديلمى عن جعفر الصادق عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : « اول من قاس امر الدين برأيه إبليس . قال الله تعالى له : اسجد لآدم . فقال أنا خير منه » .

قال جعفر فمن قاس أمر الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس .

الرابع : الاستدلال على الخيرية بالمادة التي كان منها التكوين وهذا جهل ظاهر من وجوه :

« احدها » ان خيرية المواد بعضها على بعض ليست من الحقائق التي يمكن اثباتها بالبرهان ، وانما هي امور اعتبارية تختلف فيها الاراء والاهواء ، واصول المخلوقات المختلفة التركيب عناصر بسيطة قليلة يرجح انها متحولة من اصل واحد كما يعلم من الكيمياء .

- ان بعض الاشياء النفيسة اصلها خسيس فالمسك من الدم ، وجوهر الماس ، من الكربون الذي هو اصل الفحم ، والاقذار التي تعاف ، من مادة الطعام الذي يشتهي ويحب .
- ان الملائكة خلقوا من النور ، وهو قد خلق من مارج من نار وهو اللهب المختلط بالدخان فما فوقه دخان وما تحته لهب صاف . فان مادة المرج معناها الخلط والاضطراب . ولا شك ان النور خير من النار . والنار الصافية خير من اللهب المختلط بالدخان ، وقد سجد الملائكة المخلوقون من النور امتثالا لامر الله تعالى فكان هو اولى . بل اولى ان يقال له : اولى لك فأولى .

الخامس : اذا سلمنا جدلا ان خيرية الشيء ليست في ذاته وصفاته الخاصة التي تفصله عن غيره من مقومات نوعه ومشخصات نفسه وصفاته التي يمتاز بها عن غيره ، وانما هي تابعة للمادة التي هي من اصل نفسه ، فلا نسلم ان النار خير من الطين ، فان جميع الاحياء النباتية والحيوانية في هذه الارض مخلوقة من الطين بالذات او بالواسطة ، وهي خير ما فيها ، بكل نوع من انواع الاعتبارات التي تعرفها العقول .. وليست للنار او لمارجها مثل هذه المزايا ولا ما يقرب منها .

السادس : ان ابليس غفل عما خص الله تعالى به آدم من خلقه بيده ، والنفخ فيه من روحه ، وجعل استعداده العلمي والعملي فوق استعداد غيره من خلقه ، ومن تشريفه بامر الملائكة بالسجود له ، وجعله بتلك المزايا افضل من الملائكة ، وهم افضل من ابليس بعنصر الخلقة وبالطاعة .

اخبر الله تعالى ملائكته انه سيجعل آدم خليفة في الارض . فقالوا : **(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)**

البقرة/ ٣٠ ـ ٣٣ .

قال الراغب في مفردات غريب القرآن : الخلافة : النيابة عن الغير ـ اما لغيبة المنوب عنه واما لموته ، واما لعجزه ، واما لتشريف المستخلف وعلى هذا الوجه الاخير استخلف الله اولياءه في الارض ـ قال تعالى :

(هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) فاطر/ ٣٩ والخلائف جمع خليفة ، وخلفاء جمع خليف . للمفسرين في « الخليفة » مذهبان : ذهب بعضهم الى ان اللفظ يشعر بأنه كان في الارض صنف او اكثر من نوع الحيوان الناطق وانه انقرض ، وان هذا الصنف الذي اخبر الله الملائكة بانه سيجعله خليفة في الارض سيحل محله ويخلفه ، كما قال بعد ذكر اهلاك القرون : **(ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم)** يونس/ ١٤ .

وقالوا ان ذلك الصنف البائد قد افسد في الارض وسفك الدماء ، وان الملائكة استنبطوا سؤالهم بالقياس عليه ، لأن الخليفة لا بد ان يناسب من يخلفه ويكون من قبيله كما يتبادر الى الفهم ، ولكن لما لم يكن دليل على ان يكون مثله من كل وجه ، وليس ذلك من مقتضى الخلافة ، اجاب الملائكة بانه يعلم ما لا يعلمون مما يمتاز به هذا الخليفة على من قبله ، وما له سبحانه في ذلك من الحكمة البالغة .

قال الاستاذ الامام محمد عبده . واذا صح هذا القول فليس آدم اول الصنف العاقل من الحيوان الناطق ، تماثل الطائفة او الطوائف البائدة منه في الذات والمادة ، وتخالفها في بعض الاخلاق والسجايا .

اما المذهب الثاني : ان المراد هو اني جاعل في الارض خليفة عني ولهذا شاع ان الانسان خليفة الله في ارضه ، قال تعالى :

(يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) ص/ ٢٦ .

والظاهر والله اعلم ان المراد بالخليفة آدم ومجموع ذريته . ولكن ما معنى هذه الخلافة ؟ وما المراد من هذا الاستخلاف ؟ هل هو استخلاف بعض الانسان على بعض ، او استخلاف النوع على غيره ؟

جرت سنة الله في خلقه بأن تعلم احكامه للناس وتنفذ فيهم على السنة اناس منهم ، يصطفيهم ليكونوا خلفاء عنه في ذلك ، وكما ان الانسان اظهر احكام الله وسننه الوضعية « اي غير الشرعية لأن الشرع وضع الهي » كذلك اظهر حكمه وسنة الخلقة الطبيعية ، فيصح ان يكون معنى الخلافة عاما في كل ما ميز الله به الانسان على سائر المخلوقات . نطق الوحي ودل العيان والاختبار على ان الله تعالى خلق العالم انواعا مختلفة ، وخص كل نوع غير نوع الانسان بشيء محدود معين لا يتعداه ، فأما ما لا نعرفه الا عن طريق الوحي كالملائكة فقد ورد في الآيات والاحاديث ما يدل على ان وظائفه محدودة ـ قال تعالى : **(يسبحون الليل والنهار لا يفترون)** الانبياء/ ٢٠ . **(وإنا لنحن الصافون . وإنا لنحن**

المسبحون) الصافات/ ١٦٥و١٦٦ **(والصافات صفا .فالزاجرات زجرا . فالتاليات ذكرا)** الصافات/ ١ ـ ٣ على قول من قال ان المراد بها الملائكة الى غير ذلك مما يدل على انهم طوائف لكل طائفة وظيفة محدودة ، وورد في الاحاديث ان منهم الساجد دائما والراكع دائما الى يوم القيامة ..

واما ما نعرفه بالنظر والاختبار فهو حال المعدن والجماد ولا علم له ولا عمل ، وحال النبات وانما تأثير حياته في نفسه فلو فرض ان له علما وارادة فهما لا اثر لهما في جعل عمل النبات مبينا لحكم الله وسنته في الخلق ولا وسيلة لبيان احكامه وتنفيذها ، فكل حي من الاحياء المحسوسة والغيبية فان له استعدادا محدودا ، وعلما الهاميا محدودا ، وعملا محدودا ، وما كان كذلك لا يصلح ان يكون خليفة عن الذي لا حد لعلمه وارادته ، ولا حصر لاحكامه وسنته ، ولا نهاية لاعماله وتصرفه .

وما الانسان فقد خلقه الله ضعيفا كما قال في كتابه :

(وخلق الإنسان ضعيفا) النساء/ ٢٨ .

وخلقه جاهلا كما قال : **(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا)** النحل/ ٧٨ .

ولكنه على ضعفه وجهله عبرة لمن يعتبر ، وموضع لعجب المتعجب ، لأنه مع ضعفه يتصرف في الاقوياء ، ومع جهله في نشأته يعلم جميع الاسماء ، يولد الحيوان عالما بالهام ما ينفعه وما يضره وتكمل له قواه في زمن قليل ، ويولد الانسان وليس له من الالهام الا الصراخ والبكاء ، ثم يحس ويشعر بالتدريج البطيء بالنسبة الى غيره من الحيوان ويعطي قوة اخرى تتصرف بشعوره واحساسه تصرفا يكون له به السلطان على هذه الكائنات ، فيسخرها ويذللها بعد ذلك كما تشاء تلك القوة الغريبة التي يسمونها العقل ولا يعقلون سرها ، ولا يدركون حقيقتها وكنهها ، فهي التي تغني الانسان عن كل ما وهب للحيوان في اصل الفطرة من الكساء الذي يقيه البرد والحر ، والاعضاء التي يتناول بها غذاءه ، والتي يدافع بها عن نفسه ويسطو بها على عدوه ، وغير ذلك من المواهب التي يعطاها الحيوان بلا كسب حتى كان له بها من الاختراعات العجيبة ما كان ، وسيكون له من ذلك ما لا يصل اليه التقدير والحسبان . فالانسان بهذه القوة غير محدود الاستعداد ولا محدود الرغائب ولا محدود العلم ولا محدود العمل ، فهو على ضعف افراده يتصرف بمجموعه في الكون تصرفا لاحد له باذن الله وتصريفه ، كما اعطاه الله تعالى هذه المواهب والاحكام الطبيعية ليظهر بها اسرار خليفته ، وملكه الارض وسخر له عوالمها ـ اعطاه احكاما وشرائع حد فيها لاعماله واخلاقه حدا يحول دون بغي افراده وطوائفه بعضهم على بعض ، فهي تساعده على بلوغ كماله لأنها مرشد ومرب للعقل الذى كان له

كل تلك المزايا فلهذا كله جعله خليفته في الارض وهو أخلق المخلوقات بهذه الخلافة .

ـ ٣ ـ

امر الله تعالى آدم ان يسكن الجنة بعد ان خلق له حواء يسكن اليها ، واباح لهما كل شيء في الجنة الا شجرة عينها لهما . بيد ان ابليس وسوس لهما بالاكل منها واغراهما بكل انواع المغريات . وقال لهما : ان ربكما لم ينهكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين .

وقال لآدم : (**هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى**) طه/ ١٢٠ (**وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين**) الاعراف/ ٢١ ولم يزل يمنيه بمعسول الاماني حتى نسى آدم أنه عدوه ، وان الله حذره منه اشد الحذر بقوله : (**إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى**) طه/ ١١٧ . فأكل آدم وحواء من الشجرة : (**بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**) الاعراف/ ٢٢ . ليسترا عورتيهما ويجعلا ورق الشجر على هيئة الثوب الساتر ، وعاتب الله آدم على مخالفته امره والاكل من الشجرة ، فقدم آدم واخذ يعتذر فطرده هو وحواء من الجنة وطرد ابليس قائلا : (**اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين**) البقرة/ ٣٦ . (**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه**) البقرة/ ٣٧ وهداه واجتباه وبقى في الارض هو وبنوه الذين اتى بهم من حواء .

اكل ادم من الشجرة ولم يمت يوم اكلها ـ كما جاء في التوراة ـ والقرآن المجيد قد علل النهي بأنه يترتب على مخالفته ان يكونا من الظالمين لنفسيهما ـ اي بفعلهما ما يعاقبان عليه ، ولو بالحرمان من ذلك الرغد من العيش وما يعقبه من التعب في المعيشة .

فلما ذاق آدم وحواء ثمر الشجرة ظهرت لكل منهما سوأته وسوأة صاحبه وكانت مواراة عنهما ، قيل بلباس من الظفر كان يسترهما فسقط عنهما ، وبقيت له بقية في رءوس اصابعهما ، وقيل بلباس مجهول كان الله تعالى البسهما اياه ، وقيل بنور كان يحجبها ولا دليل على شيء من ذلك ، والاقرب عندي ان ظهورها لهما ، ان شهوة التناسل دبت فيهما بتأثير الاكل من الشجرة ، فنبهتهما الى ما كان خفيا عنهما من امرها ، فخجلا من ظهورها ، وشعرا بالحاجة الى سترها ، وشرعا يخصفان اي يلزقان أو يضعان ويربطان على ابدانهما من ورق اشجار الجنة العريض ما يسترها . فالمواراة كانت معنوية فلو كانت حسية فما ثم الا الشعر ساتر خلقي ، وقد تظهر الشهوة ما اخفاه الشعر ، وان لم يسقط بتأثير ذلك الاكل ويدل على كل من هذين الوجهين فطرة الانسان .

يقول محمد اقبال : ان قصة هبوط آدم كما جاءت في القرآن لا صلة لها

بظهور الانسان الاول على هذا الكوكب ، وانما اريد بها بالاحرى بيان ارتقاء الانسان من بدائية الشهوة الغريزية الى الشعور بأن له نفسا حرة قادرة على الشك والعصيان ، وليس يعني الهبوط اي فساد اخلاقي ، بل هو انتقال الانسان من الشعور البسيط الى ظهور اول بارقة من بوارق الشعور بالنفس ، وهو نوع من اليقظة من حلم الطبيعة احدثتها خفقة من الشعور بأن للانسان صلة علية شخصية بوجوده .

هذا الى ان القرآن لا يعتبر الارض ساحة للعذاب سجنت فيها انسانية شريرة العنصر بسبب ارتكابها خطيئة اصلية - بل يجعل الارض مستقرا ومتاعا للانسان ينبغي ان يشكر الله عليه :

(ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون) (الاعراف/ ١٠).

يصف القرآن الانسان بأنه اخذ على عاتقه عبء الامانة التي ابت السموات والارض والجبال ان يحملنها فيقول سبحانه : **(إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا)** الاحزاب/ ٧٢ .

والمقصود بالامانة هنا التكاليف .

قال الامام الفخر الرازي : « إنا عرضنا الامانة .. اي التكليف وهو الامر بخلاف ما في الطبيعة ، واعلم ان هذا النوع من التكاليف ليس في السموات ولا في الارض . لان الارض والجبل والسموات كلها على ما خلقت عليه : الجبل لا يطلب منه السير والارض لا يطلب منها الصعود ولا من السماء الهبوط ولا من الملائكة ، لأن الملائكة وان كانوا مأمورين منهيين عن اشياء لكن ذلك لهم كالاكل والشرب لنا ، فيسبحون الليل والنهار ولا يفترون كما يشتغل الانسان بأمر موافق لطبعه » .

وقال في تفسير حمل الامانة : « لم يكن إباؤهن كاباء ابليس في قوله تعالى : (**أبى أن يكون من الساجدين**) من وجهين احدهما : ان هناك السجود كان فرضا ، وها هنا الامانة كانت عرضا « وثانيهما : ان الإباء كان هناك استكبارا وها هنا استصغارا ». استصغرن انفسهن بدليل قوله : (**وأشفقن منها**)» .

وقال بعضهم في تفسير الآية ان المخلوق على قسمين : مدرك وغير مدرك ، والمدرك منه من يدرك الكلي والجزئي مثل الآدمي ، ومنه من يدرك الجزئي كالبهائم تدرك الشعير الذي تأكله ولا تفكر في عواقب الامور ولا تنظر في الدلائل والبراهين ، ومنه من يدرك الكلى ولا يدرك الجزئي كالملك يدرك الكليات ولا يدرك لذة الجماع والاكل .

قالوا : والى هذا اشار الله تعالى بقوله : (**ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء**) فاعترفوا بعدم علمهم بتلك الجزئيات والتكليف لم يكن الا على مدرك

الامرين . إذ له لذات بأمور جزئية فمنع منها لتحصيل لذات حقيقية هي مثل لذة الملائكة بعبادة الله ومعرفته ، واما غيره فان كان مكلفا يكون مكلفا « لا بمعنى الامر بما فيه عليهم كلفة ومشقة بل بمعنى الخطاب فان المخاطب يسمى مكلفا كما ان المخاطب مكلف ».

وقال الامام ابن كثير « ... عن ابن عباس : يعني بالامانة الطاعة عرضها قبل ان يعرضها على آدم فلم يطقنها ، فقال لآدم : اني قد عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم يطقنها . فهل انت آخذ بما فيها ؟ قال : يارب . وما فيها ؟ قال : إن احسنت جزيت ، وان اسأت عوقبت ، فأخذها آدم فتحملها .

وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس : الامانة الفرائض عرضها الله على السموات والارض ، والجبال ، ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم .

فكرهوا ذلك واشفقوا من غير معصية ، ولكن تعظيما لدين الله الا يقوموا بها ، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها » .

واورد ابن كثير اقوالا اخرى مروية بأصحابها ، وعقب عليها قائلا : انها كلها لا اختلاف بينها بل هي متفقة وراجعة الى انها التكليف وقبول الاوامر والنواهي بشرطها .

وقال العلامة محمد جمال الدين القاسمي في « محاسن التأويل » :.. عبر عنها بالامانة تنبيها الى انها حقوق مرعية اودعها الله تعالى الى المكلفين وائتمنهم عليها ، واوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد ، وامرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وادائها من غير اخلال بشيء من حقوقها ومعنى الآية : ان تلك الامانة من عظيم الشأن بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة ـ مراعاتها ، وكانت ذات شعور وادراك ، لأبين قبولها واشفقن منها .

اما قوله تعالى : **(وحملها الإنسان)** اي عند عرضها عليه ، اما باعتبارها بالاضافة الى استعداده ، او بتكليفه اياها يوم الميثاق ـ اي تكلفها والتزامها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة ، وهو اما عبارة عن قبوله لها بموجب استعداده الفطري . او من اعترافه بقوله : بلى ».

وقوله تعالى : **(إنه كان ظلوما جهولا)** اعتراض وسط بين الجمل ، وغايته الايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله ـ اي انه كان مفرطا في الظلم مبالغا في الجهل ، اي بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة ».

لقد عرضت الطاعة والقيام باعباء التكليف على السموات والارض والجبال فاستعفين من حملها وخفن من تبعاتها وحملها الانسان بما منحه الله من القوة الأدبية للوفاء بها ، انه كان كثير الظلم والجهل اذ لم يف بحقوقها ، ولم يقم بواجباتها .. **(ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما)** الاحزاب/ ٧٣ .

التكامل بين العقيدة والشريعة

العقيدة والشريعة كلاهما وحي الله النازل من السماء ، وليس إفك البشر النابت من الأرض ، ولا يمكن بحال أن تعتبر العقيدة منفصلة عن الشريعة ، بل كلاهما متمم للآخر ، موصول به ، فالشريعة هي الترجمة العملية عن العقيدة .. والتعبير الحي عن وجودها .. والدليل الناطق عليها ، بدونها تصبح العقيدة سلبية عقيما لا اثر لها في الحياة ، ولا خطر لها في السلوك ، ومن اعتقد في الله وآمن به ربا جليلا حكيما أطاعه فيما أمر ونهى ، ونفذ ما طلب منه دون أي تردد أو إهمال ، ولا يتصور أن توجد عقيدة من غير شريعة إلا في صورة نظرية .. كما لا يتصور أن توجد شريعة من غير عقيدة .. وإلا فما الذي يحفز على أدائها ، وممارسة شعائرها في الحياة ؟

بل لا يمكن لدين ما أن يفصل بينهما ، لأن ذلك قطع لما أمر الله به أن يوصل ، ونحب أن نؤكد هنا على أمر هام ، هو أن العقيدة لا يمكن قصرها على المشاعر الوجدانية التي تعمر الضمير ، وتغمر الوجدان .. وتحكمهما من الزيغ والانحراف ، كما لا يمكن للعقيدة ان تقتصر على الشعائر التعبدية التي تلوذ بالمسجد وتعتصم به ، تاركة ما سوى ذلك لقوانين البشر ، وتصوراتهم ، ودساتيرهم !!

كما أنه لا يمكن قصر العقيدة على عملية التهذيب الروحي .. وان كان ذلك هدفا من أهدافها .. كما أن العقيدة لا تكون تطبيقا محدود الحجم والمساحة لبعض ما أنزل الله .. تاركة بقية أحكامه لمجرد الدراسة والمعرفة !

كما هو الواقع المر في كثير من المجتمعات الاسلامية المعاصرة .. تتحمس لتطبيق الشريعة في بعض المجالات كالطلاق والمواريث



والعبادات .. ذاهلة عن إقامة الحدود .. وما تستتبعه من كبح جماح الجريمة ، وقمع الفساد والشر ، وتطهير وجه الحياة من الفسوق والعصيان !!

كما أنه يحلو لبعض المجتمعات أن تطبق الشريعة في كثير من أوامر الله .. تاركة المجتمع يموج بالمعاملات الربوية سواء على المستوى الفردي والجماعي !! كلا : إن العقيدة والشريعة كل لا ينفصل .. والاسلام عقيدة وشريعة ما في ذلك شك ، وتأبى هذه العقيدة إلا أن تعبر عن نفسها في شتى مجالات الحياة تعبيرا مطلقا ، لا تصطدم فيه بشيء من قوانين البشر .. وإلا فهو الخسران المبين .. وإذا كانت هذه العقيدة تحكم ضمير المؤمن حكما مطلقا ، يستسلم فيه لبارئه الذي خلقه فسواه وألهمه فجوره وتقواه .. وتسكت فيه كل هواتف الشك ووساوس الشيطان .. فانها بهذا القدر ينبغي أن تحكم دنيا الناس بحيث تلغي ما سواها من قوانين البشر ودساتيرهم القاصرة الرعناء ..

. نعم : لابد للعقيدة في معناها الواقعي والتكاملي ، ان تعبر عن كل تلك الجوانب لا تقتصر على واحد منها دون سواه ، تعبر عن نفسها تعبيرا واقعيا في الوجدان وفي شعائر العبادة ، وقضايا التهذيب ورياضات النفوس وواقع الحياة .. كل هذه الأبعاد آفاق للعقيدة لا ينبغي أن تسطع في أفق منها محتجبة عما سواه ، لا تترك البشر لأنفسهم طرفة عين ، ولا تغفل شأنا من شؤونهم اليسيرة أو الجليلة .. تعلمهم كيف يعبدون الله .. وكيف يتطهرون للصلاة .. وماذا يقولون عند النوم ، وماذا يقولون عند اليقظة .. وماذا يقولون عندما يرون الزهرة النابتة ، أو الهلال البازغ في افق السماء .. وماذا

يقولون عندما يدخلون لقضاء حاجتهم .. كل ذلك وأيسر منه قد وعته الشريعة .. لا تترك المسلم منذ يتيقظ من منامه .. حتى يأوى الى فراشه .. بحيث لا توجد ثغرة واحدة يملؤها الهباء .. أو فجوة يحتلها الهواء .. وسبحان من وسع كل شيء علما !!

بل إن هذه العقيدة لتستوعب فيما تستوعب جميع التشريعات الالهية لقيادة الحياة ، وضبط حركة الناس فيها .. تحل لهم الطيبات ، وتحرم عليهم الخبائث .

والتشريع بهذا التصور الشامل الكامل هو التعبير الواقعي عن العقيدة ، بدونه تصبح مجرد شعور يختبىء في وجدان الانسان لا يمتد إلى الحياة الواقعية ليحل مشكلاتها ويعالج قضاياها ويرعى شؤونها ..

ويدخل في عموم التشريع ما رسمه القرآن الكريم من نظم سياسية واجتماعية واقتصادية للأمة المسلمة في إطار عام ، وتخطيط شامل .. بحيث يعد الخروج عليه تمردا على أوامر الله ، وتعطيلا لأحكامه في أخطر شؤون الجماعة المسلمة التي تتخطفها المذاهب الملفقة .. وتتحيفها سطوات الدول التي فسقت عن أمر الله .. فهذا التخطيط القرآني العام لشؤون المجتمع هو في الواقع عصمة لها من الزيغ ، وضبط لمسيرتها المؤمنة على صراط العزيز الحميد .

وهذا التخطيط القرآني الشامل لم يهمل التجربة الانسانية ، ولم يسقطها من حسابه ، لأنه يكتفي بالتوجيه العام تاركا التفاصيل الجزئية لما تتمخض عنه الحياة الصاعدة في سلم التطور ، من أساليب مثمرة لا تخرج عن إطار التشريع العام ، وإنما تنمو في رحابه ، وتزدهر في محيطه فتصبح علاجا لهذه الأمة الحائرة على مفترق الطرق .. تجد في هذا العمل البناء ما يحفظ عليها شخصيتها ، ويصون كرامتها ، ويربطها بربها .. فلا يضل لها سعي ، ولا تزل بها قدم .. ولا يضيع الطريق منها ..

إن حصيلة التجربة البشرية في هذا المقام لا يمكن إغفالها ولا الاستهانة بها .. وإنما ينبغي دراستها والاستفادة منها في إطار تشريعنا السماوي ـ لأنها في الواقع تعين على التكيف ، وتثمر الواقعية البناءة التي لا تبتعد عن المحور الأساسي للتشريع .. وحسب القرآن الكريم .. أنه في مرقاه العالي يظل يرقب التجربة الانسانية ويرصد سيرها واتجاهها .. ويتركها للزمن الذي يحكم لها أو عليها .. ولا يصادرها منذ البداية .. احتراما منه لعقل الانسان وتوقيرا لحصيلة التجارب البشرية .. فاذا اثبتت هذه التجربة وجودها ، فهي رصيد صالح للبشرية تنتفع بها وتستفيد منها . وإذا أخفقت فلا بأس أن تعدل من نفسها لتصبح تجربة رائدة ونافعة ، ويرى أبو حامد الغزالي أن ما يستحق القول في علوم الأخلاق والاجتماع وسياسة الأمم وما إليها إنما هو بقايا نبوات دارسة وشرائع سماوية قديمة

وأن الدين صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في هذا الميدان .. وفي كل ميدان ..

. وفي كلام الغزالي جنوح إلى شمول التشريعات السماوية التي يجب أن تبسط جناحها على الحياة والأحياء .. كما أن فيه ما يشبه الرفض لحصيلة التجربة الانسانية في هذه الميادين ما لم تتفق مع نظام الدين وخطوطه العامة .. وهذا حق لامرية فيه ولقد أعطى القرآن الكريم تخطيطات رائعة يمكن الاستهداء بها في هذه المجالات بحيث يمكن أن يقال : إن هناك نظاما سياسيا يرشد إليه القرآن .. ونظاما إقتصاديا متميزا لايمت إلى شرق أو غرب وانما ينتمي إلى السماء !! ونظاما إجتماعيا فريدا هو أصل كل النظريات التي تتنادى بها أصوات الفلاسفة هنا وهناك .

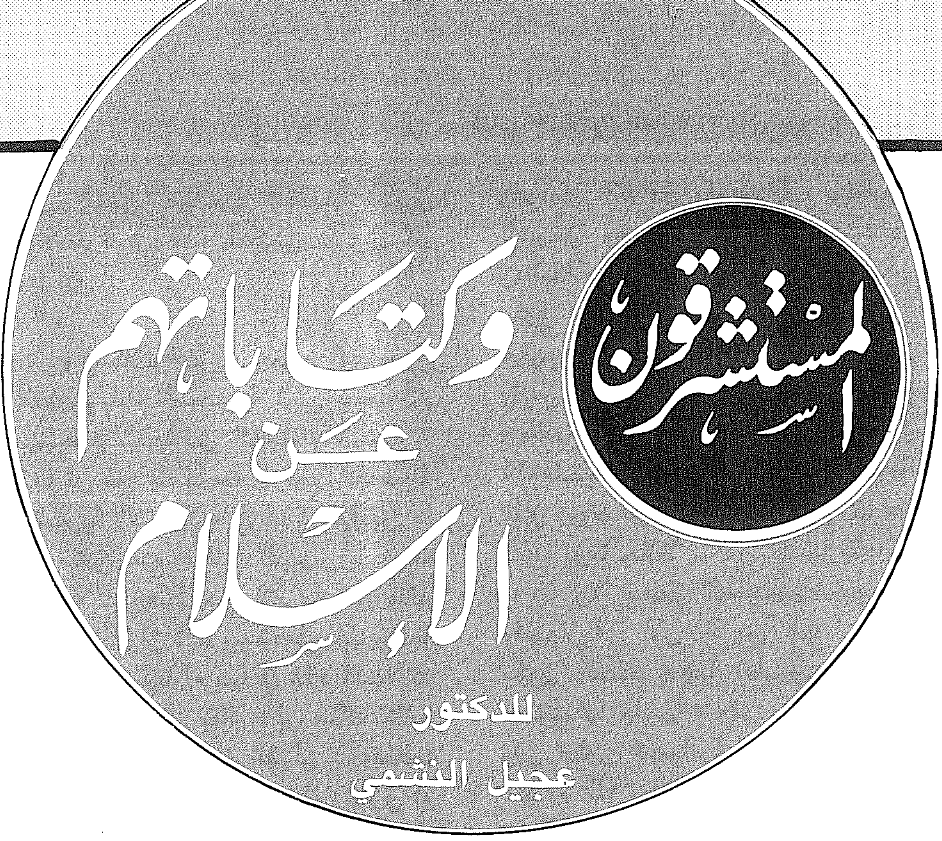
لم يتأثر القرآن في تنظيمه الشامل بأي نظام عالمي ، ولقد ألفت كتب جامعة في هذه المجالات فحصيت حقائقها وغاصت في أعماقها وقدمتها للبشرية منارات على طريق الحياة .. ويبقى أن يعرف المسلم مكانه على ظهر المعمورة .. وأن يتعمق فهم الأصول التي جاءته من رب العالمين .. لتظل شخصيته متميزة قوية في وجه الأعاصير التي تهب سواقيها بين وقت وآخر تحاول أقتلاع النظام الاسلامي من الجذور ..

حقيقة إن هذه الميادين ليست مسدودة .. بل هي مفتوحة لتجارب الحياة ، وحصيلة الخبرة الانسانية وعوامل الثقافة والمعرفة ، وتطور الزمن وما يجد من أحداث ومشكلات .. لكن كل ذلك مشروط بأن يكون داخل الاطار التشريعي وليس خارجه .. وحول المحور الأساسي وليس بعيدا عنه ، لأننا في الواقع نخضع الحياة للدين ولا نخضع دين الله للحياة .. ومهما اجتهدنا في نظرية المال ووسائل الاقتصاد فلن نجعل الربا يوما حلالا .. لأن الدنيا تتعامل به .. ولا نجعل السياسة فجورا وانتهازية ، لأن الزمن هكذا ، ولا يكون الحكم مهما تطورت الحياة استبدادا فاجرا ، وفردية متسلطة ، ولن نطور السياسة يوما لنتخذ من أعداء الله بطانات !!

كيف والقرآن يهتف فينا بهذا النداء القدسي : (**وأحل الله البيع وحرم الربا**) البقرة ـ ٢٧٥ . وبقوله سبحانه : (**ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر**) آل عمران ـ ١٥٩ .

وبقوله سبحانه : (**يأيها الذين أمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ماعنتم**) آل عمران ـ ١١٨ .

بهذا المنطق يجب أن نفهم التجديد .. وعلى هذا الصراط يجب أن نسير ، إنه اجتهاد بالعقل فيما لم يرد فيه نص ، وفي مجال الحياة وسياستها وخبراتها العملية والعلمية على أن نلتزم بالاطار العام للتشريع ، حتى لا يخطىء لنا سعى ، أو تزل لنا قدم ـ والله ولي التوفيق .



لقد تفرغ المستشرقون على تراثنا تمحيصا وتحليلا ، وساعدهم على ذلك اسناد وتشجيع حكوماتهم ، وتوفر المصادر لديهم ، وتخصص كل منهم في جزئية من العلوم الشرعية . الأمر الذي جعل كتابتهم ملفتة لنظر الباحثين والمتخصصين وطلبة العلم حتى في ديار المسلمين ، وأفلحت هذه الكتابات في التأثير على كثير من المثقفين في بلادنا ، خصوصا أولئك الذين تلقوا علومهم في ديار الغرب .

وكتابات المستشرقين تدور ـ في أغلبها ـ على سوء الظن بالاسلام والمسلمين ، والتقليل من شأن الحضارة الاسلامية ، والتشويش المتعمد على العلوم الشرعية الاسلامية ، وتشكيك المسلمين بدينهم ، باثارة الشبهات المختلفة في العقيدة او الشريعة او الفقه اوالتاريخ وعموم العلوم الاسلامية .

ولعل اتجاه الكتابات الاستشراقية هذا الاتجاه الخاطىء راجع الى المحاضن الاستشراقية الأولى التي تبنت الاستشراق لتحقيق اغراض دينية سياسية استعمارية .

لقد كانت الجمعيات التي انبنت عليها الحركة الاستشراقية جمعيات يقوم عليها رجال دين من المسيحيين او اليهود ، وكان هم هؤلاء توجيه تلك الدراسات لتخدم غاياتهم وأهدافهم السياسية والدينية .

إلا أن البيئة والمحاضن

الاستشراقية لم تخل من العلماء المنصفين المخلصين ، الذين يقررون الحقائق التي يتوصلون لها متجردين من تبعيات فكرية أو مذهبية أو دينية تعصبية أو ميول عدوانية حاقدة .

وعلم أصول الفقه هو أحد أهم العلوم الاسلامية التي تعرضت للمد الاستشراقي في حده الحاقد المغرض ، ولصعوبة مسلكه ـ الى جانب أمور أخرى سنذكرها في معرض البحث ـ لم يطرقه إلا كبار المستشرقين المتمكنين ، ولسوء الحظ ان هذا كان من نصيب ذاك الصنف المغرض ، فجاءت كتاباتهم غاية في التشويه والطعن المبطن والمكشوف والمغلف بالأسلوب العلمي المنطقي المزعوم .

تطور كتابة المستشرقين عن الاسلام :ـ .

بدأت دراسات المستشرقين للاسلام منذ أن كان المسلمون في اسبانيا ، وكانت الجامعات الاسلامية مقصد طلاب العلم في العالم .

ولقد بدأ المسيحيون **بدراسة اللغة العربية** أولا لأنها مفتاح فهم الاسلام ، وكان قصدهم من دراستها تسهيل مهمة التبشير بين العرب خاصة ، علما بأن كثيرا من المسيحيين كانوا يتكلمون العربية . ولما سقطت غرناطة ، وغادرها المسلمون عام ١٤٩٢م ـ أوقفت هذه الدراسة في اسبانيا . إلا أنها بدأت في روما ولنفس الغرض .

ومن ذاك التاريخ بدأت الكتابة الأولى في الاسلام ، وكان أول عالم كتب في ذلك هو الاستاذ Gullaum Postel ـ ١٥١٠ ـ ١٥٨١ ، ثم بدأ تلميذه Joseph Scaliger ـ ١٥٤٠ ـ ١٦٥٩ وهو مبشر وكان متأثرا بكتابات ابن سينا وغيره . وقام بعملية ترجمة ونقل بعض تراثهم الفلسفي واللغوي . إلا أن الجانب اللغوي أخذ حظا وافرا من كتابات كثير من المستشرقين .

وبعد هذه الدراسات الغنية حول اللغة العربية وقليل من الدراسات الاسلامية العامة . بدأت الكتابات حول الشرق الاسلامي تأخذ نقطة بدايتها على يد الاستاذ B . d'Herbe-lot ٩٥٠ ـ ١٦٢٥ م .

وقد قام بكتابة أول كتاب له أهمية خاصة وهذا الكتاب كان عبارة عن محاولة لكتابة موسوعة اسلامية .

ثم قام A Galland بترجمة كتاب « الف ليلة وليلة » ١٧٠٤ ـ ١٧١٧ وكان لترجمة هذا الكتاب دور بارز في توجه المستشرقين الى فتح نافذة الثقافة الاسلامية .

فقد كان موقف المستشرقين من قبل عدائيا للاسلام لكنه عداء على غير أساس صحيح ولا رؤية واضحة للاسلام . بل وصل الأمر بهم الى اعتبار الاسلام عدو الله ، وكان للأستاذ Richard Simon جهد مشكور في توضيح الاسلام .

وتكلم في كتابه عن الشرق والمسيحية ،

وتعرض لشرح العقائد الاسلامية من العبادات والمناسك وغير ذلك . ولم يهاجم الاسلام ، بل كثيرا ما كان يمتدحه فيما يراه أفضل في الاسلام عنه في المسيحية .

ولعل مسلك هذا الكاتب في تحرى الصحة في عرض الاسلام انه اعتمد على مصادر اسلامية بحتة ، وكتب كتابا آخر على نفس المنهج عام ١٦٩٧ ، وكتب عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم كتابة سليمة .

ولقد ظهر بوضوح تأثير مسلك الاستاذ Richard في الكتابات من بعده ، حيث أصبحت دراسات المستشرقين تأخذ جانب الموضوعية ـ بعد عام ١٧٠٠ ـ وهذه الموضوعية جعلت الكتاب يثنون على الاسلام ويستحسنونه ، بل صرحوا بأن العقيدة الاسلامية معقولة من حيث المنطق والفكر خلافا للعقيدة المسيحية .

وكانت كتاباتهم في هذا الاطار عامة تتناول كتب اللغة العربية والمغازي ، والسير ، والتاريخ .

وفي عام ١٧٣٤ ظهرت اول ترجمة للقرآن الكريم على يد الأستاذ George Sale ١٦٩٧ ـ ١٧٣٦ وقد وضع لها مقدمة ، وكتب عليها تعليقات كثيرة .

ثم جاء الفقيه الألماني J. J. Reiske ـ ١٧١٦ ـ ١٧٧٤ وأشار فيما كتب الى الحقائق الالهية في الاسلام . وتلاه الأستاذ Simon Ockley وكتب رافعا من شأن الفكر الاسلامي بل والشرق الاسلامي ، وأعطاه مكانة عالية على العالم الغربي ، وكذلك فعل Edward Gibbon ـ ١٧٣٧ ـ ١٧٩٤ .

وكذلك كتب العالم الشهير Voltaire كتابا شعريا بعنوان « محمد » عام ١٧٤٢ ولم تكن كتاباتهم في عمومها طعنا بالاسلام ، بل كان تأثرها بالفكر الاسلامي واضحا .

الا أن أول كاتب كتب دراسة محققة متخصصة هو الأستاذ Silvestre de Sacy — وكانت دراسته للاسلام دراسة من منظور مجرد ، غير متأثر بالعقيدة والفكر المسيحي كما كان سابقوه . فمدرسته تعتبر مدرسة اللادينيين ولقد أصبح بما كتبه من مؤلفات حول الاسلام أستاذ ومرجع الدراسات الاستشراقية للأوروبيين ، وفتح ـ في نفس الوقت ـ الباب للكتاب المستشرقين من غير المسيحيين لولوج هذا النمط من البحث .

ومن بعده بدأت الكتابات تأخذ طريق التخصص نوعا ما ، وساعد في ذلك ظهور مجلات متخصصة عن الدراسات الشرقية ، والتي بدأها الأستاذ Josef Van Hammer ١٧٧٤ ـ ١٨٥٦ بمجلته Fundgruben des Orients ١٨٠٩ ـ ١٨١٨ ، وتوالت بعد ذلك المجلات في فرنسا وانجلترا وروسيا .

وظلت كتابات المستشرقين في هذا الاطار الموضوعي غير العدائي في جملتها ـ خصوصا ما صدر قبل ١٨٠٠ ـ تأخذ مكانها في حقل الدراسات الاستشراقية .

إلا أن هذه الموضوعية سرعان ما انقلبت نارا حامية على الاسلام

والمسلمين وذلك عندما حمى صراع الأوربيين على ما يسمى بالمسألة الشرقية مع بداية القرن التاسع عشر ويعنون بها مسألة دولة الخلافة الاسلامية في استانبول، وبدأت كتابات المستشرقين تصور الاسلام لا على انه عدو للمسيحيين فحسب، بل وأنه هذه المرة عدو للعلم والتقدم والحضارة. وأخذوا يصفون الاسلام بأنه رجعية وأخذت كتاباتهم تصور الاسلام في هذا الثوب الرجعي، ثم تعرض سبيل الخلاص للمسلمين من واقعهم الأليم، وذلك بأخذهم بالثقافة والحضارة الأوربية.

وتلونت الكتابات الاستشراقية حينئذ باللون السياسي الاستعماري الحاقد، وأخذت الكتابات حول واقع المجتمع الاسلامي تبرز بصورة براقة على أنها هي الاسلام، والاسلام هو المشكلة.

ولقد ساعدهم على ذلك ما كان يعيشه المجتمع الاسلامي وقتها من مشاكل كبيرة، فقد كانت الاضطرابات والثورات متلاحقة في العالم الاسلامي الممزق، فالثورة الكمالية في تركيا، وفي الاجزاء الاسلامية في روسيا، وفي اندونيسيا وايران وغيرها. فكان هذا الواقع مجالا خصبا لظهور كتابات مشوشة

وهكذا ظلت الكتابات الاستشراقية حول الاسلام بين تقلبات متتالية تتأثر مرة بالعقل، ومرة بالعاطفة واخرى بالسياسة، وما إلى ذلك. إلا أنها كانت في أغلبها كتابات تنطلق من منطلق العداء للاسلام.

أما بعد عام ١٨٨٠ فقد أخذت خطا محدثا يكاد يكون ثابتا، وهو الدراسة المتعمقة. ثم الدس والطعن المكشوف والمعلن، وتخصص لهذا الغرض جمع كبير من المبشرين وغيرهم.

جمعهم في صف واحد العداء للاسلام، الا ان صفوفهم - في حقيقة الأمر - لم تخل من المنصفين، وما أقلهم.

الكتابة في العلوم الاسلامية وأصول الفقه :-

تنوعت دراسات المستشرقين في العلوم الاسلامية، بتنوع هذه العلوم. وقد كتبت مؤلفات عدة في التاريخ الاسلامي بأيدي متخصصين من المستشرقين، وقد أولوا هذا الجانب أهمية خاصة لما يتضمنه من خطورة في التراث الاسلامي والانساني ولدوره في بلورة شخصية الاجيال اللاحقة.

كما وأنهم كتبوا في القرآن وعلومه، والحديث وعلومه، كتابات كثيرة زادت في كثرتها على ما كتبوه فيما سوى ذلك من العلوم.

واتصفت كتاباتهم حول القرآن الكريم بابراز المتشابه منه، والقراءات الشاذة، وتأويل الآيات وتحميلها اكثر مما تحتمل موافقة للرأي والهوى، كما وأبرزوا خلافات وجهات النظر بين المفسرين، وما الى ذلك في نهج يرمي الى التشكيك

والتشـويش في مجال الـدراسـات القـرآنية . ولم يكن حظ الحـديث وعلومه بأقل من ذلك ، بل ان مجالهم فيه أكبر وأوسع رحابة ، الأمر الذي مكنهم من إغراق المكتبة الاستشراقية بوافر من الكتب التي تشكك في السنة شكلا وموضوعا ، فطعنوا في طريق وصـول السنة ، وفيمـاتحملـه من تصورات تخالف ما جاء في القرآن بزعمهم ، وان بعضها يخالف بعضه الآخر ، الى غير ذلك مما سولت لهم انفسهم قوله وسوغت لهم افتراءه .

أما كتاباتهم في الفقه الاسلامي ، فقد أبرزوا فيها كتب الخلاف ، وبنوا عليها مرونة الشريعة الى حد وصل في نهايته الى أن أحكام الشريعة بنيت على الهوى ، أو يمكن أن تبنى على ذلك .

وقد صوروا الخلاف بين علماء الأمة على أنه خلاف في الأصول لا في الفـروع . وادعـوا أن الاستنبـاط الفقهي قد توقف لأن أحكام الاسلام كانت صالحة لفترة معينة أغلق باب الاجتهاد بعدها ، وعليه فإن واجب المسلمـين أخـذ أحكـام الحـوادث المستجدة وفق منظور الفقه الغربي ..

كتـابات المستشـرقـين في أصول الفقه :

إذا كانت كتابات المستشرقـين كثيرة وجهودهم متضافرة في مجالات القرآن وعلومه والحديث وعلـومه ، والفقه ، فإن جهودهم في « أصول الفقه » لا تكاد تذكر بالنسبة لتلك الجهـود . فكتابـاتهم فيه بـالمعنى التخصصي قليلة ومحصورة . ويشير Schacht الى ان تطور علم أصول الفقه لم يدرس ولم يعرف لدى المستشرقين في فترة ما قبل الشافعي ، ولعل آخر كتاب لهم في ذلك كتاب Schacht المسمى « أصول الفقه المحمدي » وقد نشرت أول طبعة وهي الخامسة سنة ١٩٧٩ . ومنذ ذلك التاريـخ والذين أتوا من بعده يعتمدون على أفكـاره واستنتاجـاته . وقـد بنى Schacht كثيرامن آرائه على سابقه Goldziher . فجمع أشتات Goldziher الأصولية من كتبه المتعددة وزاد عليها من كيسه الشيء الكثير .

وعلى أية حال فان كتاباتهم في أصول الفقه مع قلتها تحمل من الخطورة مالا يقل عن خطورة كتاباتهم في العلوم الاسلامية الاخرى ، بل لا نذهب بـعيـدا ان قلنـا . ان الأفكـار والتصـورات التـي بنـوا عليهـا كتـاباتهم ، وسطـروا على ضـوئها أراءهم المشوشة في العقيدة والفكر الاسلاميين ، انما بنيت على نظرتهم وتصورهم الحقيقي لمصادر التشريع الاسلامي التي تكشفها كتاباتهم في أصول الفقه .

والذي يتتبع هذه الكتابات يلحظ من أول وهلـة سوء النيـة المبيت المكشوف . فلا يجد لهم جهودا تذكر في جزئيات وتفصيلات او تفريعات أصول الفقه ، أو بمعنى آخر لا يجد لهم جهودا تذكر في جانب ثمار أصول الفقه أو عمقه الحقيقي . فقد تركزت

جهودهم في جانب واحد منه ألا وهو الأدلة ، أو مصادر التشريع ، وضربوا صفحا عن الكلام على الجزء الآخر منه وهو الاحكام والدلالات اللغوية وتفصيلاتها ومتعلقاتها .

وهذا الموقف منهم يتناسب وسوء النية ، ذلك ان الأحكام هي ثمرة الأدلة ، إذ بها يتوصل الى الحكم فلو تكلموا في الأحكام لكان ذلك بمثابة التسليم بالأدلة التي هي أصل الثمرة والحكم ، وهذا غير مسلم عندهم .

فإذا تركزت جهودهم في الأصل وهو الأدلة وعدم التسليم بصحته واستطاعوا التشكيك به فإنهم حينئذ في غير حاجة للكلام على الأحكام ، فهي باطلة تبعا مادام أساسها وأصلها على تلك الصفة ، وفي نفس الوقت فان طريق الوصول الى الحكم أو طريق الاستنباط باطل أيضا .

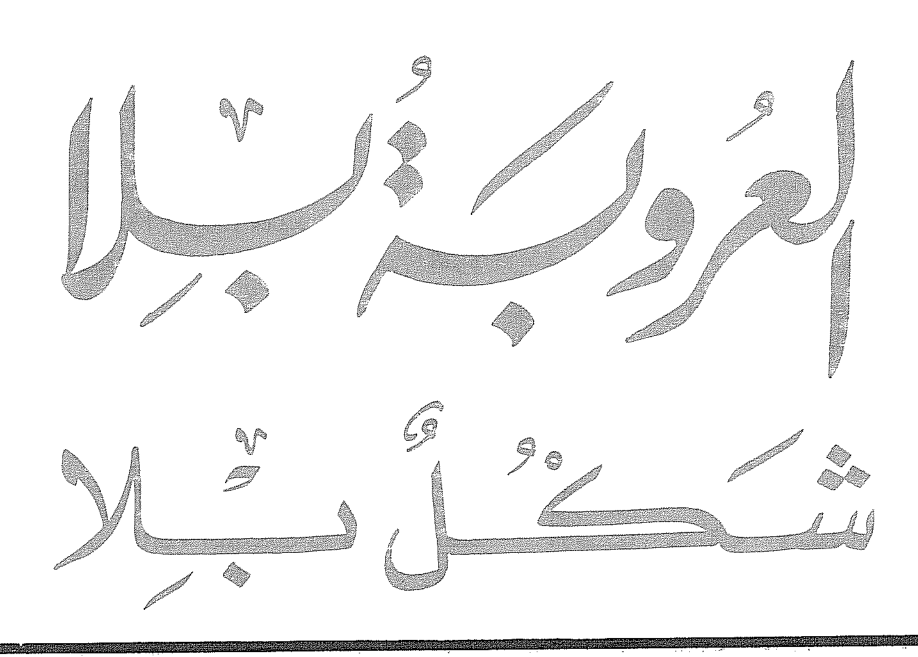
إلا أن هذا المسلك في الفصل بين الأدلة والأحكام ، مسلك خاطىء علميا ، ذلك ان علم أصول الفقه عنوان للأدلة الموصلة للأحكام ، أو للأحكام المبنية على الأدلة ، فهما في لازم الأمر وحقيقته شيء واحد .

ولقد أدى مسلكهم هذا في الفصل الى الجهل بعلاقة وصلة الأحكام بالأدلة مما أوقعهم في استنتاجات خاطئة لا يقرها منطق علمي سليم ، ذلك أن الأدلة مقصودة بذاتها للتوصل الى الأحكام الشرعية خاصة . فينبغي النظر لكليهما في آن واحد .

وفي نفس الوقت جعلهم ذلك جاهلين بصلة الفقه بالأصول الذي هو الثمرة العلمية التطبيقية للأدلة . اذ الاستنباط الفقهي وليد الأدلة التي يبينها أصول الفقه كما يبين طريقة استخدامها للوصول الى الاستنباطات الفقهية .

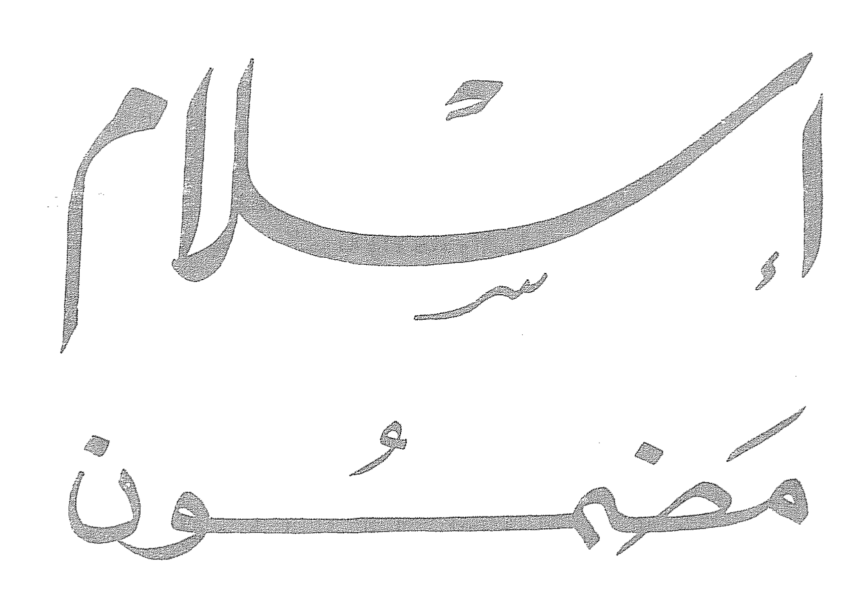
وعلى ذلك نستطيع القول : ان استنتاجاتهم الغثة في مجال الفقه الاسلامي ، والسيل الوافر من التهم والافتراءات عليه ، انما ابتنيت ابتناء طبيعيا ومنطقيا على عملية الفصل بين الأدلة والأحكام . وما قلناه في صلة الفقه بالأصول يقال أيضا في التفسير والحديث ـ لأنه يشدهما الى علم الأصول طريقة الاستنباط للآية والحديث ـ في احوال العموم والخصوص والتقييد والاطلاق والاجمال والبيان والناسخ والمنسوخ والترجيح عند التعارض ، وما الى ذلك مما لاغنى عنه عند النظر في آية او حديث ، فالنظر في الآية والحديث يستلزم النظر في آن واحد لعلم الأصول ـ والفصل بينهما ـ والحال هذه ـ قطع للاستنتاج الصحيح .

فإذا كان هذا الفصل خاطئا علميا ومنطقيا ـ كما رأينا فإن ما ابتنى عليه ـ بالتالي ـ من اجتهادات واستنتاجات في مجالات العلوم الاسلامية سواء الفقه او التفسير أو الحديث خاطئة تبعا ، وعليه يمكن القول : ان مساحة شاسعة من عملية الهجوم الاستشراقي على الاسلام عملية فاشلة ، أو على الأقل يمكن تفشيله بيسر وسهولة ما دام غير قائم على أسس علمية سليمة تتحمل ما يبنى عليها .



من المعروف ان العرب قبل الاسلام الحنيف عانوا الكثير من الاستعمار الفارسي والرومي والحبشي ، فلم يكن لهم دولة قوية تحميهم وترعاهم ولا حضارة مشرقة تنير أرضهم وسماءهم ، واصطلوا بنار التناحر والتخاصم والتمزق ، وعاشوا في جحيم الثأر والانتقام والتعصب القبلي ، وضلوا الطريق وتاهوا في ظلمات الجهل المطبق والأمية العمياء والضلالة العشواء . وتفرقت بهم السبل في التدين والعبادة ، فقد عبد معظمهم الأصنام الحجرية والبشرية ، كما عبد بعضهم بعض الحيوان والكواكب والنجوم والشجر ومنهم من سار في طريق الكفر والالحاد وانكار وجود الحياة الآخرة ويوم الحساب كما قال الله تعالى : (**وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر**) سورة الجاثية / ٢٤

كما ذاقوا وبال العادات السيئة والتقاليد الباطلة ومرارة الظلم والباطل والجشع والاستغلال والاستعباد والاستبداد وساد حياتهم النظام القبلي الذي يقوم على تعصب الفرد الاعمى لقبيلته في الحق والباطل وفي الصواب والخطأ وشعاره : « انصر اخاك ظالما او مظلوما » . ويمتشق حسام الثأر والانتقام ليسترد حقه المسلوب وينتصف .



للدكتور / فؤاد محمد محمود العارضة

أما المرأة التي هي نصف المجتمع ويد الحياة اليسرى ، فقد كانت مسلوبة الكرامة والحرية وضيعة المكانة الاجتماعية مهدومة الشخصية .

واذا التفتنا الى اللغة العربية وجدناها لغة بداوة وجلافة ، تتقاسمها لهجات قبلية متعددة مختلفة ، يصعب التآلف والانسجام بينها ، كما كانت في العصر الجاهلي قاصرة على ان تنطق بلسان العلم والحضارة .

ولم يعرف العرب قبل الاسلام قانونا يضبط أمورهم ولا نظاما ينظم حياتهم ، ولم يعرفوا كذلك شريعة عادلة تحق الحق وتنصب ميزان العدل ، بل سادهم قانون الغاب الذي عماده « الحق للقوة » وانقلبت المعايير والمقاييس وانعكست الآية واعوجت الأمور فالصدارة والرئاسة لأرباب المال والجاه والقوة ، والمجد والشرف لأصحاب الحسب والنسب ، والأقوياء والأغنياء فوق القانون والحساب .

وفي ظل الاسلام الحنيف تغيرت حياة العرب من جميع جوانبها ونواحيها ، وتبدلت أوضاعهم وأحوالهم كلها ، فانتقلوا من جحيم العداوة والبغضاء وذل التفرق والانقسام الى نعيم المحبة والاخاء وعز التراحم والتعاون والاتحاد ، وتخلصوا من نير الحكم الأجنبي ، وخرجوا من ظلمات الاحتلال والاستعمار الى نور الحرية والاستقلال .

وتوحدوا في الدين والعقيدة وخرجوا من متاهات الكفر والشرك والضلال الى طريق الايمان والتوحيد والهدى ، فذاقوا حلاوة الحق والعدل ، وجنوا الثمار الطيبة من بستان العلم والايمان ومكارم الاخلاق .

وبدلهم الاسلام الحنيف بعادة الثأر والانتقام ونزعة التعصب القبلي الأعمى وحياة الفوضى والتسيب ، الولاء للدولة والارتباط بالأخوة العربية الاسلامية والخضوع لحياة القانون والنظام والانضباط ، وأحل قرابة الخلق والدين محل رابطة الدم والطين وتفيئوا بظلال الحرية والاخاء والمساواة ومبدأ تكافؤ الفرص .

ورفعت المرأة رأسها ، وبرزت شخصيتها الحرة المستقلة ، ونالت حقها في الحياة الحرة الكريمة ، ومنحت فرصة الوقوف الى جانب الرجل ، وصارت تشاركه لقمة العيش وتقاسمه حلو الحياة ومرها .

وامتدت يد التطور والازدهار الى اللغة العربية ، فتوحدت لهجاتها ، واتسعت آفاقها ، ونمت ألفاظها ، ومعانيها ، ورقت حواشيها ، وخلعت ثوب البداوة والجلافة ، وارتدت ثوب العلم والحضارة والمدنية ، وصارت لغة عالمية كاللغة الانجليزية اليوم ، وانتشرت في ارجاء العالم بانتشار الاسلام الحنيف ، فهي لسان الاسلام الناطق وترجمانه الشارح المفسر ووعاؤه اللغوي النظيف الشفاف .

وظهرت شريعة الله الرحيمة العادلة وسنته السمحة الغراء ، وسادت معايير السماء الصحيحة ومقاييسها السليمة ، فتولى مقاليد الأمور اهل العلم والايمان والتقوى والأمانة والصلاح عملا بقوله تعالى : (**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر / ٩ وبقوله جل شأنه :(**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) المجادلة / ١١ وصار أفضلهم وأكرمهم عند الله ورسوله أتقاهم وأشدهم طاعة لله ورسوله قولا وعملا ، وأحسنهم أخلاقا لا أكثرهم مالا ولا أعظمهم قوة ولا أعلاهم نسبا كما قال الله تبارك وتعالى : (**يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) الحجرات / ١٣

وقال رسول الله محمد عليه افضل الصلاة والسلام : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » رواه البخاري ومسلم وقال ايضا صلى الله عليه وسلم : احب عباد الله الى الله أحسنهم خلقا » رواه الطبراني .

وفي ظل الاسلام الحنيف اتسعت دنيا العرب وقامت للعرب دولة عربية اسلامية عظمى ، امتدت الى جنوب فرنسا غربا وتخوم الصين شرقا ، وطلع في آفاقها وسمواتها شمس حضارة عربية اسلامية ، أضاءت أنوارها أرجاء العالم القديم كله ، وكانت حضارة العصور الوسطى السائدة المستعلية بلا منازع وشمسها الساطعة المشرقة .

وقد انصهر في بوتقة العروبة والاسلام بلاد وشعوب لم تكن قبل الفتوحات

العربية الاسلامية عربية وصارت عربية الوجه واليد واللسان والفكر والثقافة والتاريخ واسلامية الدين والمذهب ، وهناك بلدان اخرى دخلت في دين الله ـ الاسلام الحنيف ـ افواجا واتخذته لها دينا وشريعة ودستورا ومنهاجا .

والدارس الناظر في تاريخ العروبة والاسلام يعرف أن العرب هم أول من كلفهم الله تبارك وتعالى باعتناق الاسلام وحمله الى الناس كافة ونشر أنواره في أنحاء الدنيا وآفاقها بحكم كون نبيّ الاسلام عربيا والقرآن عربي اللغة واللغة العربية وعاء الفكر الاسلامي فقد قال الله سبحانه وتعالى : (**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**) التوبة / ١٢٨

ويعرف كذلك أنهم قاموا بالعبء الأكبر والدور الأول في نشر الاسلام والفتوحات الاسلامية وبناء الدولة العربية الاسلامية وبناء منار الحضارة العربية الاسلامية فرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب وابو بكر الصديق وعثمان ابن عفان وسائر الخلفاء العظام من أمويين وعباسيين والقادة العسكريين العباقرة من أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص وعقبة بن نافع وموسى بن نصير ومحمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم الباهلي وسواهم رضي الله عنهم أجمعين من العرب الغر الميامين ، كما برز منهم فلاسفة وأدباء وشعراء وعلماء عباقرة من أمثال الكندي والجاحظ والمتنبي وأبي العلاء وأبي تمام والبحتري وابن خلدون وابن رشد وغيرهم ، وبقيت الدولة العربية الاسلامية قوية مزدهرة والحضارة الاسلامية مشرقة ساطعة ما بقي العرب المسلمون يتولون أمرها ويقودون سفينتها ويرعونها ويحرسونها ويحمونها .

ولما أبعد العرب عن مركز القيادة والصدارة وتولى أمرها وقيادة سفينتها مسلمون غير عرب ضعفت الدولة وانحلت وانقسمت الى دويلات وشعوب وأوطان ونبت في أرض العروبة والاسلام أعشاب ضارة وغشي شمس الاسلام سحب بدع وشيع ومذاهب باطلة وقد نشر ذلك الدخن والسحب في أجواء الاسلام النقية وآفاقه الصافية عناصر اسلامية غير عربية ، اذ لم يفهم الاسلام الصحيح على حقيقته ولم يحافظ على نقائه وصفائه عبر العصور الا العرب والمسلمون الذين تعربوا لغة وثقافة ودينا ، لأن العرب أدرى الناس بالاسلام وأعلمهم به وأفهمهم له لأن القرآن الكريم عربي اللسان واللغة . لذلك كان العرب ومازالوا هم المعنيين قبل غيرهم والمسئولين أولا وأخيرا عن حمل الاسلام ونشر أنواره في آفاق العالم وابراز حقائقه الخالدة وسيبقى العرب خير من يترجم الاسلام الى الذين لا يعرفون لغته وستبقى شمس الاسلام ساطعة مشرقة في سماء العرب في حين يغشاها ضباب ودخان في سموات غيرهم .

وهكذا صار للعرب بفضل الاسلام الحنيف وفي ظله دولة عظمى وحضارة عالمية وتاريخ انساني مجيد مشرق ، وصاروا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، كما أن الاسلام عز وساد في أرجاء العالم وطرق مسامع الدهر ، وسطع في آفاق الدنيا بفضل جهاد العرب بالمال والنفس والقلم والسيف ، وظل العرب أقوياء أعزاء ما بقوا متمسكين بالاسلام الحنيف ، كما أن الاسلام ظل مشرقا منيرا ما بقي العرب يتولون قيادة سفينته .

ولما ابتعد العرب عن الاسلام الحنيف بمكارم أخلاقه وفضائله السامية ضعفوا وافتقدوا حريتهم واستقلالهم ودولتهم وغزاهم اعداؤهم في عقر دارهم وقلب بلادهم واستعمروهم واستذلوهم واقتطعوا أجزاء غالية من ديارهم وبلادهم ، كما أن الاسلام الحنيف انكسف شمسه وقمره وغشيته السحب والضباب وانتكس وتقلصت أرضه وجزر بحره وفي ذلك قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا ، أمرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه » السيرة النبوية لابن هشام ص ٢٥١ ط بيروت ج ٤

وكان العرب كلما اشتد عليهم الداء والألم ، وأطبق عليهم ظلام الجهل والتخلف وكابوس الاستعمار والاحتلال الأجنبي ، تحسسوا وتلمسوا طريق الاسلام الحنيف فوجدوا فيه العلاج الشافي من داء الضعف والهوان والانحلال والتمزق ، والنور الذي يبدد لهم ظلمات الجهل والضلال ويهديهم الصراط المستقيم فتتصافى نفوسهم وتتآلف قلوبهم وتتصافح أيديهم وتتلاقى أرواحهم وأبدانهم ويسيرون يدا واحدة وقلبا واحدا وصفا واحدا كالبنيان المرصوص لمقاتلة العدو الغازي المعتدي ونور العلم والايمان يسعى بين ايديهم يحدوهم الى ذلك قوله تعالى : **(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)** الصف / ٤

فيدحرون العدوان ويخلصون ديارهم المغتصبة ويستعيدون حريتهم واستقلالهم ويرفعون رأسهم عاليا ويحلقون في السماء .

وهكذا حفظ الاسلام للعرب شخصيتهم العربية الاسلامية ولغتهم العربية البليغة ، ولسانهم العربي المبين وتراثهم الفكري والعلمي والأدبي اذ لولاه لفقدوا ذلك كله وبادوا كما بادت امم وشعوب من قبلهم إبان عصور الطغيان والطوفان .

ويدل على ذلك تخلصهم من طغيان الصليبيين والمغول والاستعمار الغربي المعاصر ، ولن يقدر لهم أن يسحقوا الغزو الصهيوني الذي يجثم على صدورهم ويلتف حول أعناقهم في القدس وفلسطين مالم يعتصموا بحبل الله جميعا ويتسلحوا بسلاح العقيدة الاسلامية والعلم الحديث .

يفهم مما تقدم أن الاسلام الحنيف كان ومازال شمس العرب التي بعثت فيهم الدفء والحرارة والحياة ، وقمرهم الذي يضيء ليلهم ويهديهم سواء السبيل ونورهم الذي يسعى بين ايديهم وخلفهم . وهو ينبوع عزتهم وكرامتهم وقوتهم وجامع أرواحهم وقلوبهم وعقولهم وأبدانهم وأيديهم . ففي ظله وتحت شمسه

ذاقوا طعم الحياة الحرة الكريمة وقام لهم دولة عربية اسلامية عظمى وعلا منار حضارة عربية اسلامية كانت كوكب الهدى في العصور الوسطى ومزانوارها قبست أوروبا من بذورها نبتت الحضارة الأوروبية المعاصرة .

وببركة الاسلام الحنيف وفضله العميم صاروا خير أمة أخرجت للناس وذلك يعني أنه لاعز للعرب الا بالاسلام ولا ازدهار للاسلام الا بالعرب لأنه عربي اللسان واللغة ، ومن لا يعرف اللغة العربية لا يفهم الاسلام الصحيح . والعروبة بلا الاسلام لفظ بلا معنى والعرب بدونه جثة هامدة وأحياء أموات فكلاهما مكمل للآخر ومتمم له ويحتاج الى الآخر كما يحتاج اللفظ الى المعنى والمعنى الى اللفظ والشكل الى المضمون والمضمون الى الشكل ولا تناقض ولا تباين بين العروبة والاسلام ، فالعروبة تعني الهوية القومية والبطاقة الشخصية للأمة العربية كما يعني اسم الأب والجد والعائلة للفرد ، والله سبحانه وتعالى خلق البشر وقسمهم الى قبائل وشعوب وأمم ودول كما قال جل شأنه : (**يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم**) . الحجرات ١٣

ولكن وجه الخطأ والعيب في الظواهر القومية والتعصب القومي والتمييز العنصري وخير ما يهدم هذه الحواجز والسدود النفسية والعرقية الأخوة الانسانية ولا أخوة انسانية الا في ظلال العلم والايمان والاسلام .

ويتألف النسيج القومي لأي أمة ودولة من لغة قومية واحدة وجنسية واحدة وتاريخ واحد ووطن واحد وأرضية مشتركة وثقافة واحدة ومصلحة عامة مشتركة وتماثل في العادات والتقاليد .

أما الاسلام الحنيف فانه شريعة ربانية ونظام سماوي وقانون الهي ودستور حياة وأخلاق وأداب وفضائل ، وكل امة تحتاج في حياتها ومسيرتها ونهضتها الى ذلك لتنهض وتتقدم وتعيش حياة حرة كريمة ، يظلها الوئام والسلام والتعاون والاتحاد والعدل والرخاء .

لذلك تحتاج الأمة العربية في حياتها الى العروبة ، لتبرز هويتها القومية وينطق لسانها ، وتحتاج الى الاسلام الحنيف لتستضيء بنوره وتسير على هديه وسنته ، وتأخذ بشريعته ونظامه وتتخذه منهجا ودستورا لها وتتشرب أخلاقه السامية وآدابه العالية وفضائله المثمرة وتستمد منه الحيوية والنشاط والتجدد وروح الخلود والبقاء وتذوق طعم العدل والحق والحياة الحرة الكريمة ، وتبقى وحدة حية قوية غلابة ، هذا . والاسلام لم يلغ القومية العربية عندما نزل من السماء ، انما هذبها ونظمها ونقاها من التعصب القومي الأعمى ، كذلك لم يهدم القوميات الأخرى ، ولكنه نفي عنها التعصب العرقي والتمييز العنصري ، وآخى بين ابنائها وساوى بينهم وجمعهم تحت سقف الأخوة الانسانية واخوة الدين والايمان .

وهكذا يمكن للمرء ان يكون عربيا ومسلما أو تركيا ومسلما أو فرنسيا ومسلما وهلم جرا .. فتجمع الناس أخوة الدين والايمان والانسانية .

أما الأقليات الدينية الأخرى فيمكن لها أن تتعايش سلميا مع الأكثرية المسلمة في المجتمع الاسلامي ، اذ تربطها بها روابط اخرى عديدة لغة العروبة وثقافتها وقوميتها ووطنيتها وتراثها وتاريخها .

ومن ينظر في تاريخ العرب قديمه وحديثه ، يتبين له أن العرب ما صلحت أحوالهم ولا استقامت أمورهم ولا اتحدوا ولا تقدموا ولا عزوا ولا سادوا الا في ظل الاسلام الحنيف : فعلة العلل ومشكلة المشاكل عندهم الأثرة والأنانية والنزعة الفردية الانفصالية ، ووضع المصلحة الخاصة فوق المصلحة العامة وحب الزعامات والكراسي . وقد تولد عن ذلك نزعات طائفية واتجاهات اقليمية وحدود سياسية كرتونية بين أقطار الوطن العربي الكبير تحول دون تعاونهم واتحادهم وتفرقهم الى دويلات وشعوب وأوطان ولا دواء لهذا المرض الأخلاقي ولا شفاء منه الا بالاسلام الحنيف كما يقول الله تبارك وتعالى : **(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا)** الاسراء / ٨٢ .

فالاسلام الحنيف يخنق في النفس العربية صوت الأثرة والأنانية والمصلحة الفردية ، ويطلق صوت التضحية والايثار والمصلحة العامة ، ويهدم ما يمزق الأمة العربية ويفصل بين شعوبها من حواجز نفسية وعقلية ونزعات اقليمية وحدود سياسية صناعية ، ويؤلف بين قلوبهم ويجعلهم اخوة في أسرة واحدة كما يقول الله تبارك وتعالى :**(انما المؤمنون اخوة)** الحجرات / ١٠ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم اخو المسلم : لا يظلمه ولا يسلمه » متفق عليه وقال ايضا : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه احمد ومسلم ويوحدهم فكريا وروحيا وعقائديا واجتماعيا وسياسيا وعسكريا واقتصاديا ، ويصلح نفوسهم ويطهر عقولهم وقلوبهم ، ويشربهم مكارم الأخلاق ورفيع الآداب والفضائل ، وصلاح أمر المرء أساسه ازدهار أخلاقه وآدابه ، والرقي العلمي الحضاري يبنى على الرقي الأدبي الأخلاقي ، وذلك ما بينه أخمد شوقي اذ قال :

صلاح امرك للأخلاق مرجعه ... فقوم النفس بالأخلاق تستقم

وقال ايضا :

وليس بعامر بنيان قوم ... اذا أخلاقهم كانت خرابا

وهنا تتجلى لنا الحكمة في قوله صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » رواه البخاري والحاكم والبيهقي

وفحوى هذا الموضوع أنه لا وحدة للعرب وسائر المسلمين ولا عزة ولا قوة ولا علم أو حضارة لهم الا في ظلال الاسلام الحنيف . لذلك كانت العروبة بلا الاسلام شكلا بلا مضمون وجسما بلا روح ، تعني التمزق والانقسام والجهل والضلال والتخلف الحضاري والضعف والهوان وحياة التبعية والعبودية والاستبداد واضمحلال الحق والعدل والمساواة ، كما يشهد بذلك واقع العرب في الماضي والحاضر .



للدكتور : عزت ابو الفتوح حموده

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد عليه افضل الصلوات واتم التسليم يقول الحق تبارك وتعالى : : (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) النحل / ٦٨ و ٦٩ .

وحينما نتعرف على التركيب الكيمائي للعسل . نجد أنه يتكون من :

١ ـ سكريات بسيطة :

وهي عبارة عن الجلوكوز والفركتوز ولذلك فهو سهل الهضم .

٢ ـ مجموعة كبيرة من الخمائر « الانزيمات »

وهي تسهم بدور كبير في عمليات الهضم مثل :

أنزيم بيروكسيديز والذي يساعد على إتمام حدوث عملية الاكسدة .

انزيم دياستيز والذي يعمل على تحويل النشادر والدكسترين الى سكر .

انزيم الانفرتيز والذي يعمل على تحويل سكر القصب الى سكر عنب وسكر فاكهة .

انزيم كاتاليز والذي يعمل على تحطيم الاكاسيد العالية .

٣ ـ **الاملاح المعدنية** :

ويحتوي العسل على مجموعة ممتازة من الاملاح المعدنية الهامة للجسم ، والتي لا غنى عنها مثل الكاليسيوم ، الصوديوم ، البوتاسيوم ، المغنسيوم ، الحديد ، الكلور ، الفسفور ، الكبريت ، اليود ، وتقريبا فان نسبة بعض الاملاح الهامة الموجودة بالعسل تعادل نسبتها في مصل الدم البشري ..

٤ ـ **الاحماض العضوية** :

يحتوي العسل على بعض الاحماض العضوية الهامة مثل حمض الاوكساليك و حمض الترتريك .

٥ ـ **الفيتامينات** :

يحتوي العسل على كميات مرضية من الفيتامينات اللازمة للجسم مثل :

ـ فيتامين « ب ٢ » وهو يسهم في عملية التمثيل الغذائي للكربوهيدرات والدهون والزلاليات وفي امتصاص السكر من الامعاء ، كذلك يعتقد بعض العلماء أنه يزيد المقاومة للميكروبات العنقودية والسبعية . ولوحظ أن نقص هذا الفيتامين يؤدي الى حدوث قرح بالمصران الغليظ ويزيد من تهيج الجهاز العصبي وحدوث بثور في الجلد .

ـ فيتامين ب ٣ وهو يعتبر عاملا مهما ضد التهابات الجلد ويسهم في عملية التمثيل الغذائي للكربوهيدرات .

ـ فيتامين ب ٦ وهو يسهم في عملية التمثيل الغذائي الخاص بالبروتينات ويمنح الجلد مناعة ضد الأمراض .

ـ فيتامين هـ وهو يسهم في عملية التمثيل الغذائي الخاص بالدهون ويمنع انتشار الاكزيما والقوباء والدمامل .

ـ فيتامين C وهو يزيد من مناعة الجسم ضد العدوى ويسهم في عمليات التأكسد والاختزال والتكوين العادي للدم .

ـ فيتامين K وهو يمنع حدوث نزيف داخلي بالاوعية الدموية .

ـ حمض الفوليك وهو يسهم في المحافظة على الحجم العادي للكرات الدموية الحمراء . وكمية الهيموجلوبين في الدم ويستعمل هذا الفيتامين بنجاح في علاج الانيميا الخبيثة « فقر الدم » .

ومع ان هذه الفيتامينات السابق ذكرها موجودة في العسل بكميات صغيرة ولكنها ذات اهمية كبيرة لانها تأتي متحدة مع مواد اخرى مثل الكربوهيدرات والاملاح المعدنية والاحماض العضوية . هذا ولقد اثبت العلم الحديث عن طريق استخدام احدث انواع التحاليل الكيمائية لشراب عسل النحل « العصير » انه يتكون أساسا من :

(أ) **لبن النحل** :

وهذه المادة تكون الجزء الاكبر

من مكونات شراب النحل وقد وجد عند تجريبها على الانسان انها كافية لشفائه من معظم الأمراض التي يصعب علاجها بالأدوية الأخرى .

(ب) غذاء الملكة « الفالوذج الملكي » :

وهو عبارة عن مركب كيمائي يحتوي على مجموعة كبيرة من هرمونات الجنس والاعصاب وقد وجد ان هذا الفالوذج الملكي الذي تفرزه الشغالة يحتوي على كميات عظيمة من البروتينات ، الدهون ،

السكريات ، الاملاح المعدنية ،

مجموعة من فيتامينات « أ ، هـ ، ب مركب » وعلاوة على ذلك فهو يحتوي على مواد لها خواص الهرمون الانثوي مما يساعد على نضج البويضات في اعضاء الملكة التناسلية . كما يحتوي على مادة « الجير ميسيدين » وهي مادة من المضادات الحيوية التي تعوق نمو الميكروبات والعفن .

(جـ) سم النحل

وهو عبارة عن المادة السامة التي تقذفها النحلة عن طريق الزبان في جسم الانسان عند لدغه ولقد اثبت العلم الحديث ان لسم النحل دورا كبيرا في علاج الحمى الروماتيزمية والتهاب الأعصاب ،

هذا وبعد توضيح التركيب الكيمائي للعسل يجدر بنا الاشارة الى فوائد العسل الشفائية .

أولا : دور العسل في علاج الجروح :

نظرا لأن العسل له خاصية امتصاص الماء لهذا فهو يعطي نتائج ممتازة في علاج الجروح المتقيحة والسطوح الملتهبة .

ولقد كتب بلينى العالم الروماني الشهير فقال : « إن دهن السمك اذا مزج بالعسل كان علاجا ممتازا للقروح والخراريج .
وكان العلامة العربي ابن سينا ينصح باستعماله في الجروح السطحية في صورة لبخة مصنوعة بخلط العسل بالدقيق بدون ماء .
ولقد فسر الدكتور كرينيسكي تأثير العسل الشافي للجروح ، فقال : « إن العسل إذا عولج به الجرح فإنه يزيد كمية الجلوتاثيون الموجود في افراز الجرح . والجلوتاثيون يلعب دورا في منتهى الأهمية في عمليات التأكسد والاختزال في الجسم وهو أيضا ينشط نمو الخلايا وانقسامها وبهذه الطريقة يسرع شفاء الجروح .

ثانيا : دور العسل في علاج أمراض الرئة :

لقد كتب أبو قراط قديما فقال :

« ان شربة العسل تزيل البلغم وتوقف السعال » وقال ابن سينا إن مزيجا من العسل وبتلات الورد كاف لعلاج السل الرئوي في أطواره الأولى » . وظل الطب الشعبي قرونا طويلة يستعمل العسل لعلاج السل الرئوي إما مخلوطا باللبن أو الدهن الحيواني . والذي أثبته العلم الحديث حتى الآن ان العسل يسهم في شفاء أمراض الرئة حيث انه يزيد من مقاومة الجسم بصفة عامة وبذلك يمكن التحكم في العدوى ..

ثالثا : دور العسل في علاج أمراض القلب :

نظرا لأن نسيج القلب العضلي يعمل باستمرار فيجب ان يحصل دائما على ما يحتاجه من الجلوكوز لكي يعوض ما يفقده من طاقة .

وكان قديما يعتبر العلامة العربي ابن سينا العسل علاجا ممتازا لأمراض القلب ونظرا لأن العسل يتكون أساسا من الجلوكوز والفركتوز لهذا فإن تاثيره على عضلات القلب يصبح واضحا . وعلى ذلك فينصح أن يتناول مرضى القلب العسل في طعامهم يوميا

رابعا دور العسل في علاج امراض المعدة والامعاء

وجد أن العسل مركب كامن القلوية لذلك فهو يستخدم في علاج حموضة المعدة، وعلى أساس المراقبة الاكلينيكية استقر رأي كثير من المؤلفين على أن الغذاء المكون من العسل فقط أو ممزوجا مع بعض الأطعمة الأساسية يقلل من الحموضة لدى المرضى الذين يشكون من الحموضة العالية في المعدة وينصح في علاج قرح المعدة والاثنى عشر بتناول العسل في صورة كوب ماء دافىء قبل الافطار بساعتين او بعد العشاء بثلاث ساعات ، ولقد اعلن مجموعة من الدكاترة السوفييت أن عسل النحل كاف لعلاج حموضة المعدة ، النزيف المعدي ، الامساك ، القيء ، وقرح المعدة والاثنى عشر بنجاح .

خامسا : دور العسل في علاج أمراض الكبد

يستعمل العسل بنجاح في علاج أمراض الكبد ، ويرجع ذلك الى طبيعة تركيبه الكيمائي والبيولوجي . ولقد ثبت أنه بالاضافة الى كونه طعاما لخلايا الجسم وانسجته فان الجلوكوز يزيد من مخزون الكبد من السكر الحيواني وينشط عملية التمثيل الغذائي في الانسجة .

ونظرا لأن الكبد يقوم بعمل المرشح فيكون ترياقا لسم البكتريا ومن المعروف أن الجلوكوز

يزيد من أثرها في هذه الناحية ، وبذلك تزيد مقاومة الجسم للعدوى . وهذا هو السبب في استعمال الجلوكوز ، وهو أهم مكونات العسل على نطاق واسع في الطب الاكلينيكي للحقن في الوريد .

سادسا : دور العسل في علاج أمراض الجهاز العصبي :

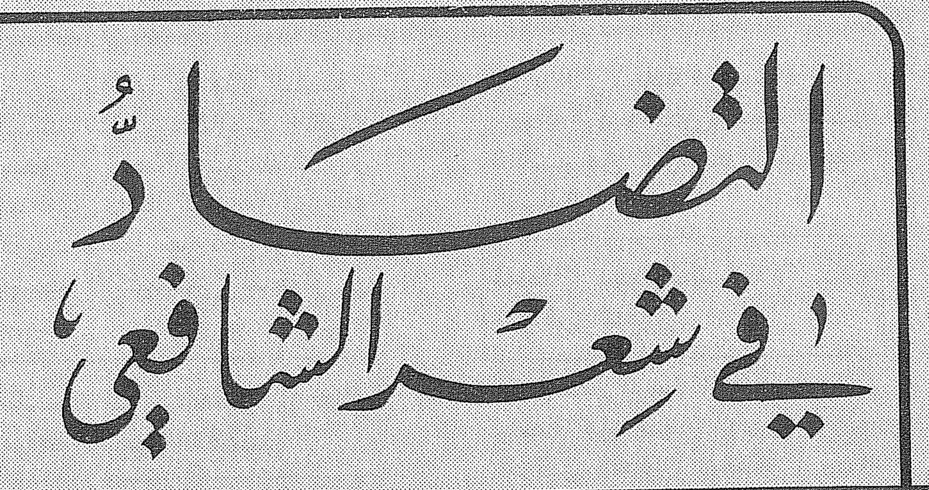
كان الاغريق والرومان قديما يعتبرون العسل مسكنا وباعثا على النوم العميق .
وكان العلامة العربي ابن سينا ينصح بتناول جرعات قليلة من العسل في حالات الأرق .
ولقد قرر العلم الحديث أن عسل النحل ناجح في علاج الاضطرابات العصبية وأن كوب ماء مذاب فيها العسل ، اذا اخذت قبل النوم سببت النوم الهادىء .
وقد دلت الملاحظات الاكلينيكية على إمكان الحصول على نتائج سريعة إذا عولج الجهاز العصبي بمحلول ٤٠ ٪ من الجلوكوز حيث يبدأ المريض في التحسن ، ويقبل على تناول الطعام ويختفي الصداع ويقوي البصر وتتحسن حالته الصحية بصفة عامة .

سابعا : دور العسل كدهان طبي لعلاج الأمراض الجلدية :

يعتبر عسل النحل من أهم المواد التي تحافظ على صحة الجلد وجماله وهو بدوره يحمي كل الجسم من المؤثرات الخارجية الضارة .

ثامنا : دور العسل في علاج أمراض العيون :

في مصر قديما كان العسل يعتبر واحدا من أنجح الأدوية لعلاج أمراض العيون المختلفة . وبناء على ما قاله الاستاذ الدكتور ى فيشر : رئيس قسم طب العيون بمستشفى اوديسا الاق حيث استعمل مراهم العسل نطاق واسع للاصابات المخد التي تضر بالقرنية .
وقد استعمل العسل أولا في مرهم ٣٪ سلفيدين بدل البرافين السائل وبسرعة أمكن ملاحظة أن العسل وحده دواء ناجح وكمنشط لالتئام الجروح ، فإن مرهم السلفيدين بالعسل أعطى نتائج ممتازة في علاج القرح بطيئة الالتئام الموجودة بالقرنية .
وفي نهاية مقالي هذا فإنني أقول إن في النحل ومنتجاته كثيرا من العبر والعظات لأصحاب العقول الناضجة. هذا وإن دل على شيء فإنما يدل على عظمة الخالق في خلقه . وصدق الله إذ يقول : **(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد)** فصلت / ٥٣ .



للأستاذ/حكمت صالح

من ألوان البديع شاع ما يعرف بـ « الطباق » ، ويكون إما ايجابا أو سلبا ، فالايجاب يقصد به الجمع بين لفظتين متضادتين في المعنى ، مثل : الحي والميت ، أو النهار والليل ... الخ . وأما الطباق السلب فيقصد به الجمع بين اللفظ ومنفيه ، فان اجتمع أكثر من ضد وضد سمي الطباق .. « مقابلة » ، فالطباق اذن هو مقابلان بين المعاني .

والبديع ظاهرة فنية اهتدى اليها الشعراء منذ القديم بقريحتهم وحدسهم ، ثم ان الشعر يتطلب بطبعه مثل هذه « الرتوش » الفنية ، وفي ذلك يقول الدكتور (محمد مندور) :

« فاما ان البديع شيء قديم اهتدى اليه الشعراء بقريحتهم وبحكم طبيعة الشعر ذاته فأمر يحتاج الى تفصيل ، وذلك لأن الشعر ـ الى حد كبير ـ صياغة ، وفي طرق هذه الصياغة تتركز عادة أصالة الشاعر : إذ بفضلها يقيم علاقات بين الاشياء ، وكلما ازدادت كمية تلك العلاقات ودقتها وجدتها وقوة ايحائها ازداد شعره جودة » .

ثمة ما يقابل « الترادف » في اللغة وهو ما اصطلح عليه القدماء « الأضداد » أو « التضاد » في اللغة ... ويقصدون به إطلاق اللفظ على المعنى وضده . مثل « الجون » الذي يقصد به الابيض ، والاسود . وهذا التضاد نوع من أنواع الاشتراك اللفظي ، وللغويين فيه اختلاف ، فـ « ابن درستويه» جحده في كتاب لم يصلنا وهو بعنوان « أبطال الأضداد » ، غير أن فريقا آخر أقروا كثرة وروده ، منهم « ابن سيده » و « الثعالبي » و « السيوطي » وغيرهم ، وكثيرة هي المؤلفات التي أدرجت تحت عنوان « الأضداد » لـ « قطرب » و « الأنباري » وغيرهما .

ورغم كون هذا التضاد وسيلة من وسائل التنويع في اللفظ والاسلوب ، ورغم ما أضفى على العربية من مران وطواعية في التنقل بين ما هو سلبي وما هو ايجابي ، أو العكس والنظير ـ رغم كل ذلك فاننا ـ في دراستنا هذه ـ سوف لا نقف عند هذا النوع من التضاد ، لأنه لا يشكل مؤشرا يميز شعر « الشافعي » . من ذلك قوله :

رأيتك تكويني بميسم منة — كأنك كنت الأصل في يوم تكويني
فدعني من المن الوخيم ، فلقمة — من العيش تكفيني الى يوم تكفيني

« هذه الأرقام الأولى مثل ١٧٧ تشير الى تحقيق زهدي يكن والثانية مثل ٨٧ تشير الى تحقيق محمد عفيف الزعبي »

وسنتناول في هذا الفصل شكلين من أشكال « التضاد » ، الأول ونقصد به الطباق والمقابلة ، وهو موضوع كثر فيه الحديث في كتب البلاغة وخاصة في كتابي « البديع » لـ « ابن المعتز » ـ ت ٦٢٦ هـ ـ و « نقد الشعر » لـ « قدامة بن جعفر » ـ ت ٣٣٧ هـ ـ . وأما الشكل الثاني فنقصد به التضاد « المنطقي » ، وهو أن يعمد الشاعر في البيت الواحد الى استثارة معنيين متناقضين ، بغية الوصول الى حقيقة عقلية أو تقرير ذهني من خلال التمثيل الحسي المتناقض للتركيب اللغوي في شطريه ، وهذا ما سنفصل الحديث فيه فيما بعد .

فأما ما يتعلق بالشكل الأول من تضاد في ديوان (الشافعي) ، فان الشواهد ليست باليسيرة ، بل انها تكاد تزاحم أبيات الديوان . وقد قيل إن « بشار بن برد » و « مسلم بن الوليد » و « أبا نواس » ومن سلك سبيلهم كانوا قد سبقوا إلى هذا الفن الذي سماه المحدثون بـ « البديع » الأمر الذي دفع بـ « ابن المعتز » الى تفنيد هذا الزعم ، فأكثر في كتابه من الشواهد القرآنية واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وأشعار المتقدمين ، وقد أشار الى ذلك في مقدمة كتابه .

ونريد هنا ان نضيف « الشافعي » الى قائمة اسماء الشعراء الذين اتخذوا من البديع صنعة ، يبذلون فيها جهدا واضحا ، سواء في اختيار الالفاظ او زخرفتها ، وما يتطلب ذلك من قوة البناء اللغوي والنحت الحرفي . ولم يكن هذا الزخرف اللفظي في شعره الغاية الاساسية ، كما هو عليه الحال من امر معاصره « مسلم ابن الوليد » ـ الذي ولد بالكوفة سنة ١٤٠ للهجرة ـ والذي صبغ نسيجه بالالوان والظلال والاطياف ... كما ان « الشافعي » ـ من جهة اخرى ـ لم ينحدر الى اللغة اليومية التي انتهجها « ابو العتاهية » ـ الذي ولد بضواحي الكوفة سنة ١٣٠ للهجرة ـ بخفة اوزانها ورقة الفاظها ورشاقة قوافيها ، او ما يعرف بالسهل الممتنع ... هكذا كان شعر « الشافعي » يمثل مرحلة بين « مسلم » و « ابي العتاهية » .

والطباق قليلا ما يأتي في شعر « الشافعي » في لفظتين مثل « يزيد وينقص » في قوله :

« وان عرى الايمان : قول مبين — وفعل زكي قد يزيد وينقص »

(ديوانه ١١٣ / ٥٤)

« ولقد كان « للشافعي » رأي في حقيقة الايمان أثر عنه ، فقد كان يقول : الايمان تصديق وعمل ، وكان يحتج لذلك ، ويدعو اليه ، واذا كان الايمان تصديقا وعملا فهو يزيد وينقص بزيادة العمل ونقصه » ..

واحتج لذلك بقوله تعالى : (**وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا**) التوبة/ ١٢٤

وبقوله تعالى : (**إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى**) الكهف/ ١٣

ومثل « يزيد وينقص » قوله : « واقفا وقاعدا » (ديـوانه ١١/ ٢٣) ، و « البسط والقبض » (١١٥/ ٥٥) ، و « المودة والجفا » (١٢٥/ ١٠) .

« ومن اسباب قوة الطباق البديعي ... لان المقابلة نوع من التحدي بين المعاني ، والمنافسة في الظهور وهذه قوة للمعاني » .

ومن مقابلات (الشافعي) قوله :

« ولرب نازلـة يضيق لها الفتى ذرعا ، وعند الله منها المخرج »
« ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فـرجت وكنت اظنها لا تفـرج »
(ديوانه ٦٦/ ٣٢)

والمقابلات كثيرة في الديوان قد تخرج الى تشبيه او استعارة فتأخذ شكل صورة بيانية كما في البيتين السابقين وتترى المقابلات من تعاشق الطباق او تجاوره ولا يخفى تقصد الصنعة اللفظية فيها متمثلا بالجهد الذهني المبذول في اختيار الالفاظ والمفردات :

« لقد اطاعك من يرضيك ظاهره وقد اجلك من يعصيك مستترا »
(ديوانه ١٠٢/ ٤٠)

« ماذا تؤمل من قوم اذا غضبوا جاروا عليك وإن ارضيتهم ملوا »
(ديوانه ١٤٨/ ٧١)

« فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم »
(ديوانه ١٥٥/ ٧٥)

« وأظهر أسباب الغنى بين رفقتي ليخفـاهم حـالي وإني لمعـدم »
(ديوانه ١٥٧/ ٧٦)

« مـن جـاء إليـك فـرح اليـه ومـن جفـاك فصـد عنـه »
((ديوانه ١٧٢/ ٨٥)

« ولكننـي مـدره الأصـغـر يسن ، جلاب خير وفـراج شر »
(ديوانه ١٩٠/ ٤٩)

ومن خلال الشواهد المتقدمة نرى المقابلة تأخذ أسلوب الخبر تارة ، فيخرج الى المدح كما في البيت الأول ، والى الفخر كما في البيتين الرابع والسادس وتنتهج تارة أخرى أسلوب الاستفهام الانكاري كما في البيت الثاني او يطرحها الشاعر بشكل تقرير لا يخلو من الوعيظة كما في البيت الثالث . وقد تأخذ المقابلة شكل أمر يخرج الى النصح وهو كذلك يصطبغ بالوعظية كما في البيت الخامس .

وتعبير لغوي كهذا انما يعكس رصيدا لغويا وتمكنا من الصياغة والتصرف في التراكيب لكي تستوعب الفكرة وتنقلها الى المتلقى بأمانة ووضوح ويعود ذلك الى أعمال العقل والتفكير ؛ والا قد يأتي التعبير فيه من الابهام والغموض والتعمية ما يصرفه الى التعقيد الذي هو أقرب الى الركاكة منه الى السلاسة والعمق .

وشعر « الشافعي » هذا يتسم بالوضوح والسلاسة معا ، الأمر الذي كاد أن يخفي ملامح الجهد المبذول في الصياغة . وهو بذلك يختلف عن «أبي تمام » الذي سئل يوما : « لم تقول ملا يفهم ؟ » فأجاب على الفور : «ولم لا تفهم ما يقال لك ؟ » ونحن ـ في هذا المجال ـ لا نغمط «أبا تمام » حقه في طول باعه والتفرغ لفنه الرفيع .

والوضوح الذي اتسم به طباق «الشافعي » ومقابلته ، جعلت أبياته السابقة بعيدة عن المماحكات الكلامية .. والجدل العقلي .. والدقة في توليد المعاني .. والمفارقات الذهنية ، ولعل السبب في ذلك أن «البديع » لم يطرق كفن جمالي مستهدف لذاته في شعر «الشافعي» ـ كما هو عليه الحال لدى معاصره «مسلم بن الوليد » .

« ان غبت عنهم ؛ فشر الناس يشتمني — وان مرضت ؛ فخير الناس لم يعد
« وان رأوني بخير ساءهم فرحي — وان رأوني بشر سرهم نكدي »
(ديوانه ص ٣٧/٨٣)

« وما موت من قد مات قبلي بضائري — ولا عيش من قد عاش بعدي بمخلدي »
(ديوانه ص ٣٧/٨٠)

« رام نفعا فضر من غير قصد — ومن البر ما يكون عقوقا »
(ديوانه ص ٦٧/١٤٠)

« ومن الدليل على القضاء وحكمه — بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق »
(ديوانه ص ٦٥/١٣٣)

« لكن من رزق الحجا حرم الغنى — ضدان مفترقان أي تفرق »
(ديوانه ص ٦٤/١٣٢)

« اذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من اجابته السكوت »
« فان كلمته فرجت عنه وان خليته كمدا يموت »
(ديوانه ص ٣٧/٢٣)

« إني رأيت وقوف الماء يفسده ان ساح طاب ، وان لم يجر لم يطب »
(ديوانه ص ٤٨/٢٦)

« ومن لم يذق مر التعلم ساعة تجرع ذل الجهل طول حياته »
(ديوانه ص ٦٠/٢٩)

هذه المجموعة من المقابلات يميزها عن سابقتها أنها أكثر نضجا من الناحيتين الفكرية والفنية وهي ـ في أغلبها ـ تنم عن تجربة حياتية ومعاناة نفسية ؛ لذا جاءت أكثر تعقيدا ، وأقرب الى المنطق وصولا الى الاقناع بما يشبه البرهان «الرياضي » ، وهذا ما يميز أغلب شعر «الشافعي» .. كما وجدناه في صورته الشعرية ، وكما نجده في الاستدلال المنطقي وربما كان قد استمد هذه الخاصية من المؤثرات الدينية والفقهية ، ومن المذهب العلمي الذي كان يخضع له في انشائه علم «الأصول » ومن جهة أخرى فان الاقتراب من المنطق للوصول الى ما تشبه البرهان ساهم في شيوع الاكتفاء بالأبيات القليلة والمقطوعات القصيرة دون الاهتمام بالقصيدة ككيان له حيويته وبناؤه الفني ونموه ووحدته العضوية أو المعنوية فقد اكتفى بالبيت أو بالأبيات لكي تكون أقرب الى المثل أو الحكمة ومن ثم تكون موضع الاستشهاد أو البرهان .

وتستوقفنا مجموعة اخرى من المقابلات البديعية نستدرجها هنا ، كما تعكس من جوانب فنية ، وما تحتويه من حكم تسير مسار الامثال .

« إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها فينبغي لك الا تأمن النارا »
(ديوانه ص ٩٢/٤٢)

« أنا إن عشت لست أعدم قوتا وإذا مت لست أُعدم قبرا »
(ديوانه ص ٩٣/٤٢)

« كلما أدبني الدهر أراني نقص عقلي »
« وإذا ما زدت علما زادني علما بجهلي »
(ديوانه ص ١٤٥/٧٠)

« وأنطقت الدراهم بعد صمت   أناسا بعد ما كانوا سكوتا »
« فما عطفوا على أحد بفضل   ولو عرفوا لمكرمة ثبوتا »
(ديوانه ص ٣٠)

« تموت الاسد في الغابات جوعا   ولحم الضأن تأكله الكلاب »
« وعبد قد ينام على حرير   وذو نسب مفارشه التراب »
(ديوانه ص ١٩/٢٧)

« محن الزمان كثيرة لا تنقضي   وسروره تأتيك كالاعياد »
« ملك الاكابر ، فاسترق رقابهم   وتراه رقا في يد الاوغاد »
(ديوانه ص ٣٥/٧٥)

« وسالمتك الليالي ، فاغتررت بها   وعند صفو الليالي يحدث الكدر »
(ديوانه ص ٤٤/٩٦)

إن ابيات « الشافعي » هذه والتي يتضمنها الفصل ـ إذا ما تكلمنا عنها بمصطلحات علم المنطق ـ تجدها غالبا ما يأخذ التضاد والمفارقات شكل « قضايا » لها وجود منطقي يتجلى في صورة او لوحة منطقية لا تكتفي بأن تحمل معنى وإنما تهدف الى مغزى ايضا .

كما أن اللجوء الى المجاز الشعري لا يشترط أن تكون القضية في أصلها صادقة أو كاذبة !.. ومن خلال معايير الدلالة والمعنى والحكم يربط الشاعر بين الصورة الشعرية واللوحة المنطقية كيما ترتبط القضية بعالم الواقع ، ومن ثم تصف « موقفا ». ان الجانب اللفظي من التضاد يصور لنا مدى التقاء الوقائع الموجبة بالوقائع السالبة . ولا يسعنا المقام هنا أن نتشعب في التفسيرات المنطقية التي تخرج البحث عن طبيعته الادبية ، ونكتفي بهذه الاشارة السريعة الى جهاز العلاقات والقوانين التي تمثل البناء من حيث التركيبات النظرية لكل من المنطق والشعر .

مجموعة ثالثة نقف عندها من المقابلات التي تتعدى نطاق الطباق اللفظي لكي تحدد ملامح صورة شعرية :

« وعين الرضا عن كل عيب كليلة   ولكن عين السخط تبدي المساويا »
(ديوانه ص ٩١/١٨٦)

« أكل العقاب بقوة جيف الفلا   وجنى الذباب الشهد وهو ضعيف »
(ديوانه ٦١/١٢٩)

« فإن تجتنيها كنت سلما لأهلها وإن تجتديها نازعتك كلابها »
(ديوانه ص ٣٤/٢٢)

« خبت نار نفسي باشتعال مفارقي وأظلم ليلي إذ أُضاء شهابها »
(ديوانه ص ٢٩/٢٠)

ونحن في جولتنا هذه مع المقابلة . نجد « الشافعي » لا يكتفي بالتضاد اللفظي ، وانما يعمد الى التضاد بالصورة الشعرية ، وذلك من خلال الكناية او الاستعارة او التشبيه الصوري . فالصورة في البيت الاول تستلهم المنظور البصري في تشخيص صورة تقريرية فيها من الجمال ما يشغل القارىء عن الالتفات الى الجهد الكامن وراء تحديد ملامح هذه الصورة وابرازها بهذا الشكل الفني .. وفي البيت الثاني يعتمد « توافر الاضداد »كما يسميه « ابو تمام » ويقصد به المقابلة ، ويتحول هذا التضاد الى ما يشبه الصراع بين الالفاظ المتقابلة ، تستمد ابعادها الذهنية من المخيلة لتسكب ظلالها في اطار من التقرير ، ليعبر عن مآسي الواقع الذي وقف عليه الشاعر .. وفي البيت الثالث تبرز الحركة واضحة من خلال التجاذب والمنازعة ، فقد استطاع الشاعر ان يستغل خياله في تبسيط التعقيد والتضاد . فهي صورة ماثلة امام مرأى مخيلة القارىء ، وكأنه يرقب عن كثب هذه الاطراف المتجاذبة ، وهكذا تتحول الالفاظ المتضادة الى صورة مرئية وتشخيص حي .. وفي البيت الاخير لا يكتفي بان يقيم التضاد بين صدر البيت وعجزه كما في الابيات الثلاثة السابقة ، وانما يعمد الى التكثيف والتعشيق بين ابعاد معالم الصورة في صدر البيت وبين معالم الثانية في العجز . والبيت الاخير يكشف لنا عن طاقة ابداعية ومقدرة فنية . نقرها « للشافعي » في بلوغه هذا المرتقى الصعب !

وبعد ان تكلمنا عن التضاد الذي هو طباق او مقابلة نعود الى القسم الثاني منه ونقصد به التضاد الذهني المنطقي والمفارقات،فرغم شيوع النوع الاول في ديوان الشافعي ، الا ان البديع هذا اصبح سمة لمدرسة شعرية تزاحم المنتسبون اليها فيما بعد . اما النوع الثاني من التضاد فينحصر في نطاق اقل اتساعا من الاول على صعيد الشعر في عصر الشاعر .

والتضاد المنطقي لصيق بأساليب علم الكلام الذي بدأ ينتشر بين كثير من الطوائف والفرق الاسلامية وخاصة بعد عصر الترجمة .

نعود الى المفارقات والتضاد المنطقي الذي اتسم بإعمال الفكر والتعمق في التصور ، وهو لا يخلو من التلاعب بالالفاظ ، ويعتمد المنطق ، ويطرح الدليل والبرهان وصولا الى الاقناع :

اذا ما كنت ذا قلب قنوع فانت ومالك الدنيا سواء »
(ديوانه ص ٢٢/١٧)

« وأحسن الى الاحرار تملك رقابهم فخير تجارات الكرام اكتسابها »
(ديوانه ص ٢١/٣٢)

« ولا تمشين في منكب الارض فاخرا فعما قليل يحتويك ترابها »
(ديوانه ص ٢١/٣٣)

« لو شاء ان تصلى جهنم خالدا ما كان ألهم قلبك التوحيدا »
(ديوانه ص ٣٩/٨٧)

« وأحق خلق الله بالهم امرؤ ذو همة يبلى برزق ضيق »
(ديوانه ص ٦٤/١٣٢)

فالتضاد في هذه الأبيات لا يرتبط بالجانب اللفظي ، بل بالمعنى او الصورة ، فالفقر مع القناعة يقابل الغنى وامتلاك الدنيا .. والاحسان الى الاحرار يستعبدهم .. والكبر على سطح الارض يعقبه الذل تحت ترابها .. والخلود في جهنم يقابله النجاة بالتوحيد .. وهمة العمل يقابلها ضيق الرزق .

وهذا الاسلوب يعتمد التلاعب بالالفاظ ، وبالتالي تقابل المعاني كمدخل يلجه الشاعر ليكسب رأيه حجة وتكسب حكمته مفعولا مؤثرا ، ان طرح مثل هذه المفارقات يبدو متقصدا في فن الصياغة الشعرية التي انتهجها الشافعي ، حتى غدت هذه المفارقات وكأنها سمة من سمات شعره وقد جاء هذا الاسلوب من باب الحرص على الاقناع ، ويبدو اثر القياس في مضمار الفقه منعكسا في بعض ابعاده على هذا الاسلوب ، واذا كان القياس يعتمد التناظر في المتشابهات فانه في الشعر يأخذ ـ هنا ـ شكل التضاد والمفارقات ، ليحدث في نفس المتلقي هزة الاعجاب بالتفاتات الشاعر الذكية ، واندهاش بها .

وفي معرض اشارتنا الى مذهب يعلل التضاد او المفارقات الصورية في الشعر نذكر (ريتشاردز) و(امبسون) فقد وجدا ان القدرة على التوصيل والنقل انما تصدر عن بعض الخصائص منها أن تركيبة الشعر مؤلفة بين المتباعدات والمتناقضات وان المعاني الشعرية تنشأ من الصراع بين ما هو منطقي وما هو غير منطقي .. ومن اقوال « بروكس » « ان بناء احسن القصائد هو بناء التناقض ، لان مواد القصيدة يقوم بينها التجاذب والمقاومة والصراع ، واحسن بناء ما بلغ بهذه المواد المتنافرة والمتصارعة درجة التوازن .

وتبدو الصنعة واضحة على هذا الاسلوب الذي انتهجه « الشافعي » فهو ينقح ويمحص .. يثقف ويصقل .. ويشذب ويجود ، فصياغة كهذه اقرب الى الصنعة والتصنع منها الى الطبع والسجية ، كما انها تكشف عن تمكن الشاعر في التعامل مع ادواته الشعرية الامر الذي اسبغ على شعره الحكمي ملامح الطلاوة ومتانة السبك والحبك شكلا رغم ما يبدو من جهد عقلاني يتغلغل في جنبات المضمون .

العقلية العلمية والحضارة الاسلامية

للاستاذ/احمد عبد الرحيم السايح

العقل هو القوة المهيأة لقبول العلم ، وسمي العقل عقلا لانه يعقل صاحبه عما لا يحسن . والعقل في اللغة : ضد الحمق ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان عن طريق الملكات الادراكية : العقل . قال علي كرم الله وجهه :

رأيت العقل عقلين ... فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع ... اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس ... وضوء العين ممنوع

والى العقل الفطري المطبوع ، يشير ما روى الترمذي الحكيم في النوادر من رواية الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل » وكذا ما جاء من ان : « اول ما خلق الله العقل » .. والى العقل المكتسب يشير ما روي : « ما كسب احد شيئا افضل من عقل يهديه الى هدى ، او يرده عن رديء » .

ومن اوضح سمات القرآن الكريم التي اثارت انتباه الدارسين من رجال الفكر والباحثين من العلماء هي الاشادة بالعقل ، وتوجيه النظر الى استخدامه ، للوصول الى ما يفيد الانسانية في مسيرتها عبر الحياة .

ويشير القرآن الكريم ، الى العقل ومشتقاته ومترادفاته ومعانيه المختلفة في اكثر من ثلاثمائة وخمسين آية . مستخدما لذلك كل الالفاظ التي تدل عليه او ترشد وتشير اليه من قريب او من بعيد من التفكر والتدبر ، والتذكر ، والحكمة واللب ، والنظر ، والرشد والرأي والعلم ، والفقه ، والقلب والفؤاد الى غير ذلك من الكلمات والالفاظ التي تدور حول الوظائف العقلية ، على اختلاف معانيها وخصائصها . مما يعتبر ايحاءات قوية بدور العقل واهميته بالنسبة للانسان .

والقرآن الكريم كتاب تبليغ واقناع ، وهداية وارشاد ، يوقظ القلوب ، ويصلح العيوب ، ويشرح الصدور .. وليس اتم من التوافق بين تميز الانسان بالتكليف وبين خطاب العقل في القرآن الكريم ، بكل وصف من أوصاف العقل ، وكل وظيفة من وظائفه في الحياة الانسانية .

يقول الكاتب الكبير عباس محمود العقاد : « ان الكتاب الذي ميز الانسان بخاصة التكليف هو الكتاب الذي امتلأ بخطاب العقل بكل ملكة من ملكاته وكل وظيفة ، عرفها له العقلاء ، والمتعقلون قبل ان يصبح العقل درسا يتقصاه الدارسون كنها وعملا ، واثرا في داخله وفيما خرج منه ، وفيما يصدر منه وما يئول اليه .

العقل وازع يعقل صاحبه عما يأباه له التكليف ..

العقل فهم وفكر يتقلب في وجوه الأشياء ، وفي بواطن الامور ..

العقل رشد يميز بين الهداية والضلال .. والعقل روية وتدبير .. العقل بصيرة تنفذ وراء الابصار .. العقل ذكرى تأخذ من الماضي للحاضر ، وتجمع العبرة مما كان لما يكون وتحفظ وتعي ، وتبدىء وتعيد ، والعقل بكل هذه المعاني موصول بكل حجة من حجج التكليف وكل امر بمعروف ، وكل نهي عن محظور . افلا يعقلون ؟ افلا يتفكرون ؟ افلا يبصرون افلا يتدبرون ؟ اليس منكم رجل رشيد ؟ افلا تتذكرون ؟

ان هذا العقل بكل عمل من أعماله يناط به التكليف ، حجة على المكلفين فيما يعنيهم من أمر الأرض والسماء ، ومن أمر انفسهم ، ومن أمر خالقهم وخالق الأرض والسماء »

والاشارة الى العقل لا تأتي في القرآن الكريم عارضة ، ولا مقتضبة في سياق آية ، بل هي تأتي في كل موضع ، مؤكدة باللفظ والدلالة .

وتتكرر الاشارة الى العقل في كل معرض من معارض الامر والنهي التي يحث فيها الانسان على تحكيم عقله ، او يلام فيها الفكر على اهمال عقله ولا يأتي تكرار الاشارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون من اصحاب العلوم الحديثة . بل هي تشمل وظائف الانسان العقلية على اختلاف ، أعمالها وخصائصها .

فلا ينحصر خطاب العقل في العقل الوازع ، ولا في العقل المدرك ولا في العقل الذي يناط به التأمل الصادق ، والحكم الصحيح ، بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية ، كل ما يتسع له الذهن الانساني من خاصة او وظيفة ..

فالعقل في مدلول لفظه العام : ملكة يناط بها الوازع الاخلاقي او المنع من المحظور والمنكر .

ومن خصائص العقل الانساني التي تميز بها :

اولا : انه ملكة الادراك التي يناط بها القيم والتصور . وهذه الملكة على كونها لازمة لادراك الوازع الاخلاقي ، وادراك أسبابه وعواقبه تستقل احيانا بادراك

الامور فيما ليس له علاقة بالاوامر والنواهي ..

ثانيا : ان العقل يتأمل الامر.يدركه ويقلبه على وجوهه ، ويستخرج منه بواطنه وأسراره ، ويبني عليها نتائجه وأحكامه ..

ثالثا : ومن أعلى خصائص العقل « الرشد » ووظيفة الرشد فوق وظيفة العقل الوازع ، والعقل المدرك ، والعقل الحكيم . لان الرشد استيفاء لجميع هذه الوظائف وعليها مزيد من النضج والتمام والتمييز .

والعقل الذي يخاطبه الاسلام هو العقل الذي يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأشياء ويوازن بين الاضداد ، ويتبصر العواقب والنتائج ويتدبر ويحسن الادكار والرواية . ومن هذا المنطلق الاسلامي ، تعمق العلماء المسلمون في علوم الحياة والحضارة الانسانية ، وبعقلية عملية ، فكان منهم نوابغ الاطباء والفلكيين والرياضيين والكيميائيين ، واوائل من اكتشفوا حقائق علمية في مجالات كانت اول المعالم على طريق الباحثين والدارسين .. وكان العلماء المسلمون ينظرون الى الكون وما فيه : على أنه أمور موضوعة للدراسة والبحث والانتفاع . ومن الحوادث الدالة على العقلية العلمية الموضوعة في الفكر الاسلامي ، ما حدث مصادفة ان كسفت الشمس يوم مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال قوم : ان الشمس كسفت لموت ابراهيم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته » . وهكذا يقرر الرسول الصادق الامين ، مبدأ علميا ، ظل ابد الدهر ، هاديا الى طريق الرشاد . وفي حادثة فيضان النيل بالاقليم المصري ، موضوعة علمية ، تدل على نظافة الفكر الاسلامي ، وطهارته . ذلك انه كان الاعتقاد السائد في مصر قبل الفتح الاسلامي : ان النيل لا يفيض بمائه الا اذا القيت فيه فتاة حسناء لتموت فيه غرقا . فلما حان وقتذاك . كتب الوالي عمرو بن العاص الى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب ، في المدينة المنورة ، عاصمة الخلافة الاسلامية يخبره ويستشيره فيما تعود عليه المصريون . فأجابه عمر ، بإرسال رسالة يلقيها في النيل ، وكان في الرسالة : « من عمر أمير المؤمنين الى النيل . إن كنت تجري من عندك فلا حاجة لنا بك . وان كنت تجري بفضل الله ، فاللهم بارك لنا » .

وبهذا قضي المسلمون على اسطورة ليس لها واقع علمي او عقلي في الحياة .

وبالعقلية العلمية كانت علوم المسلمين ، هي أساس الحضارة في العصر الاول واخذت الحركة العلمية تتدرج في أطوار مختلفة ، حتى فتح المسلمون نافذة واسعة أطلوا منها على حضارات العالم . وكان المسلمون يعرفون المنهج الاستقرائي حق المعرفة ، وينتقلون من المعلوم الى المجهول ، ويقومون بدراسة الظواهر ، دراسة دقيقة ، بقصد الانتقال من المعلول الى العلة ..

ولما كان العقل في الاسلام له هذه العناية الفائقة من التقدير ، فقد اتخذ له الاسلام منهجا فريدا ، في تحريره ليظل العقل عاقلا ، والفكر راشدا .. وهذا المنهج الاسلامي يقوم على دعائم أساسية من شأنها حراسة العقل حتى لا يضل في

المتاهات الفلسفية ..

ومن شأنها ايضا ترشيد الفكر ، حتى يعمل في ميادين الخير ، وما يفيد المجتمع الاسلامي والانساني .

واول دعامة في المنهج الاسلامي في تحرير العقل والفكر هي تحرير الانسان من اصفاد الجهل وظلمته .. لان الجهل يقتل مواهب الفكر والنظر ، ويطفىء نور القلوب ، ويعمي البصائر ويميت عناصر الحياة والقوة في الأفراد والجماعات والأمم .. ويفسد على الناس مناهج الاستقامة ، والسلوك المستقيم .. والجهل هو الذي يجعل النفوس مستعدة لقبول الزيف والبدع والأهواء والخرافات والأساطير ..

والدعامة الثانية في المنهج الاسلامي .. هي تحرير الانسان من أغلال الحجر العقلي ، وسيطرة التبعية العمياء ، وتربيته تربية اسلامية ، تقوم على حرية الفكر ، واستقلال الارادة .. ليكمل بذلك العقل ، ويستقيم التفكير ، وتكمل الشخصية الانسانية .. لان كمال العقل ، واستقامة التفكير ، أساس في صحة العقيدة وكمال التدين ومعرفة الحق الذي يجب أن يتبع ومعرفة الباطل الذي يجب ان يجتنب .

وقد عني الاسلام ببناء تحرير الانسان من أغلال الحجر العقلي عناية كبرى فجعل البرهان أساس الايمان الصحيح . وبين أن كل اعتقاد او عمل لا يقوم على دلائل الحق فهو مردود ، وانذر الذين يجادلون في الله بغير علم ولا كتاب ، قال تعالى في سورة الحج .

« **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق** » الآيتان ٨ ، ٩ .

والدعامة الثالثة في المنهج الاسلامي .. تحرير الانسان من طاعة الأهواء والانقياد الأعمى لمغرياتها .. لان طاعة الأهواء من أقوى عوامل انحراف الانسان في سلوكه والتوائه في نظره . وتفكيره ، وهؤلاء الذين يطيعون الأهواء لا يستقيم لهم رأي ، ولا تعتدل لديهم موازين ، ولا يخضعون لحق ليس في جانبهم .

ولهذا عني الاسلام بتحذير الناس من اتباع الهوى ، ونعي عليهم ضلالهم ،، فقال تعالى في سورة القصص : (**فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين**) الآية ٥٠ .

وعن عبد الله بن عمر ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ..

قال الحافظ الأمام ابن حجر : ان الانسان لا يكون مؤمنا كل الايمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الاوامر والنواهي وغيرها فيحب ما أمر به ، ويكره ما نهي عنه ..

واذا كان من شأن هذا المنهج الاسلامي ان يطهر العقل ، ويقوم الفكر ويسير به

في الطريق المستقيم .. فان الاسلام اتبع ذلك بمبادىء قيمة ، ومن شأنها ان تصل بالناس الى طريق الحق والهدى والخير والسلام ..

اولا : ان الناس في الفهم والتفكير وادراك حقائق الأشياء لن يكونوا متماثلين . ولا متشابهين لأن الناس على درجات مختلفة ومراتب متباينة .. فهناك فريق من الناس قد لا تهيء له حالاته والظروف المحيطة به الا شذرات من المعرفة .. وثمة فريق آخر لم تعده وراثته الا للسطحي من الأشياء وكم من الناس من قصرته البيئة على القشور من الحقائق ، وكم من الناس من حصرته التربية في دائرة ضيقة من المرئيات .. وهناك من سجنته الخرافات والأساطير .. ومن الناس من جرفه تيار المادة ، فلم يعد يرى الاشياء الا بمنظار رمادي .. لهذا طالب الاسلام مختلف المستويات الانسانية بالنظر والتأمل والتفكير في ملكوت السموات والأرض ..

قال تعالى في سورة الغاشية : (**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت**) الآيات . ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠

وقال تعالى في سورة ق : (**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب**) الآيات ٦ ، ٧ ، ٨ .

وهناك كثير من الآيات التي تدعو الى التفكير والنظر في السموات والأرض وما خلق الله فيها .. ليصل الانسان الى الايمان بالله ، فيرتقي الى السمو والكمال ..

والانسان بدون ايمان بالله لا قيمة له ولا اعتبار .. ولهذا نرى المجتمعات المادية والالحادية ، تساق كما تساق السائمة ..

ويسوقها قطيع من الذئاب البشرية . وقد حرمت هذه المجتمعات من التفكير والنظر ، ولم يعد لأفرادها أي شأن ..

ثانيا : لم يكتف الاسلام بتوجيه الناس الى النظر والتفكير والتدبر . بل استنهض العقول ووجه الافهام ، وأيقظ الحواس ، ونبه المشاعر ، وذلك بالتعقب على بيان الآيات الكونية والتشريعية والاجتماعية بمثل قوله تعالى في سورة الرعد :

(**إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون**) ختام الآية ٤

وقوله تعالى في سورة الرعد الآية ٣ وسورة الزمر الآية ٤٢ وسورة الجاثية الاية ١٣ (**إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) .

وقوله تعالى في سورة طه : (**إن في ذلك لآيات لأولي النهي**) ختام الآية ٥٤

وقوله تعالى في سورة يونس : (**إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون**) الآية ٦٧

وقوله تعالى في سورة الرعد : (**إنما يتذكر أولوا الألباب**) . الآية ١٩

ثالثا : بشر الاسلام الذين يستمعون القول فينظرون اليه نظر البصير ، ويتبعون منه ما يدل على الحق ، ويهدي الى الرشد .. كماقال تعالى في سورة الزمر :

(**فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب**) .. ختام الآية ١٧ ، والآية ١٨

وهكذا نرى ان الاسلام قد عمل على تطهير النفوس من الاغراض الخفية والأهواء الدفينة لان ذلك من أكبر العوامل في اعتدال النظر واستقامة التفكير. ومن هنا كانت حملة الاسلام شديدة على الذين لا يستعملون عقولهم، وما وهب الله لهم من قدرات ذهنية .. ضاربين في بيداء الضلال، ومنقادين وراء سراب كل البدع والاهواء.

واذا كان الاسلام يدعو الى تحرير الانسان من أصفاد الجهل واغلال الحجر العقلي وسيطرة التبعية العمياء ـ كما عرفنا في دعائم المنهج الاسلامي في تحرير العقل ـ فان ذلك يعني أن التقليد الذي ذمه الاسلام، هو التقليد الذي لا يميز بين الخير والشر تقليد أهل الغواية والضلال.

أما تقليد أهل الحق من الأئمة والدعاة الذين استمدوا عقولهم من القرآن الكريم والسنة المطهرة .. فهو من قبيل القدوة الواعية.

وحرية الفكر التي دعا اليها الاسلام هي الحرية التي تطلق العقول والافهام من اغلال الحجر العقلي، والكبت الفكري، وتجلي معالم الحقائق، وتجعل قيادة التوجيه، قيادة بناء واصلاح وارشاد .. تستمد مقوماتها من هدى الاسلام وتعاليمه وتوجيهاته.

وطريق الفكر قد حدده الاسلام بالقرآن والسنة فيما يتعلق بالقضايا الاساسية والاعتقادية في حياة النفوس .. اما ما سوى ذلك فانه يمكن أن يؤخذ عن طريق الحواس والتجربة والعقل الذي يزن كل معطيات الحواس .. ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا الطريق بقوله تعالى في سورة الاسراء: (**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**) الآية ٣٦.

وهذه الآية تنهي عن اتباع ما لم يقم به علم يستند الى حجة سمعية، او رؤية بصرية، او براهين عقلية، وهي طرق الاستدلال التي تنحصر في العقليات والسمعيات والمحسوسات.

لهذا كله أقبل المسلمون على العلم ينشدونه في مظانه، ووجهوا عزائمهم على الفكر الأصيل القائم على توجيهات الاسلام.

واننا نجدهم اهتموا بشيء واحد وعرفوا شيئا واحدا، هو الاسلام والفكر الاسلامي .. فانتبهوا الى آيات الله التشريعية، وآيات الله الكونية .. وآيات الله الاجتماعية وآيات الله العلمية والعقلية والحضارية .. ولم يشغلهم عن ذلك ترف الحضارة، ولم يثن عزائمهم بأساء الحياة .. وأقاموا الحضارة الاسلامية التي تخطت مراحل النهوض في تاريخ النهوض والأمم.

واستطاعوا في سرعة لم يعهد لها مثيل في التاريخ ان ينتقلوا من أمة الامية الى أمة العلم والقيادة الفكرية وأن يصبحوا أساتذة العلم والعالم، وقادة الفكر والرأي، ورواد المعرفة والحضارة.

وبحثوا، ودرسوا، وأضافوا وجددوا، وابتكروا، فكان ذلك النتاج الحضاري الأصيل وقد حققوا ذلك على الرغم من الاحداث العاتية التي حملوا أعباءها

والحروب الطاحنة التي خاضوا غمارها .

لان الاحداث والخطوب ، وإن بلغت ما بلغت ، لا تستطيع ان تقف في طريق العقائد التي انطوت عليها القلوب ، ولا ان تمنع العزائم القوية من الوصول الى أغراضها وأهدافها .. ولعلنا لا نكون مجانبين للصواب اذا قلنا : انه لاول مرة في تاريخ الانسانية ترى الدنيا هذه الخطوة الجبارة .

وقد تميزت الحضارة الاسلامية بخصائص ، جعلتها فريدة في التاريخ وفريدة في تحقيق ما يسعد الانسانية .. وهذه الخصائص والمميزات نجملها في النقاط التالية :-

اولا : الايمان بالله سبحانه وتعالى ، وافراده بالعبادة والتعظيم والايمان بالله هو الدافع الاساسي للقيم الحضارية ، قال تعالى في سورة الرعد : « **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب** » الآية ٢٨ والايمان بالله قوة دافعة ، تسند الضعيف أن يسقط ، وتمسك القوي ان يجمح ، وتعصم الغالب ان يطغى ويفجر ، وتمنع المغلوب أن ييأس وهو يملأ النفوس بالفضائل ويزكيها ويقوم الضمائر ، ويسدد العزائم وعماده الرضا والقناعة ، ونور الامل في الصدور .

ولهذا كرر رب العزة ، النداء في القرآن الكريم بصيغة « **يا أيها الذين آمنوا** » وخطاب المؤمنين بالذين آمنوا هو أمثل أنواع الخطاب ، إبانة لحقيقتهم ، هذا الى ما ينطوي عليه من الدلالة على سموهم وفضلهم .

وفي النداء يا أيها الذين آمنوا زيادة ايناس وتكريم ، لأن أحب شيء الى الانسان هو ان تناديه بما يدل على سموه ، والله سبحانه وتعالى بهذا النداء ، يشعر المؤمنين بأنه يخاطب أقرب الاشياء منهم اليه . وما في الانسان شيء اقرب الى الله من الايمان به .

والله حينما يتوجه الى المؤمنين من خلال ايمانهم ، فسيكون التالي تعليما بموجبات هذا الايمان ، وحثا على القيام بها ، في أي شأن من الشئون ، وفي أي درب من دروب الحياة .. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين في القرآن الكريم بهذا النداء (**يا أيها الذين آمنوا** ..) في ثلاثة وثمانين موضعا .. والآيات لثلاث والثمانون في جملتها ، تبين ان الاسلام قد انطوى على طاقة روحية فعالة .

بل ان فاعلية الاسلام شملت حياة المسلمين في جميع جوانب الحياة .. وهذه الآيات كانت وما زالت أصلا جذريا يمس أساس الاوضاع في حياة الناس .. والاسم فيها يراعي حاجة الانسانية ومصالحها الحيوية ، في حدود الحق والفضيلة والعدل .. والاسلام فيها وليد العقيدة التي تطهر النفس ، وتذكي القلب ، وتربي الخلق وتغذي العقل ، وتوقف الغريزة عند حدها .. وتعطي كل مطمح من مطامح الانسان معناه الذاتي وسيره الطبيعي .

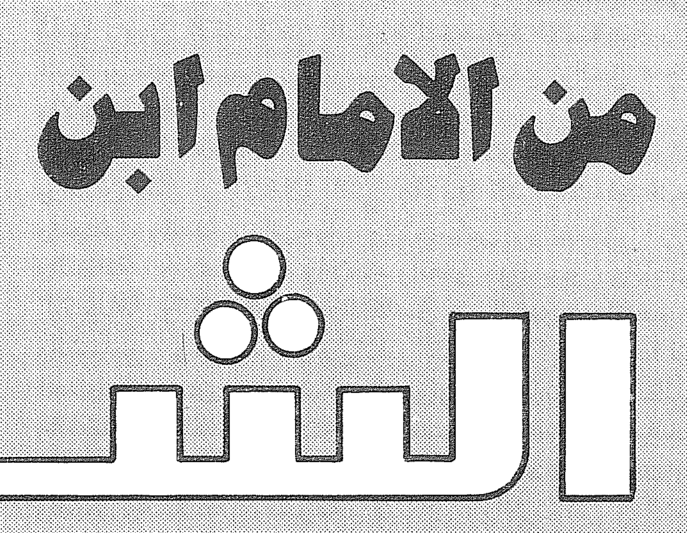
والاسلام فيها : عقيدة استعلاء يبعث في روح المؤمن الاحساس بالعزة من غير كبر ، وروح الثقة في غير اغترار ، والشعور بالاطمئنان من غير تواكل » .

وأثر الايمان يبرز بوضوح في الحضارة الاسلامية التي غيرت وجه التاريخ .

ثانيا : ومن الخصائص البارزة للحضارة الاسلامية ، انها تقوم على خلوص النية ،ونقاء الضمير ، والتمسك بقيم الخير والحق ، والتزام الآداب الفردية والاجتماعية .

ومن هذا المنطلق كانت الاخلاق هي الارادة المنفذة ، والضمير الموجه وجملة ما يراد أن يقال ان الاخلاق التي جاء بها القرآن شملت الحياة كلها من التعاون ، والمودة ، والعفة ، والرحمة ، والاحساس ، والصدق ، والاخلاص والاستقامة ، والنظافة ، والاصلاح ، والاخاء والعفو ، والصبر ، والثبات ، والشجاعة وحسن الضيافة والتضامن ، والتكامل ، والطهر ، والعفو ، والحب ، والشكر ، والتسامح ، والسلام ، ولم يكتف القرآن بهذا بل تأكيدا لتهذيب الاخلاق وضبط السلوك نهى عن : الاعتداء والعدوان ، والبهتان ، والظلم ، والاختيال ، والبخل والغضب واللمز ، والاثرة والحسد ، والنفاق ، والخداع ، والاسراف ، والمسافحة ، والغش وقتل النفس ، ولغو الحديث والكذب وشهادة الزور ، والبطر والجبن والخلاعة ، والميوعة والابتذال ، والارتخاس ، والنميمة والسرقة ، والخمر والميسر ، والخيانة ، والخصومة ، والسخرية والتنابز بالالقاب ، والتدابر ، والتباغض ، فرسالة الاخلاق في الاسلام اعلاء كلمة الحق واقامة ميزان العدل في الخلق .

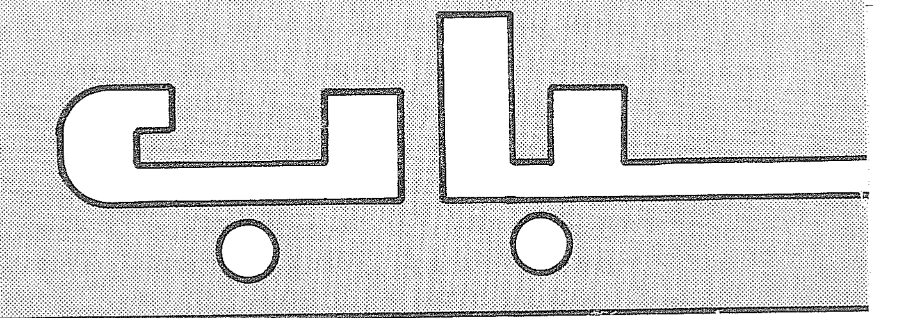
ثالثا : وفي الاقتصاد تقوم الحضارة الاسلامية على تبادل المنافع ، واتخاذ المال وسيلة لا غاية ، واحترام الملكية الفردية ، وفلسفة الاقتصاد الاسلامي ، تستهدف مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة والموازنة والمواءمة بينهما ، وتحدد أهداف النشاط الاقتصادي وفقا لمبادىء الاسلام ، وتقرر في وضوح ان الانسان خليفة الله في الارض وبمقتضى هذه الخلافة صار مسئولا عن المال من اين اكتسبه وفيما انفقه ومن هذا المنطلق الاسلامي كان الاقتصاد في الاسلام متميزا عما عداه من المذاهب الاقتصادية بسياسة لا ترتكز على الفرد شأن الاقتصاد الرأسمالي ، ولا على المجتمع شأن الاقتصاد الاشتراكي فان الاقتصاد الرأسمالي يقوم على المنافسة الدنيئة ، والمزاحمة ، والمصلحة الشخصية والمنفعة الذاتية والحرية المطلقة .. والاقتصاد الاشتراكي يقوم على حيوانية الانسان ، وقتل غريزة التملك ، ووأد كل القيم والفضائل الانسانية اما الاقتصاد الاسلامي فيقوم على رعاية الفرد ، ورعاية المجتمع ، وتضم هذه الفلسفة المتميزة في اطارها مطالب المادة ومشاعر الروح ، ومكارم الاخلاق .. وفي سبيل هذا الاطار الاقتصادي المتميز حرم الله الربا والغش والسرقة ، واكل أموال الناس بالباطل . وقد اثبت التاريخ ان الذين تربوا في مدارس القرآن ، هم وحدهم الذين صلحت بهم الحياة ، واعتدل في أيديهم ميزان الحق والعدل ولقد كانت الامة الاسلامية تزدهر بالعلم والحضارة شرقا وغربا ، وتنتشر فيها الصناعات على اختلافها ، وما تركه المسلمون من تراث علمي ، لاكبر شاهد على ذلك .



كلما قلبت تراثنا الاغر رأيت صفحات مضيئة ، ما أحوجنا اليها في هذا الظلام الذي يعيشه أبناء الاسلام وسط خضم التيارات الهدامة والمذاهب الالحادية ولعل ذلك مرده الى البعد عن صراط الله المستقيم ومع واحد من الذين قادوا القافلة الاخلاقية الرائدة وددت ان يلتقي الشباب المسلم حوله ربما انتفع به .. ولن يخيب رجاه !!

من هو :

هو الامام « عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ».. يكنى أبا الفرج ، ولد عام ٥١١هـ ، كان من المتجردين للعلم فأعطى من بنات أفكاره العديد من المصنفات في مختلف العلوم بيد انه نشأ في موطن العلم « مشرعة الجوز » من اعمال بغداد ، وترعرع بها وما كاد يستوى حتى توفي والده فاستقبل الحياة بروح الكفاح والتضحية ، واصدق ما قيل عنه قول الموفق « كان ابن الجوزي لطيف الصورة ، حلو الشمائل ، رخيم النغمة ، موزون الحركات ، لذيذ الفاكهة ، لا يضيع من زمانه شيئا ، يكتب في اليوم أربع كراريس ، ويرتفع كل سنة من كتابة ما بين خمسين



للاستاذ / عبد الجواد محمد الخضري

كتابا الى ستين ، وله في كل علم مشاركة » طلب العلم على « علي بن عبد الواحد » « وأبي الحصن » « وأبي عبد الله البارع » ولو تأملنا عصره ، وما يموج فيه من اتجاهات مضطربة من كل جانب ادركنا علة عزلته التي اتخذها ذريعة لعدم الوصول الى المعاصي والحفاظ على الطاعات يقول : « المخالطة توجب ظلمة في القلب الى ان ينعدم النور كله » وكان لا بد ان يبتعد عن الاضواء والشهرة فاستغنى عن الناس بعلمه الا ان المناوئين له لم يعجبهم الموقف ، فأشهروا السنتهم في حياته وانتقدوه بعد وفاته وهيهات ! وهو الفقيه الحنبلي امام القرن « السادس الهجري » بلا منازع خصوصا في فن الوعظ الذي تفرد به وتميز بالفصاحة والبلاغة حتى غدا وحيد نسجه !! وبعد حياة مملوءة بالمعرفة على تنوعها رحل عن الحياة في (١٢ رمضان عام ٥٩٧ هـ) .

مؤلفاته :

اذا علمت انه من المتقين الذي انكبوا على العلم منذ مطلع اعمارهم بلا اضاعة للوقت او انحراف عن منهج الله ، فلازمه وابتعد عن المغرضين لا تعجب وانت

تطالع مصنفاته الموسوعية في الاخلاق والادب والتشريع والعقيدة ، وقد احصى « عبد الحميد العلوجي » مؤلفاته التي تبلغ خمسمائة مصنف من اهمها (التفسير الكبير ـ ذم الهوى ـ صيد الخاطر ـ تلبيس ابليس ـ مناقب عمر بن عبد العزيز ـ تلقيح فهوم اهل الآثار ـ الوفا في فضائل المصطفى ـ الذهب المسبوك في تاريخ الملوك ـ منتخب قرة العيون) اما رسالته التي نحن بصددها فهي « لفتة الكبد الى نصيحة الولد » ولا يغيب عن بالنا الازمة النفسية التي يعيشها الشباب المسلم من جراء الامراض الحضارية !! والعدوى الالحادية التي فشت في اصدقاء السوء واخلاء الهوى ، وقد احسن ائمتنا صنعا حين عالجوا ابناءهم في الماضي برسائل تربوية فكتب « مروان بن محمد » الى ابنه « عبد الله » رسالته التي يوصيه فيها بحسن الخلق والمسلك القويم ، وكتب الامام الغزالي « أيها الولد » ومجمل القول ان رسالة ابن الجوزى تلائم الحال المؤلم لبني العرب اليوم ناهيك ان نجله « أبا القاسم » يمثل شباب اليوم فينصحه قائلا اعلم يا بني ـ وفقك الله ـ انه لم يميز الادمي بالعقل الا ليعمل بمقتضاه ، فأعمل فكرك واخل بنفسك تعلم بالدليل انك مخلوق مكلف ، وان عليك فرائض انت مطالب بها .. وان انفاس الحى خطاه الى اجله ، ومقدار اللبث في الدنيا قليل والحبس في القبور طويل ، والعذاب على موافقة الهوى وبيل فأين لذة امس ؟ قد رحلت وابقت ندما ؟! واين شهوة النفس نكست رأسا وأزلت قدما وما سعد من سعد بخلاف هواه ، ولا شقى من شقى الا بايثار دنياه ».

تلك انوار استمدت ضياءها من القرآن الكريم والسنة النبوية وتاريخ السلف الصالح ولو ان كل فرد اعتبر بها ، وتذكرها لأمن في سربه ، وعوفي في بدنه وعاش في عيش رغيد وما أحرانا ان نتعرف على نصائحه العطرة ..

« وانظر يا بني الى نفسك عند الحدود فتأمل كيف حفظك لها فإنه من راعى روعي ومن اهمل ترك .. ومتى رأيت في نفسك عجزا فسل المنعم او كسلا فالجأ الى الموفق ولن تنال خيرا الا بطاعته ، ولا يفوتنك خير الا بمعصيته ، ومن الذي اقبل عليه فلم يركل مراد لديه »؟!

انها تجارب انسان صنعه الاسلام ، وشكله الكتاب الحكيم وصدق الله اذ يقول :

(ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) الطلاق / ٤ **(ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب)** الطلاق / ٢ , ٣ فالتقوى صلب الايمان واساس صلاح الاعمال وما لامست قلبا الا وطدته على اخلاص العمل لله ويحددها علي ـ رضي الله عنه ـ قائلا « هي العمل بالتنزيل والخوف من الجليل والاستعداد ليوم الرحيل » وكلها لا تتأتى الا بحفظ حدود الله وصدق الامام ابن الجوزي .. يا بني ومتى صححت التقوى رأيت كل خير ، فالمتقى لا يرى الخلق ولا

يتعرض لما يؤذي دينه ، ومن حفظ حدود الله حفظ قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لابن عباس « احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك » رواه الترمذي .. واجعل لك ذخائر من تقوى تجد تأثيرها ، وقد جاء في الحديث « ما من شاب اتقى الله تعالى في شبابه الا رفعه الله في كبره » قال تعالى (**ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين**) القصص / ١٤ ، واعلم يا بني ان اوف الذخائر غض البصر عن محارم الله ، وامساك فضول كلمة ومراعاة حد ، وايثار الله تعالى على هوى النفس » .

لقد اوجز المؤلف ـ رحمه الله ـ طريق الفلاح في كلمات جذابة متأنقة في الاسلوب قريبة الى القلوب ، وما على المستمعين الا العمل بما قال ، ولا ريب ان سوء الفهم وكثرة النسيان للعلم عائد الى النظرات الشهوانية التي تورث صاحبها خيبة الامل وقلة الرجاء ، وتعقب الندامة والضياع وقد نصحنا الله : (**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**) النور / ٣٠ (**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن**) النور / ٣١ فمن غض بصره فتحت بصيرته .

انتبه لنفسك !

الوقت اثمن شيء يمتلكه الانسان ، ليحصل ما فات ويستقبل ما هو آت فاذا ما استغل المسلم الزمن في ارضاء الله ، وانتفاع المجتمع ، مشى في سلك المكرمين الذين يراعون الحقوق قبل فوات الاوان وانتهاء اوقات الحياة وها هو ابن الجوزي يسدي الخير الى ابنه فيقول اندم على ما مضى من تفريطك واجتهد في لحاق الكاملين ما دام في الوقت سعة واسق غصنك ما دامت فيه رطوبة ، واذكر ساعاتك التي ضاعت فكفى بها عظة .. ذهبت لذة الكسل فيها ، وفاتت مراتب الفضائل » لله دره !! فماذا لو شاهد الشبيبة وهي قابعة امام وسائل اللهو « التلفاز والسينما » ينظرون الى الرذائل المستوردة من بلاد لا تؤمن بالله ، ولا تعمل حسابا لدين او فضيلة ، وانها لكبيرة جدا كبيرة ان يسمح شاب لنفسه ان يعطل فرائض الله ومبادىء الحياة ثم يهوى الى عبادة الهوى ، وتكون النتيجة مؤسفة يوم يقوم الناس لرب العالمين !!

ان قتل الوقت جريمة في حق النفس ، وبعد ان كان المسلمون من اشد الخلق حفاظا على العمر ، اصبحوا من اكثر الناس تضييعا له ، فهل يفتح العقل لكشف اغوار الاعمال الضائعة ويراجع حساباته ؟!

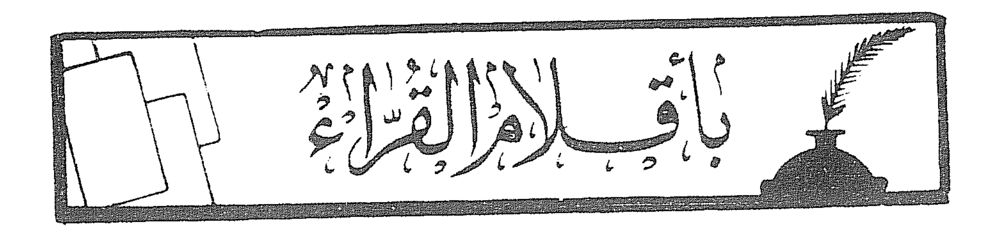
الوصول الى السعادة !

فشل الفيلسوف اليوناني افلاطون في تحقيق آماله ، وانقلب فكره رأسا على

عقب حين عارضه الواقع وثار عليه الناس وطويت جمهوريته الا من على السطور ، وفي عصرنا الحديث هب المفكر الرياضي « برتراندراسل » مدافعا عن الاخلاق والقيم وناشد الناس بالمحافظة عليها ، وارتأى ان يؤلف كتابا اسماه « الوصول الى السعادة » ويبدو انه مات وهو حزين كاسف البال مما يجعلنا نقر في وضوح بأن السعادة في الوصول الى الله ، ويرسم « ابن الجوزي » امارات الطريق في قوله : « الزم نفسك يا بني الانتباه عند طلوع الفجر ، ولا تتحدث عند طلوع الفجر بحديث الدنيا وقل عند انتباهك « الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور . الحمد لله الذي يمسك السماء ان تقع على الأرض الا باذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم ..» رواه الترمذي ثم قم الى الطهارة واركع سنة الفجر واخرج الى المسجد خاشعا وقل في طريقك ، « اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبممشاي هذا اليك اني لم اخرج اشرا ولا بطرا ، ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، اسألك ان تجيرني من النار ، وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت » واقصد الامام فاذا فرغت من الصلاة فقل « لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات ، ثم سبح عشر مرات واحمد عشر مرات وكبر عشر مرات » واقرأ آية الكرسي وسل الله سبحانه قبول الصلاة فان صح لك فاجلس ذاكرا الله تعالى الى ان تطلع الشمس وبعدها تشاغل بما يمكن من العلوم واهمها تصحيح الفقه ، فاذا اعدت دروسك الى وقت الضحى الاعلى فصل الضحى ثماني ركعات ثم تشاغل بمطالعة او نسخ الى وقت العصر ، ثم عد الى دروسك وصل بعد المغرب ركعتين تقرأ فيهما جزءين فاذا صليت العشاء فعد الى دروسك ثم اضطجع فسبح ثلاثا وثلاثين واحمد ثلاثا وثلاثين وكبر اربعا وثلاثين وقل اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك » .

هكذا ربي الاطهار انفسهم وبينوا اسرار العمل الصالح لاحبائهم ورب سائل يقول : وماذا يفعل الدارسون في المدارس بالتوقيت القانوني ؟ اجيب عليهم ان يلتزموا بالآداب في الاوقات التي يفرغون فيها ، واذا ما اجتهدوا في اداء واجبهم نحو النفس رفعهم العلم الى ذروة الشرف والمجد .

اننا اليوم في اشد الحاجة الى النسيم الذي ينقي المناخ من النقع المسموم ومن العجيب ان تراثنا فيه فلاسفة الاخلاق (الفارابي والماوردي والغزالي ومسكويه وابن القيم وابن الجوزي) وغيرهم ، ولكن ما علينا الا مطالعة آثارهم وملاحقة سيرهم ، واذا لم نتخذ المسلمين قادة في التربية والتعليم ، فسنظل في طي النسيان تابعين اذلة لاهل الكفر ، وأليس من المخزي ان يتشدق بعض المفكرين بامثال « دوركايم واندريه جيد وكانت » ويتناسون اعلامنا ؟ ولا اجد في نفسي حرجا من قولي « سر تأخر الفكر الاسلامي هو التبعية والمحاكاة العمياء » ونسيان الله يقتضي نسيان النفس ولا يغفل ابن الجوزي فيقول « وقد اسلمتك الى الله واياه اسأل ان يوفقك للعلم والعمل وهذا قدر اجتهادي في وصيتك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين .



الوحدة .. والسلام وسياسة الفرقة

الدول العربية ـ حكاما وقيادة ـ يتحدثون لغة الوحدة والسلام ..

ولكن انماط سلوكهم العملي تدور في فلك سياسة فرق تسد ؛ التي ما زال مناوئو الوحدة والسلام يمارسونها .. حتى المؤتمرات العربية اصبحت ساحة مزايدات بالكلمات .. والشعارات ، يتراشق فيها حكام العرب وقادتهم الاتهامات جزافا .. فلا تكون الا القطيعة والبعد نتاجا ..

محصلتهما هوة سحيقة تزداد مع الايام عمقا .. واتساعا

وأصبح في غيبة الضمير الاسلامي . ان ما يجري في هذه المؤتمرات ، وبين اروقتها محاولات مستميتة ويائسة لاشاعة البلبلة .. ونشر الفوضى .. وتوسيع نطاق الحرب الباردة بين المسلمين .. وبالتالي توريط الامة العربي في خلافات انتحارية ، تسقط هيبتها .. وتمتص طاقاتها .. لانها بفقدها الروح الاسلامية والطابع العربي .. فقدت تأثيرها .. وجودة توصيلها ..

وبذلك اصبحت الوحدة الاسلامية ، والعربية مهاترات ومهزلة عربية .. وملهاة تحرق

طاقاتها .. وتبدد امكانياتها .. وتستنزفها ماديا .. وادبيا ومعنويا .. بينما شعوب الامة العربية تتحرق شوقا لرؤية الاستقرار يستتب على ارضها - بالحق والسلام والحرية والعدل - والرخاء يعم ارجاءها .. وكل مواطن متفق ان زيف الاطماع الشخصية التي تسيطر بالمصلحة والهوى .. وتريد ان تحكم وتتحكم بالمذلة والهوان والخنوع هي التي تزكي الصراع من أجل التسابق على من يحكم ويقود ..

وعلى ضوء ما تقدم يناشد الشعب الاسلامي والعربي ان يعمل حكامهم في ظل تعاليم الاسلام الحنيف مسترشدين بكتاب الله وسنة رسوله « صلعم ».. ذلك ان شكوكا متصاعدة - تلح في اصرار عنيد بحجب الرؤية الشعبية في الامة العربية .. في مواجهة كيل الاتهامات .. وتخبط الاراء الحاكمة ..

ومما يدعو للاستنكار ان نظل نصدق ما يقولون :

« يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم كبر مقتا عند الله ان يقولوا مالا يفعلون »

ونحن بين الاحجام والاقدام محصلة لتردد تتسع هوته .. ومن ثم - يزداد الموقف سوءا وتعقيدا .. ويصبح غير قابل لتحقيق التقارب والوحدة ذلك ان اي حكومة اسلامية تخلع نفسها من التربة الاسلامية تحكم على سياستها بالذبول وعلى نفسها بالموت .. « لأنه لن يشاد الدين احد الا غلبه » وطالما نهمل تعليمات ديننا بنظريات مستوردة .. وعقائد وضعية .. تجعل سياسة بعض حكامنا سياسة التبعية .. مرة في احضان الشيوعية الملحدة ، ومرة في احضان الصليبية الحاقدة تحت شعار الديمقراطية والاشتراكية والرأسمالية .. لأننا تعامينا بصرا وبصيرة .. عن قوله تعالى :

« **ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك** » (المائدة اية ١١١) ومن ثم يتعين على الساسة العرب - اذا صدقوا ما عاهدوا الله عليه - لتحقق لشعوبهم امة واحدة ذات ارادة واحدة وكلمة جامعة - لتكون قلب رجل واحد - ان يهجروا خلافاتهم وينبذوا صراعاتهم ..

وعدائهم الشخصي - لبعضهم بعضا - ويمتثلوا لقوله تعالى : « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** .. » لأنه بهذا الوضع المزرى تصبح الامارة على المسلمين تآمرا ضد الاسلام والمسلمين .. وليعلم العرب والمسلمين ان رياح التربص التي تهب عليهم ان لم تجد من المقاومة والتحدى ما يدفع

بالرياح في اتجاه مغاير ، فسوف تتحول الى اعصار حانق ومدمر .. وعلينا حكاما .. وقادة .. وشعوبا ان نتربص بالمتربصين بنا : « فتربصوا اني معكم من المتربصين ».. حتى يتحقق علينا قوله تعالى : « **ان جندنا لهم الغالبون** ».. وليدرك حكام العرب والمسلمين : ان اي مشكلات مصطنعة يمكن ان تؤثر على سلامة وامن امتنا ووحدتها .. فتتفرق بنا السبل ».. وبقدر ما يؤثر النزاع الناتج عن تصادم المصلحة الشخصية والنفع الذاتي .. مع مصالح الجماعة .. ووحدة

المسلمين يحذرنا الله بقوله تعالى : « **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . واصبروا ان الله مع الصابرين** »

واذا توحدت امة العرب والاسلام .. واجتمعت على مأدبة القرآن الكريم الذي يهدي للتي هي اقوم .. وعمل حكامها ـ على قلب رجل واحد ـ جنبا الى جنب لتحقق من القوة ما يكفي ليجعلها قوة ردع حاسمة من اجل سلامها وسلام الانسانية وما يجعل اعداء الحق والاسلام يرهبون جانبنا ..

ذلك ان الاسلام هو السلام الحق .. والتكافل فيه رخاء وحب .. وامن وتآخي .. يحقق رفاهية الجنس البشري .. ان الاسلام حقيقة تسترشد بها النفوس الحائرة .. ان الاسلام قوة ينبذ الضعف والتخاذل .. ان الاسلام دين ودولة .. وعلى طريقه يكون المخرج الوحيد من الازمة العربية المؤسفة .. ان الاسلام مبدأ حق تقرير المصير للمغلوبين على امرهم .. ونصير المستضعفين في الارض .. الخ

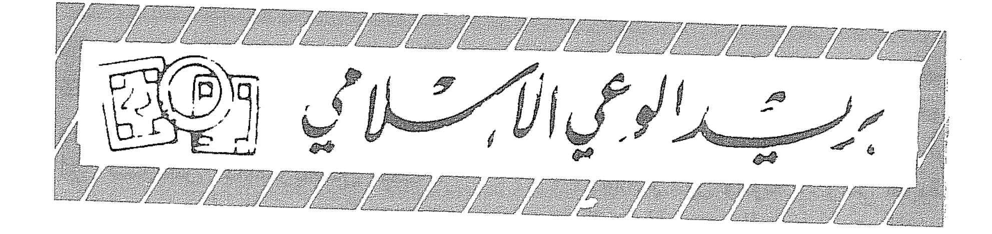
ومن يعتقد غير ذلك فانه يعيش خدعا في عالم من الوهم الكاذب ويمني نفسه بآمال دنيوية زائفة جريا وراء شهواته .. او تحقيقا لمجد شخصي زائل .. وهو بتصرفاته لا ينتسب الى الاسلام .. وحقائق الموقف السليم .

ان في ابتعادنا عن الاسلام خيانة .. ستجر علينا خزى الدنيا وعذاب الاخرة بقدر ما تجلب لنا الخسران المبين دنيا ودين ..

وستجعل الجبن والمخاوف يطغيان على تصرفاتنا وفي ذلك سوء المصير فهل آن الاوان لنسلم قيادنا لله طائعين .. ونعمل بكتابه وسنة نبيه الكريم وصدق رسول الله « صلعم » تركت فيكم ما ان اتبعتموه لن تضلوا ابدا كتاب الله وسنتي »

انه نعم المولى ونعم النصير

فاروق عبد العزيز سلام



افعال الناس

الاخ جمال الدين الجوة ـ من تونس ـ كتب يقول : لقد استوقفتني الآية الكريمة « والله خلقكم وما تعملون ».. وجال فكري في المقصود منها .. فهل لكم ان تفسروها بما يقضي على الحيرة التي اعانيها في الاجابة على سؤال : هل الانسان مخير او مسير ؟

المحرر : اضع بين يديك يا أخ جمال اولا هذه النقاط .. وبعدها تكون الاجابة ..

اولا : الله سبحانه صاحب الملك والملكوت .. خالق كل شيء .. وهو على كل شيء وكيل .. لا يعزب عن عمله مثقال ذرة في السموات ولا في الارض .

ثانيا : الله سبحانه عادل .. لا يظلم الناس شيئا .. وهوكريم يحب العفو .. ويثيب على الحسنة بعشر أمثالها .

ثالثا : خلق الله الانسان وميزه على سائر المخلوقات بالعقل .. وجعله مهيأ لفعل الخير او ارتكاب الشر .. فيسر أمامه الطريق ، وهداه النجدين .

رابعا : ارسل اليه الرسل الكرام مبشرين ومنذرين .. يبلغون رسالات الله إلى الناس ويخبرونهم بما غاب عن عقولهم ، ويرشدونهم الى ما فيه النفع والصلاح في الدنيا والاخرة .

وبعد هذا نقول : ان المقصود بالاية الكريمة « **والله خلقكم وما تعملون** » هو ان الله القادر هو الذي خلقكم من عدم وخلق اصل الاشياء التي تصنعون منها هذه الاصنام التي تعبدونها .. فانها مأخوذة من الاخشاب والحجارة وغيرها .. فكيف تعبدونها ومادتها مخلوقة لله سبحانه ؟.. هذا هو المعنى المقصود كمانفهمه من الاية الكريمة .. والله اعلم وفي ظل هذا الفهم يرى اهل السنة : ان الافعال هي من مخلوقات الله عز وجل ؛ وان العبد له منها الاكتساب فقط .. ونزيد الامر ايضاحا فنقول : ان الفلاّح عندما يحرث الارض ويلقي البذرة فيها . وينتظر النبات حتى ينمو ويحين الحصاد .. ليس له الا هذا الجهد الذي بذله والقصد في عمله ، اما الفعل الحقيقي اما انبات الزرع ، ونموه ، ثم هياجه ، ثم اصفراره ،

فذلك فعل الله سبحانه وتعالى .. يقول سبحانه : « **أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون** ». وايضا تلك النار التي نستخدمها في اغراض شتى .. ليس لنا في حالات استخدامها الى القصد والميل الى هذه الاستخدامات .. ولذا فان الله سبحانه ابطل مفعولها عندما القى فيها ابراهيم عليه السلام وفي نفس الوقت كانت النار تفعل فعلها في الوقود حتى اتت عليه .

وعلى هذا فليس الانسان مطلق الحرية .. فلا يستطيع ان يوقع في ملك الله مالا يريده الله سبحانه وهناك فرق بين ارادة الله ، وامره ، وفعله سبحانه

كما ان الانسان ليس مجبرا او مسلوب الارادة ، لان الله سبحانه ميزه بالعقل ، ووهبه القدرة على توجيه ارادته للخير او للشر ، وامره سبحانه بأن يبذل كل جهده على طريق الهدى والرشاد ، ويبتعد عن طريق الغواية والضلالة .

وبمقدار ما منحه الله من قدرة على الاختيار والتمييز يكون حسابه .. ولا عذر له ان ضل ، فقد وهبه الله العقل ، وارسل اليه الرسل ، فان احسن فبتوفيق الله ، وان أساء فعلى نفسه جنى .. والامر من قبلُ ومن بعدُ لله سبحانه .. وهو الهادي الى سواء السبيل .

المكتبة الاسلامية

وصل الى بريد « الوعي الاسلامي » هذان الكتابان .. احدهما ديوان شعر ديني ، والاخر بعنوان « القرطبي المفسر » سيرة ومنهج .. نعرِّف بهما في زاويتنا هذه .

ديوان شعر

الشعر هو سجل العرب الخالد .. ونبض احاسيسهم المرهفة .. واشتمل الشعر على كل افكار الناس وشواغلهم .. ففيه المديح والهجاء .. وفيه الأحداث والعبر .. وفيه التاريخ والسير .. وفيه الوصف والخيال .. وفيه ايضا أسرار اللغة ومتون العلم واصول المعرفة .. ومن أعظم اغراض الشعر ما كان منه في الجانب الديني ..

والديوان الذي بين ايدينا من هذا النوع « مناجاة » للاستاذ/سيف النصر الصلخاوي .. فيه تسبيح لله تعالى ، واجلال له ، وحمد على نعمائه ، وطلب لعونه في كل حال .. وثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعوة الى الاخلاق الفاضلة ، والاداب الاسلامية السامية .. والديوان بأسلوب سهل مشرق يدعو الى الفضيلة .. والى الصفاء النفسي في دنيا كدرتها الاحزان .. واستشرى فيها الفساد .. فما أحوجنا الى مناجاة الله سبحانه ..

القرطبي المفسر

كتاب تعرض فيه مؤلفه الاستاذ / يوسف عبد الرحمن الفرت الى دراسة الامام القرطبي ومنهجه في التفسير .. حيث تناول كتابه « الجامع لاحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان » بالنظر والتحليل والتقويم لهذا الجهد العظيم الذي يفيد منه العلماء جيلا اثر جيل ..

وقد قسم الاستاذ الفرت كتابه عن القرطبي المفسر الى تمهيد ، وثلاثة ابواب وخاتمة .

أما التمهيد : فكان دراسة عن البيئة والعصر الذي عاش فيه القرطبي .. والحالة السياسية والعلمية في الاندلس ومصر .

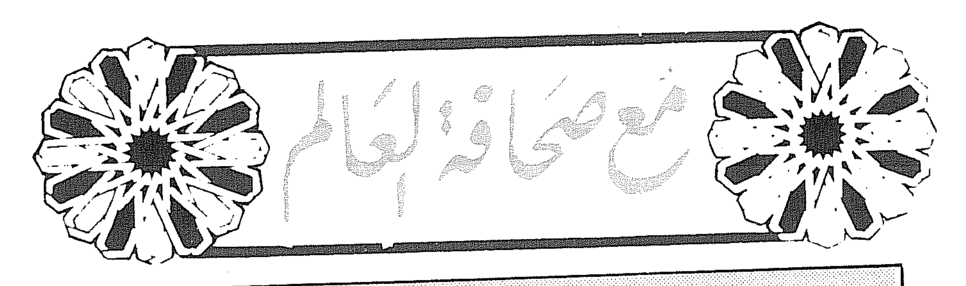
والباب الاول : مقسم الى فصول خمسة : نشأة القرطبي واسرته ـ رحلاته وشيوخه ـ اخلاقه وصفاته ـ آثاره العملية وتلاميذه ـ مذهبه الكلامي .

والباب الثاني : تناول السمات البارزة في تفسير القرطبي .. حيث أبان المؤلف عن منهج القرطبي في التفسير ، ومصادره ، ومكان تفسيره بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي ، وبحث الاستاذ الفرت في « الفقه في تفسير القرطبي ». ورسم صورة عن البيان اللغوي في تفسير القرطبي .

وفي الباب الثالث : استعرض المؤلف علوم القرآن في تفسير القرطبي .. من اعجاز ، وفواصل الايات ، والمحكم والمتشابه ، والاحرف المقطعة في اوائل السور ، والنسخ في القرآن ، والقراءات ورأى القرطبي فيها .

والخاتمة : جاءت لتعرض خلاصة جهود القرطبي في كل ما سبقت الاشارة اليه .

والكتاب يقع في ٣٧٠ صفحة من القطع المتوسط .. وهو من منشورات دار القلم بالكويت .



القضية الفلسطينية

اكد رئيس وفد الكويت في اجتماعات منظمة المؤتمر الاسلامي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية احمد سعد الجاسر ان القضية الفلسطينية بكل ابعادها ونتائجها تمثل الرمز البارز للنضال المشترك لشعوب الامة الاسلامية ضد الاستعمار والظلم والعدوان .

ودعا في كلمة القاها في عاصمة جمهورية النيجر نيامي الى الانتقال من مرحلة المواقف السياسية الموحدة الى الاجراءات الملموسة والفعالة التي تعكس وحدة ارادة ومشاعر الشعوب الاسلامية حول حتمية المجابهة المشتركة للعدوان الصهيوني .

واشاد الوزير بصمود المقاتلين الفلسطينيين واللبنانيين امام العدوان الاسرائيلي وقال ان هؤلاء المقاتلين اثبتوا بصمودهم الشامخ ان لدى ابناء هذه الامة من ارادة الفداء والصمود ما يمكنهم من مجابهة العدو الصهيوني الشرس .

وحث على مواصلة وتكثيف الجهود لايقاف الحرب بين العراق وايران وقال ان هذه الحرب تمثل تصدعا خطيرا في بناء التضامن الاسلامي واستنزافا محزنا للدماء والامكانيات الاسلامية .

وكان وزراء خارجية الدول الاسلامية قد بدأوا مؤتمرهم الثالث عشر يوم الاحد الماضي لبحث عدة قضايا من بينها الغزو الاسرائيلي للبنان والحرب العراقية الايرانية والتدخل العسكري في افغانستان .

ومن المقرر أن يبحث وزراء خارجية الدول الاسلامية في العاصمة النيجيرية مشروع قرار قدمته اللجنة السياسية التابعة لمنظمة المؤتمر الاسلامي دعت فيه الى ادانة صريحة لاسرائيل لغزوها لبنان وقتل الاف المدنيين الفلسطينيين واللبنانيين .

وتبنت اللجنة السياسية مشروع القرار الذي يندد ايضا بالعدوان الاسرائيلي على المفاعل النووي العراقي في يونيو ١٩٨١ ويتهم اسرائيل باتباع سياسة عدوانية من شأنها عرقلة التنمية الفنية والعلمية في الدول الاسلامية .

وطالب المشروع اعضاء منظمة المؤتمر الاسلامي الذين سيحضرون

مؤتمر وكالة الطاقة الدولية المقرر عقده في فيينا في سبتمبر المقبل بتبني مشروع قرار تعلق بموجبه الحقوق والامتيازات التي تتمتع بها اسرائيل في الوكالة الدولية .

وقال وزير الخارجية السعودي ان جميع الوفود المشاركة في هذا المؤتمر قد اعربت عن تضامنها غير المحدود مع الشعبين الفلسطيني واللبناني .

وندد وفد منظمة التحرير الفلسطينية في جلسة بالغزو الاسرائيلي للبنان كما هاجم الولايات المتحدة لمساندتها اسرائيل .

وقال وزير خارجية بنغلاديش في اشارة الى الحرب العراقية الايرانية ان على الدول الاسلامية مسؤولية اخلاقية لايجاد وسيلة لمناشدة العراق وايران لوقف العداوة بينهما فورا من اجل مصلحتيهما واقرار السلام والاستقرار .

افتتاح كلية الشريعة والدراسات الاسلامية

من اجل التكامل في بناء الوطن وارساء قواعده على اسس اسلامية وتعميق صلة الكويت بالمسلمين في العالم ومن اجل ربط الحاضر بالماضي وتخريج علماء متخصصين يواجهون مشكلات الحياة بايمان راسخ تم في الساعة السادسة والنصف من مساء ٢٠/١١/١٤٠٢هـ الموافق في ١٩٨٢/٩/٨ م افتتاح كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بقاعة الاجتماعات الكبرى بمبنى الكلية في كيفان بحضور الدكتور يعقوب الغنيم وزير التربية الرئيس الاعلى للجامعة . وستتكون هذه الكلية الجديدة من الاقسام التالية :

اولا : قسم العقيدة والدعوة :

ثانيا : قسم التفسير والحديث :

ثالثا : قسم الفقه واصوله :

هذا ويكون لكل قسم من هذه الاقسام الاشراف على سير العملية التدريسية في جميع المقررات التي اسندت اليه مثل : توزيع الدروس على اعضاء هيئة التدريس ، وتقديم الاقتراحات بشأن الخطط الدراسية ، وتحديد احتياجات القسم وميزانيته السنوية وترشيح اعضاء هيئة التدريس والمعيدين ، وتقديم ما يراه من الاقتراحات الى مجلس الكلية في شأن التعليم وانظمته ، وتأليف اللجان الفنية الدائمة والمؤقتة لدراسة الموضوعات التي تدخل في اختصاصه .

والوعي الاسلامي انطلاقا من واجبها الاسلامي تجاه الاسلام والمسلمين تدعو الله ان يسدد الخطى ويبارك الجهود لتكون هذه الكلية قلعة من قلاع الاسلام الحصينة .



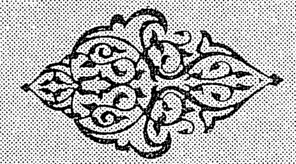
« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ــ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ــ مؤسسة الاهرام ــ شارع الجلاء .
السودان : الخرطوم ــ دار التوزيع ــ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة
تونس : الشركة التونسية للتوزيع .
لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية : جدة : مكتبة مكة ــ ص.ب (٤٧٧)
الخبر : مكتبة مكة ــ ص.ب (٦٠)
الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ــ ص.ب (١٠١١)
صنعاء : دار الفكر
البحرين : دار الهلال
قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ــ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ